

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٦/٢٢٦/د)

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر  
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISSN 0258 - 1094



# مجلة

## مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَدْرَاقِيَّةِ

مجلة عليّة محكمة تُنشر في شهر الجُمادى الأولى في اللغة العربية

السنة السادسة والأربعون

العدد (١٠٧)

محرم - جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ

تموز - كانون الأول ٢٠٢٢م

## الهيئة الاستشارية للمجلة

|                                    |          |
|------------------------------------|----------|
| الأستاذ إبراهيم شـبـوح             | تونس     |
| الأستاذ الدكتور مرشدي مرشد         | مصر      |
| الأستاذ الدكتور مرزقي بعلبكي       | لبنان    |
| الأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع  | السعودية |
| الأستاذ الدكتور سامي شلهوب         | سوريا    |
| الأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي  | تونس     |
| الأستاذ الدكتور هاني هياجنة        | الأردن   |
| الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحجمري | المغرب   |
| الأستاذ الدكتور عبد المجيد حنون    | الجزائر  |
| الأستاذ الدكتور محمد باقري         | إيران    |
| الأستاذ الدكتور محمود السيد        | سوريا    |
| الأستاذ الدكتور عبد الحميد مذكور   | مصر      |
| الأستاذ الدكتور رسول بلاوي         | إيران    |



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
خَالِدُ الْكُرْكِي  
مَرْيَسُ الْخَرْيَرِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
مُحَمَّدُ عَدْنَانُ الْبُخَيْتِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
سَمِيرَةُ السُّتَيْتِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
مُحَمَّدُ السُّعُودِي  
أَلَمِينُ الْعَامِلُ الْجَمْعِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
سَعِيدُ الْمَتَلِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
عَبْدُ الْمَجِيدِ نَضِيرِ

أَلَسْتَاذُ الْكُتُورِ  
مُحَمَّدُ حُورِ

التحرير اللغوي باللغة العربية: الدكتور جعفر عباينة  
التحرير اللغوي باللغة الإنجليزية: الأستاذ الدكتور محمد عصفور



## الفهرس

| الموضوع                                                                                                                 | رقم الصفحة |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------|
| البحوث-----                                                                                                             | ٩          |
| ١- المجالات الوظيفية لأبنية التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم من منظور علم النص                                         | ١١         |
| ٢- مآل البحث الاشتقاقي في اللسانيات الحديثة                                                                             | ٤٧         |
| ٣- تمكين المعنى في بنية التركيب اللغوي                                                                                  | ٨٧         |
| ٤- التنويع والتكامل في البيان القرآني عند الميداني، عرض ونقد                                                            | ١٣٥        |
| ٥- الدلالة المعجمية والصرفية للعذاب الموصوف بأليم وشديد في القرآن الكريم                                                | ١٦١        |
| ٦- القولُ الفصلُ في أسرارِ الفصلِ والوصلِ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح المجيري الملوّي (ت ١١٨١هـ)، دراسة وتحقيق | ١٩٧        |



# البحوث



## المجالات الوظيفية لأبنية التشبيه التمثيلي

### في القرآن الكريم من منظور علم النص

الأستاذ الدكتور عبد المهدي الجراح

جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية

كلية العلوم والآداب - قسم العلوم الإنسانية

(اللغة العربية)

#### الملخص

يدرس هذا البحث التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم من منظور علم النص؛ وذلك لإبراز الوظائف النصية للتشبيه التمثيلي في العملية البنائية للنص القرآني، وكذلك تقديم الوظائف الدلالية له من منظور علم النص، وهو بلا شك منظور متكامل يسعى إلى البحث في جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة، والتي ترتبط بمرسل للفعل اللغوي ومتلق له، فالتشبيه عموماً يقتضي علاقة بين عنصرين، وهي علاقة ربط تكاملي، وهذه العلاقة هي علاقة نصية؛ لأنها تتجاوز حدود الجملة؛ لتؤطر لكلية النص، ويعمل التشبيه التمثيلي -على وجه التحديد- على تعزيز هذا التأطير وبنائه.

تناول البحث بداية مفهوم التشبيه التمثيلي، ثم علم اللغة النصي، والتشبيه التمثيلي بوصفه استراتيجية بناء نصي، كما انتقل بعد ذلك للكشف عن المظاهر الوظيفية للتشبيه التمثيلي في القرآن الكريم. خلص البحث إلى أن التشبيه التمثيلي يمثل بنية علائقية، أسهمت بصورة فاعلة في تكوين البنى الجزئية (الصغرى)، والكلية (الكبرى) للنص القرآني، بمشاهده ومعانيه المختلفة. كما أنه له أثره الفاعل في الوحدة النصية لكثير من المضامين القرآنية، إذ يدخل في تكوين وظائف نصية تتجاوز مسألة التوضيح والتقريب والتأكيد للمعاني النصية، وقد ذكرت هذه الوظائف في متن البحث.

\*الكلمات المفتاحية: المجالات- الوظيفية- التشبيه- التمثيلي- علم اللغة النصي- الدلالات.

# **The Function of the Comparative Simile in the Holy Qur'ān**

## **From the Text-Grammar Perspective**

### **Abstract**

This paper explores the way comparative similes are employed in the Holy Qur'ān from the perspective of text linguistics with the aim of identifying the textual and semantic functions in the construction of the Qur'ānic text. This perspective transcends the limits of the sentence in order to take the entire text in which the message is sent by a sender and received by a recipient. The simile generally involves two elements related to each other textually.

The paper begins by discussing the concept of comparative similes and moves on to text linguistics in order to study how comparative similes function in the Holy Qur'ān. It concludes by showing that the comparative simile creates a relational structure which contributes to the microstructures and ultimately to the macrostructures in the Qur'ānic text as a whole.

\* Keywords: Dimensions - functions-Simile - Comparison - text linguistics-semantics.



**مقدمة :**

المحمود هو الله جل ثناؤه والمصلى عليهم رسله وأنبيأؤه، أما بعد، فالقارئ المدقق في كتاب الله العزيز، يجد أنه بليغ بلاغة لا تنقضي عجائبها، ولا غرائبها، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن معالم هذه البلاغة الاستعمال القرآني لبعض وجوه البيان، وتحديدًا التشبيه التمثيلي، فهو مركب من أمور كثيرة؛ لأن وجه الشبه يكون فيها منتزعا من عدة أمور، وهذا ما يدفع القارئ إلى التدبر والاستبصار؛ فيتم الفهم الكلي للقصد القرآني عن طريق فهم المآرب الخاصة بتصوير المحسوسات، وإخراجها من الحيز المعنوي إلى الحيز التصويري المحسوس والمشاهد.

درس باحثون كثر التشبيه التمثيلي، وحددوا كثيراً من مواطنه وأغراضه الدلالية، وقدموا جهوداً طيبة في هذا الميدان؛ إلا أن دراستهم كانت قد ركزت على الجانب الفقهي والتشريعي له، وبحكم تخصص الباحث العام، وهو اللغة والنحو، وتخصصه الدقيق وهو "لسانيات النص"؛ فقد تولدت لديه رغبة جامحة في دراسة الوظائف النصية للتشبيه التمثيلي من منظور علم اللغة، والذي يعد ميداناً لغوياً حديثاً؛ إذ يزعم أصحاب هذا الاتجاه أنه علم غربي النشأة والمنبت، مع العلم أن جذوره راسخة في العربية وفي النحو العربي عموماً، ومع هذا يمكن القول: إن المجال التطبيقي لوظائف هذا العلم يأخذ مجده في القرآن الكريم؛ لأن قوام هذا العلم هو تحقيق مبدأ النصية، ولا يوجد أي نص في الكون كله حقق مبدأ النصية كالقرآن الكريم.

يأتي هذا البحث لدراسة التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم من منظور علم النص؛ وذلك لإبراز الوظائف النصية للتشبيه التمثيلي في العملية البنائية للنص القرآني، وكذلك تقديم الوظائف الدلالية له من منظور علم النص، وهو بلا شك منظور متكامل يسعى إلى البحث في الوظائف المتشعبة والمتفاعلة للتشبيه التمثيلي في القرآن الكريم، وهذا النظر يحقق "جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز

حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة والتي ترتبط بمرسل للفعل اللغوي ومتلق له، وقناة اتصال والمتلقي بينهما وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصالي اجتماعي يتحقق فيه التفاعل<sup>(١)</sup>، إن هذا البحث يأتي للإجابة عن سؤال كبير جداً وهو: أين يقع التشبيه التمثيلي من وحدة النص الكاملة؟ أو بلغة أخرى: ما الوظائف الأساسية التي يقوم بها التشبيه التمثيلي في الوحدة النصية الكلية؟

### المبحث الأول: التشبيه التمثيلي: مفهومه ومسالكه

التشبيه في اللغة -كما جاء عند ابن منظور- مأخوذ من مادة (شبه)، إذ "الشبه، والشَّبه، والشبيه: المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيء بالشيء مثله"<sup>(٢)</sup>، وهو في الاصطلاح "...الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، وقد جاء في الشعر وسائر كلام العرب بغير أداة التشبيه..."<sup>(٣)</sup>، وهو أيضاً -كما يرى السكاكي- يستدعي "طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتركا بينهما في وجه الشبه وافترقا عن آخر..."<sup>(٤)</sup>، وقد عرفه فضل عباس بقوله: "هو إلحاق أمر بأداة التشبيه لجامع بينهما"<sup>(٥)</sup>.

(١) سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية لونغمان، القاهرة، مكتبة لبنان، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص ١١٠.

(٢) جمال الدين الأنصاري، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر حيدر، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م، مادة (شبه).

(٣) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص ٢٣٩.

(٤) أبو يعقوب يوسف بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٣٢.

(٥) فضل عباس، أساليب البيان، دار النفائس، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٢١٧.

يستنتج مما سبق، أن التشبيه عموماً يقتضي علاقة بين عنصرين، وهي علاقة تتحدث عن تصور تمام المشابهة التي تحكم بنية التشبيه المتخيلة؛ مما يحفز بالنفس مخيلاً يدعو إلى النظر في ارتباطات هذه التصورات عبر النص، محدثاً علاقات نصية متجاوزة حدود الجملة؛ لتؤطر لكلية النص، ويعمل التشبيه التمثيلي على وجه التحديد على تعزيز هذا التأطير وبنائه؛ لأن وجه الشبه فيه يكون صوراً منتزعة من صفات كثيرة متعددة، وهي مشتركة بين شيئين أو عنصرين أو وصفين ليس غيره<sup>(١)</sup>. ورحم الله الإمام الجرجاني الذي كان ينظر إلى مسألة التشبيه التمثيلي على أنها مسألة في غاية الدقة، فالتشبيه -على حد تعبيره- أعم من التمثيل والتثيل أخص منه، يقول: "فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً"<sup>(٢)</sup>، فالتشبيه التمثيلي عنده ينحصر على وجه التحديد في كون وجه الشبه -سواء أكان التشبيه مفرداً أم مركباً- أمراً عقلياً غير غريزي، وهو هنا له وجهة نظر خاصة في التشبيه، لا نريد تناولها لتجنب الإطالة، فوجهته في التشبيه التمثيلي تختلف عن وجهات البلاغيين العرب جميعهم، ويرى الخطيب القزويني أن التشبيه التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعا من متعدد أمرين أو أمور، وهذا يعني بالضرورة أن التشبيه يكون تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء أكان هذا العنصر أو الوجه حسياً أم عقلياً<sup>(٣)</sup>.

يفهم من السابق أن التشبيه التمثيلي ذو بنية مركبة، سواء أكان وجه الشبه منتزعا من أمرين أو أمور متعددة، وسواء أكان هذا الوجه حسياً أم عقلياً، فالتشبيه التمثيلي له مهام دقيقة المسلك، وهذا التناول لهذه المهام -هو بلا شك- تناول يخضع لمسالك لغوية منبثقة من التصور النحوي والدلالي للتشبيه على مستوى الموضع

(١) انظر: عبدالعزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، (د.ط.)، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٨٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٧٣.

(٣) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (د.ط.)، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٣٣.

الخاص فيه بالنص القرآني، فهو بحث في المعاني والدلالات وبعض الوظائف المرتبطة بالأطر الدلالية والنحوية والبنوية، أما النظر في المهام التي يؤديها التشبيه التمثيلي على مستوى الإطار الكلي للنص القرآني (كلية النص)، فهو ما يسعى البحث لتحقيقه، فهناك وظائف لسانية نصية كبرى يقدمها التشبيه التمثيلي على مستوى البنية النصية الكبرى للنص القرآني، أي: على مستوى التأسيس لمستويات ربط وظيفية أخرى، وهذه المستويات يتكفل علم اللغة النصي بإبرازها ومناقشتها، وي طرح الباحث التساؤل التالي -وهو مما يدور بنفسه- فهل التشبيه التمثيلي تقتصر وظائفه على ما تقدم ذكره، إضافة لمسائل نجدها مبثوثة هنا وهناك من قبل: التوضيح والتقريب للمعاني؟ إن وظائفه النصية تتجاوز ذلك؛ نعم، إن النظر التحليلي اللساني النصي المعمق لمواضع التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم، يثبت أن وظائفه تتجاوز ما تم ذكره آنفاً، إنه ذو أثر بنائي فاعل وكلي ولكن كيف؟ تأتي الإجابة عن هذا السؤال بعد الإلمام بعلم اللغة النصي وتقديم نبذة عن هذا العلم وأهم مبادئه وإجراءاته البنائية والتنظيمية، فما علم اللغة النصي؟

### المبحث الثاني: علم اللغة النصي: مفهومه وتصوراته

يعد علم اللغة النصي -كما تمت الإشارة سابقاً- من فروع علم اللغة حديثة النشأة، فهو "فرع معرفي جديد قدم للبحث اللغوي حوافز مهمة، وفتح لعلم اللغة جانباً معرفياً جديداً حمل الباحثين إلى إعادة النظر في الأسس النظرية لفروع لغوية كثيرة ومن ثم كان له تأثير بارز في التطور المعرفي لعلم اللغة"<sup>(١)</sup>، ويقوم هذا العلم على تحليل النص وبنيته، بالمناهج اللغوية، ووصف المبادئ العامة لبناء النص<sup>(٢)</sup>؛ لأن النص في نهاية الأمر هو "تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره

(١) فولفانج هاينه من وفيهيجر ديتر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب

العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٩٩٩م، المقدمة.

(٢) سعيد بحيري، علم لغة النص نحو آفاق جديدة، مجموعة مقالات معربة، مكتبة زهراء الشرق،

ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٠٣.

بعضها بعضاً لفهم الكل<sup>(١)</sup>، فهو "الوحدة الدلالية التي تتحقق بوساطة الجمل"<sup>(٢)</sup>، وقد سعى علم اللغة النصي إلى دراسة النص من حيث "بنيته الكلية"، وموضوعه الذي يحقق كليته اعتماداً على مجموعة من الاستراتيجيات الخاصة ببناء النص وطرائقه البنائية، فلكل "خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال. على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته... تعد البنية الكلية افتراضاً يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه وتجعله مقبولاً كمفهوم، وقد وجد ديك أن مفهوم "موضوع الخطاب" هو هذه الوسيلة..."<sup>(٣)</sup>.

بناء على ما سبق، بدأ علماء لغة النص ونحوه بدراسة جميع أشكال الترابط والانسجام التي توصل إلى تحقيق فهم البنية النصية الكبرى أي موضوع الخطاب أو النص؛ لأن النص سلسلة من التراكيب المترابطة التي تشكل بنيات صغرى تتربط هي بدورها في ما بينها، فدرسوا النص دراسة علمية قائمة على معايير ثابتة<sup>(٤)</sup>، وركزوا على نحو النص؛ لأنه هو الذي يؤدي إلى فهم النص فهماً صحيحاً<sup>(٥)</sup>، كما أن هذا النحو يمكن من صوغ النصوص وإبداعها وفق قواعد محددة وثابتة<sup>(٦)</sup>، فدرسوا جميع

(١) سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص ١٠٨.

(2) Halliday. M.A.K. & Hasan, R: *Cohesion in English*, Longman Group L.T.D., 1983, p.2.

(٣) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت-لبنان، ١٩٩١م، ص ٤٦.

(٤) الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت-الدار البيضاء، ١٩٩٣م، ص ٢٠.

(5) See: Vandijk, Teun (A) & Kintsch, Walter. *Strategies of Comprehension Discourse*, 1983, academic press. Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, p.p 6-7.

(٦) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ط ١، ترجمة: د. تمام حسان، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م، ص ٢٩٩.

أبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية والمجتزأة، وركزوا على حالات الحذف والتحويلات الضميرية والجمل التفسيرية والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها، وكذلك جميع الظواهر التي تخرج عن إطار الوصف الجملي أو وحدة الجملة بحيث يتعذر تفسيرها إلا إذا أدرجت ضمن كلية النص أو الوحدة الكلية للنص<sup>(١)</sup>. وقد ميز علماء لغة النص أنواع الترابط الموضوعي الشرطي للنص، من التماسك الوظيفي فيه "فالنوع الأول هو الذي يعتمد على الروابط السببية المعتادة بين الوقائع التي تدل عليها الأقوال، وعادة ما يشار إليها بمجموعة من الأدوات الرابطة مثل: لأن، وعليه، ونتيجة لذلك، ولهذا... إلخ. أما النمط الثاني من التماسك فهو أصعب تحديداً بدرجة كبيرة وهو "وظيفي"؛ لأنه يحدث عندما يعزى إلى أحد الأقوال في النص وظيفة محددة بالنسبة لقول آخر سابق عليه، فالقول مثلاً يمكن أن يقوم بوظيفة التجسيد أو التجريد والتعميم أو التضاد لقول آخر سبقه في النص. وقد أطلق "جرماس" على هذه الوظائف والروابط تسمية "روابط بلاغية".... وبكلمات أخرى، فإن هذه الوسائل في التماسك تبدو أكثر ارتباطاً باستراتيجية القول الدلالية والتداولية لإقامة علاقات متماسكة بين نوبات القول"<sup>(٢)</sup>.

من هنا جاء اختيار هذا البحث، وهو الأثر الوظيفي النصي الذي يحدثه التشبيه التمثيلي في بنية النص القرآني، أي: الأثر الذي يحدثه في المظهرين البنائي والتأثيري، وهو بهذا ينهض بوظيفتين أساسيتين وهما: بناء النص ثم الأثر التواصلية البلاغي، فالنص أصلاً هو "إطراد تبليغي يشترط أن تتوفر فيه سبعة مقاييس هي: الانسجام والاتساق والقصدية والقبول والاختيار والمقامية والتناسقية..."<sup>(٣)</sup>، كما أنه "لا

(١) انظر: بحيري، علم لغة النص، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(٢) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط ١، بيروت: مكتبة لبنان، والقاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ١٩٩٦م، ص ٣٣٩.

(٣) عبدالله بالخير، مقدمات في الحجاج والنص، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ٢٠١١م، ص ٦٣.

يمكن اعتبار النص سلسلة من الجمل المتتابعة دون أن يربط بينها رابط، بل هي تتابع متجانس ومتناسق ومتربط ذو بناء مزدوج: بناء أولي وهو نظام اللغة (البعد السيميائي)، وبناء ثانوي: الإطار الخطابي للغة (البعد الدلالي الموسع)...<sup>(١)</sup>. ويأتي التشبيه التمثيلي على رأس أدوات البناء النصي لما له من أثر فاعل في إبراز الجانب التواصلية للنص (للمعنى القرآني)، وهذا يعزز مقصدية الحجاج المنطقي المنظم؛ فهو يعكس مسألة أن من أبرز الخصائص الحقيقية للفكر البلاغي عبر مراحل المختلفة - وبخاصة المعاصرة - الحجاج<sup>(٢)</sup>. وقد عد "البلاغيون العرب الخطاب القرآني خطاباً حجاجياً بالدرجة الأولى، وذلك لتوظيفه الكثير من الأساليب الحجاجية، التي تهدف إلى استمالة عقل المتلقي ومن ثم التأثير فيه بتقويم سلوكه وتهذيب نفسه"<sup>(٣)</sup>، فالحجاج يهتم بجميع وسائل اللغة وإمكاناتها التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطاب وجهة معينة تمكنه من تحقيق أهدافه الحجاجية، فهي تنطلق من مبدأ ننكلم بقصد التأثير<sup>(٤)</sup>.

### المبحث الثالث: التشبيه التمثيلي بوصفه استراتيجية بناء نصي

كما تمت الإشارة، فإن نماذج التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم تشكل مرتكزات بنائية نصية، شملت نوعي الترابط والالتحام: الجزئي والكلي، أو الترابط النصي على مستوى التابع التركيبي، والتلاحم الحاصل بين البنى جميعها، ثم المنحى التواصلية التأثيري؛ لما يحدثه هذا اللون التشبيهي في نفسية المتلقي، من تأثير إيجابي يدفع إلى

(١) انظر: المرجع نفسه، ص ٦٤.

(٢) باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة: أحمد الوردني، ط ١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م، ص ٦.

(٣) إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية الشعبية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ، ص ٤٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٤. وسمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ط ١، بيروت، باريس: دار عويدات، ١٩٩١م، ص ١٥٣.

الإحساس بالصورة والتفاعل معها، ثم التركيز على المعاني التي تنقلها هذه الصورة والارتقاء بها إلى أعلى درجة من درجات الفهم الحي والتأثير، ويعلن البحث من البداية أن غرضه ليس الإحصاء، أي: إحصاء التشبيهات التمثيلية في القرآن الكريم وإنما الوصول إلى المرتكزات التي تمكن القارئ من فهم مدلولات الصور التي يعرضها المشهد القرآني بأبعاده كافة، يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ ءَاخَذَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يُلَٰهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِءَايَاتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقَصْصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ {الأعراف: ١٧٥-١٧٦}، المعنى الأولي الذي ينبادر للذهن هنا هو أن الحق -عز وجل- يشبه الضال المنسلخ عن آياته العظيمة بالكلب، وكذلك تشبيه حالته من الشقاء والإعراض عن الدين واضطراب أمره في مدة البحث عن الدين، بلهث الكلب في حالة تركه، وكذلك تشبيه إعراضه عن الدين الحق عند مجيئه بلهث الكلب في حالة طرده وضربه، والتشبيه هنا هو تشبيه المعقول بالمحسوس في كلتا الحالتين، وفي هذا تقريب لعملية التصوير إلى الأذهان، ودعوة إلى المؤمن الحق إلى التدبر. ولو أراد المرء تبين الأثر البنائي النصي للتشبيه هنا في النص القرآني فإنه يصل إلى نتائج لافتة للنظر، تدل على إعجاز لغوي وعلمي؛ لأن الله -عز وجل- أدرك بل أخبر بنفسية الإنسان والحيوان، فالتشبيه له علاقات ارتدادية ولاحقة، بمعنى أن التشبيه هنا له ارتباط بما هو سابق له، فهو مبين لحالة هذا الرجل -بصرف النظر عن هو كائن- الذي انسلخ عن آيات الله، ويبين الحق الحال أو الظروف التي عليها هذا الإنسان، وإرادة الله -عز وجل- وما حل به؛ ثم يأتي التشبيه لتعزيز الصورة المشوهة والخائبة لهذا الإنسان؛ لأنه أعرض عن آيات الله وركن إلى الدنيا، فالتشبيه هو بعد مرحلي تكاملي، يؤسس لسلسلة من العلاقات السردية واللسانية النصية، فسلسلة التراكيب القرآنية



السابقة له مرتبطة به، واللاحقة موضحة ومؤكدة لما تقدم، كما أن هذا التشبيه يتضمن سلسلة من الضمائر التي تعود على هذا الكافر، ومع الاختلاف في رجوع الإحالة (على من تعود الضمائر) إلا أن هذا الاختلاف يحمل أبعاداً ترابطية، كما أن هذا التشبيه يحمل خصوصية دلالية، يمكن توضيحها عن طريق السؤال الآتي: لم شبهه الحق - عز وجل - بالكلب اللاهث وخص بالذكر كلمة يلهث؟ إنه بلا شك للدلالة على قبح الصورة - كما تمت الإشارة - وتبنيها في أذهان القراء والمستمعين، وفيها إشارة إلى ما عليه الكلب من الخسة، يقول صاحب زاد المسير: "فمثله كمثل الكلب لاهثاً، وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أخس الأمثال على أخس الحالات وأبشعها"<sup>(١)</sup>. والأجمل في هذا التشبيه أنه مرحلة تجزيئية جيء بها للدخول في مرحلة أعمق من التعميم أو الكلية وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: هذا الرجل يمثل حالة جزئية خاصة وهو كالكلب، ثم هذا الحال الخاص هو حال عموم المكذبين لآيات الله، أي: يشكل جزءاً من الحالة الكلية؛ "لأن الكافر إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال، وهو مع إرسال الرسل إليه كمن لم يأتيه رسول ولا بينة"<sup>(٢)</sup>. ومن هذا التشبيه انبثقت عملية القص في قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ﴾، والقصص هنا كما يقول عطاء "قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم"<sup>(٣)</sup>.

إذن في ما يتعلق بالأبعاد اللسانية النصية المنبثقة من علم اللغة النصي للتشبيه، نجدها متوفرة بمستوياتها جميعها في هذا النوع من التشبيه، وفي هذا النص، فهناك العلاقات الترابطية بين التراكيب، والتي تتربط بفعل أدوات الربط التركيبي

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٠هـ، ج ٢/ص ١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢/ص ١٧١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢/ص ١٧١.

اللفظية، مثل: الواو وعلاقات التضمن<sup>(١)</sup>، المتمثلة في كون هذا الشخص جزءاً من كل، وعلاقات التطابق الذاتي<sup>(٢)</sup>، المتمثلة في عودة الضمائر في التشبيه إلى الكافر وإلى الكلب. ثم اشتغال التشبيه على أدوات وصل سببية، فسبب القصص هو ما فعله الكافر ومن لف لفه من الأمم التي كذبت الأنبياء والرسول، ثم إن هذا التشبيه يتضمن بنية الشرط، ومعلوم أن التعالق الشرطي هو أقوى درجة من درجات الربط؛ لأنه تعالق سببي<sup>(٣)</sup>.

ويتضمن هذا التشبيه من مبادئ علم النص الترابط القضوي، بمعنى أنه يتضمن ترابطات أساسها وحدة القضية، أي وحدة الهدف، ويعزز هذا المنحى ويعطيه أهمية أن هذه القضايا غير خاضعة للتأويل، فهي قضايا واضحة مترابطة بصورة لا تدفع المتلقي إلى تشغيل رسالات لغوية بقصد تأويل الرسالة الأم<sup>(٤)</sup> (التي هي هنا عبارة عن التشبيه وارتباطاته السابقة واللاحقة). فالعلاقة هنا هي علاقة تسلسلية تدرجية معززة لعلاقتي العموم والخصوص<sup>(٥)</sup>.

نستنتج مما سبق أن هذا الموطن من التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم يثبت فعالية التشبيه في عملية البناء النصي على جميع المستويات: اللغوية والعلاقات التركيبية والعلاقات الدلالية، بمعنى أنه ذو أثر بنائي واضح وله مظهرات وظيفية نصية كثيرة، وفي ما يلي بحث لها.

(١) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٦.

(3) See: John Haiman & Sandra A. Thompson: *Clause Combining in Grammar and Discourse*, John Benjamin's Publishing and company, Amsterdam/ Philadelphia, 1988, p.289.

(4) Brown, Gillian & Yule, George. (1987). *Discourse analysis*. Cambridge University Press. p. IX

(٥) سمير استيتية، علم اللغة التعليمي، دار الأمل للنشر والتوزيع، (د.ط)، الأردن - إربد، (د.ت)، ص ٢٠٨.

### المبحث الرابع: المظاهر الوظيفية للتشبيه التمثيلي في القرآن الكريم

ثبت عن طريق الرصد والتحليل لنماذج من التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم أنها تضطلع بمجموعة من المهام، ولكن أكثر دقة، تظهر بمظاهر وظيفية متنوعة، وهذه المظاهر كلها من صميم اللغة الأم، لغة القرآن الكريم نفسه، هذا النص العظيم المعجز، وهي وظائف ومظاهر تحدث عنها المنظرون لعلم اللغة النصي، معظمها مجردة، ذات أمثلة نثرية مجتزأة، وما يجلي هذه الوظائف إلا التطبيق الحقيقي على القرآن الكريم، ويقوم التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم بالوظائف اللسانية النصية التالية:

#### أ. التضمن المتفاعل للتقنيات الرابطة

إن بنية التشبيه التمثيلي التركيبية هي بنية لغوية متفاعلة، وهو يتضمن مجموعة من تقنيات الربط، فهو -إن صح التعبير- مظلة تتطوي تحتها مجموعة من التقنيات الرابطة، وهذا من الأدوار المهمة التي يضطلع بها التشبيه التمثيلي، فهو -إن صح التعبير- تقنية شاملة تضم مجموعة من التقنيات الأخرى التي تسهم في عملية البناء المتفاعل، وهي تقنيات متفاعلة ومتوالدة، وهذا التوالد يؤكد أن عوامل النظم هي التي تحدد علاقات المعاني في داخل النص، والتشبيه هو أحدها، بل هو الذي يسهم في صنع البيئة اللغوية للنص، كما أنه يربطها بالبيئة غير اللغوية، فيحدث الفهم الحي للنص، فكل "وحدة لغوية إنما تشتمل على البيئة الأولى هي البيئة اللغوية، والبيئة الثانية هي ما وراء البيئة اللغوية، ويعني ذلك أن التفسير قد يتم من داخل البيئة اللغوية أو من خارجها. وتسمى أداة الربط أداة داخلية حين تعمل في إطار البيئة اللغوية للنص"<sup>(١)</sup>، وهذه الروابط مهمة لبنائية النص، وقد "تشير أداة الربط إلى عنصر سابق عليها أو لاحق عليها"<sup>(٢)</sup>. وبتطبيق هذا المعيار نجد أن التشبيه بيئة حاضنة للبيئتين اللغوية وغير اللغوية، إذ تتكامل الروابط داخل بنية التشبيه معززة دور التشبيه

(١) يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، ط١، مكة المكرمة،

١٤١٠هـ، ص ٣٦.

(٢) نفسه، ص ٣٦.

في السابق واللاحق، من هنا تأتي أهمية الفهم الحي للتشبيه، يقول الله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠) في هذا النص التشبيهي نجد شتى أنواع التقنيات الرابطة، الإجمال والتفصيل، الوصل الإضافي (استخدام أدوات العطف) الواو وثم، ثم ترابط للأطر الفكرية المحددة للأفكار والقضايا التي تتناولها هذه الآية، كذلك استخدام العنصر السببي، ويمكن تفصيل ذلك بالجدول الآتي:

| <u>المشبه وتفصيلاته</u>                                                               | <u>المشبه به وتفصيلاته</u>                               | <u>التقنية النصية</u>                                                                                                                                                                                                                                                                           |
|---------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الحياة الدنيا                                                                         | الغيث                                                    | الإجمال والتفصيل                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| أما التفصيلات فهي:<br>- لعب ولهو.<br>- وزينة وتفاخر.<br>- وتكاثر في الأموال والأولاد. | - نباته أعجب الكفار.<br>- يهيج مصفراً.<br>- يكون حطاماً. | - روابط ملفوظة (الواو - أداة التشبيه - نفسها - ثم).<br>- رابط أسلوب لغوي (تتابع الصيغ المتشابهة) وهي: لعب ولهو وتكاثر وتفاخر وبهيج ويكون.<br>- تقنية الرابط الملحوظ والمعمدة على التوازي (الإجمال والتفصيل).<br>- رابط تصوري ذهني.<br>- اقتران التشبيه بتشبيه آخر<br>(ما الحياة الدنيا إلا متاع |

|                                                                                                |  |  |
|------------------------------------------------------------------------------------------------|--|--|
| <p>(الغرور)</p> <p>هذا زيادة في عملية الجمع</p> <p>بين الطرفين المركبين لوجه</p> <p>الشبه.</p> |  |  |
|------------------------------------------------------------------------------------------------|--|--|

إنها حقاً هندسة فكرية حقيقية قائمة على الإدراك الحقيقي لأهمية التشبيه في عملية الفهم والإفهام، ثم هذه التفصيلات المتعلقة بحال الدنيا وكذلك حال الغيث (المزرعة) تمثل مجموعة من البؤر اللفظية والدلالية التي تسهم في انسجام الخطاب القرآني، وجعله أكثر التصاقاً بالنفس وأكثر إفهاماً، والسؤال المهم والأكبر هنا: ما الغرض أو ما الدافع من وراء هذا التشبيه الكلي في النص أو في السورة القرآنية؟ لا شك أن الإجابة هي تحليل لساني نصي منظم، إنها تلقي الضوء على الوظيفة أو المظهر الثاني من المظاهر الوظيفية للتشبيه التمثيلي في القرآن الكريم، وهو ترابط الأطر والمشاريع النصية الكبرى.

#### ب. ترابط الأطر والمشاريع النصية الكبرى

اهتم علماء النص بمسألة التأطير وترابطاتها ثم حركتها داخل المشروع النصي، فالأطر تشمل الأجزاء والمكونات والاستعمالات، أما المشروعات فهي آليات ترابط هذه الأجزاء والمكونات والاستعمالات التركيبية<sup>(١)</sup>، ولا بد من عملية تنشيط موسعة لهذه الآليات ليحدث التفاعل، فهي جزء من المساحات في نماذج عالم النص، ومعلوم أن المساحات في "نماذج عالم النص يمكن أن ينظر إليها من حيث هي حالات مفهومية كبرى وتنشأ هذه البنيات غالباً من باطن النص"<sup>(٢)</sup>. ويمكن بناءً على هذا التصور اعتبار التشبيه التمثيلي تقنية تمثل حالة مفهومية كبرى تتطلب لها بنية النص القرآني نفسه؛ ومن هنا تعمل هذه التقنية على ربط السياقات القرآنية بعضها ببعض،

(١) انظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب، مرجع سابق، ص ٣٥٤.

(٢) نفسه، ص ٣٥٣.

والأمر لا يقتصر على الترابطات الحاصلة بين التراكيب المتضمنة للتشبيه فحسب، بل ما قبل التشبيه بما بعده، وقد يمتد هذا ليشمل مجموعة من الآيات القرآنية التي توضح مجموعة الأفكار الكلية، وهذا يؤكد أن بنية التشبيه في النص القرآني تشكل عاملاً مهماً يمكن من الإسهام في الكشف عن العلاقة بين القضايا المفصلة أو المركبات القضية حول المضمون الكلي للنص، ثم تحديد العلاقات المنطقية الدلالية للمضامين أو الموضوعات الجزئية الخاصة بالموضوع الكلي (البنية الكبرى) للنص<sup>(١)</sup>. فهو يمثل هنا بنية ارتدادية دائرية، ولا نريد الحكم على الموضوع مسبقاً، ولكن يمكن القول: إن التشبيه التمثيلي هو عامل ترابط فيما يتعلق بالأطر والمشاريع المرتبطة بالنص القرآني، ولو تم النظر في الشاهد السابق، لتم إدراك صدق هذا القول، إذ سبقت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ وَأَجْرُكُمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ﴾ {الحديد: ١٨-١٩}.

فالإطار العام النصي هو توضيح سلسلة الأفكار والدلالات التي توضح حال المتصدقين والمتصدقات والشهداء، وقد تم التعبير عنه بمشروعات لغوية مؤسسة على أساس تتابعات تركيبية نصية: صوتية ونحوية وأسلوبية، ثم مشروع دلالي قائم على أساس المقابلة بين حال هؤلاء الصديقين والشهداء وحال الذين كفروا وكذبوا بآيات الله - عز وجل - وقد اقتضى الإطار الأساس وهو (التركيز على فكرة الجهاد) سرد هاتين الآيتين وإتباعهما بالنص التشبيهي في الآية (٢٠)، يقول القرطبي: "قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ وجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفاً على نفسه من القتل، وخوفاً من لزوم الموت، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي

(١) انظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة:

سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٩٠.

أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى...<sup>(١)</sup>، فهذا تبرير لاتصال هذا الكلام بسابقه. وأن هذا التشبيه جاء ليعبر عن إطار منظم سابق له، وتالٍ له، ودليل ذلك الآية (٢١) من السورة نفسها، يقول الله عز وجل: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. فهذه الآية مرتبطة بالتشبيه التمثيلي في الآية السابقة، فالتشبيه هنا يمهّد للتركيز على المغفرة التي تشكل مشروعاً نصياً فكرياً يحمل مجموعة من القضايا، وهنا دعوة صريحة إلى المغفرة والمسارة إليها، يقول أبو حيان الأندلسي: "ولما ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة، أمر بالمسابقة إليها، والمعنى سابقوا إلى سبب مغفرة وهو الإيمان وعمل الطاعات. وقد مثل بعضهم المسابقة في أنواع، فقال عبدالله: كونوا في أول صف في القتال...<sup>(٢)</sup>..". وهنا تركيز على القتال وهذا يعيد المرء إلى فكرة الجهاد والقتال، وفي هذا أعلى درجة من درجات الترابط بين المشاريع النصية الخاصة بالنص القرآني، ولو تم النظر في الشاهد التالي لتأكدت وترسخت حقيقة أن التشبيه التمثيلي يلعب دوراً مهماً في ترابط الأطر والمشروعات النصية القرآنية، يقول الحق عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَوْقٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْطَارَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، يركز الحق عز وجل هنا على مسألة الإنفاق في سبيل الله وكيفية زكاته ونمائه عنده، فهو هنا يشبه حال الذين ينفقون في سبيله بالجنة في بقعة مرتفعة على درجة كبيرة من النقاء والطيبة،

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٤٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ١٧/ص ٢٥٤.

(٢) أبو حيان محمد بن علي بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ١٠/ص ١١٠.

وكذلك شبهت نفقتهم بالكثرة بالمطر الشديد العظيم القطر (الوابل)، وكذلك النفقة القليلة بالمطر القليل (الطل)، والله عز وجل يثيب على الكثير والقليل، والجامع في هذا التشبيه الرفعة والسمو أي: المنزلة والمكانة العالية، والنماء المستمر، والسؤال هنا: لم استخدم هذا التشبيه في هذا السياق القرآني؟ لقد سبق هذا التشبيه بتشبيه آخر في الآية (٢٦١) من السورة نفسها وهو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة: ٢٦١}، وهذا التشبيه فيه تصوير للمنفق ماله في سبيل الله يصدق محتسباً هذا الإنفاق عند الله ولوجهه، فما ينفقه فيه نماء وتزايد وتضاعف فمثله كمثله الحبة التي تنبت سبع سنابل وفي كل سنبل مئة حبة وقد جاء قبل الآية الكريمة (٢٦٥) تشبيه آخر في قوله تعالى في السورة نفسها: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم..)، فهذا تشبيه يتناول إنفاق المرأة كما يظهره النص القرآني. إن الله عز وجل قد تناول ثلاثة وجوه من الإنفاق في الآيات (٢٦١-٢٦٤-٢٦٥)، الإنفاق بصدق واحتساب (٢٦١)، وإنفاق المرأة (٢٦٤)، وإنفاق الصدق والإخلاص (الإنفاق اليقيني) (٢٦٥)، ماذا يعني ذلك؟ إن بنية التشبيه جاءت لتربط سلسلة التشبيهات التمثيلية في الآيات الكريمة، ثم إن هذا التسلسل في سرد التشبيهات يشكل ترابطاً للمشروعات القرآنية القائمة على التمثيل للأطر الخاصة بعملية الإنفاق، والتي هي بدورها ترد إلى سلسلة المشروعات النصية الكبرى التي تتضمنها سورة البقرة، وقد تم التعبير عنه بمشروعات مرتبطة بالإنفاق اليقيني الصادق، فهذه الآيات المتضمنة للتشبيه هي تفصيل لما تم إجماله في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ {البقرة: ٢٤٥}، يقول القمي النيسابوري: "إنه سبحانه لما ذكر من أصول المبدأ والمعاد ما اقتضاه للمقام أتبعه ببيان التكاليف والأحكام. قال القاضي في كيفية النظم: إنه تعالى لما أجمل في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا



كثيرة»، فصل بعد ذلك بهذه الآية تلك الأضعاف....<sup>(١)</sup>. يشير النيسابوري إلى أن السبب من وراء ذكر التشبيه هو التأسيس لعلاقة الإجمال والتفصيل، وهي من أقوى العلاقات التي تميز اتساق النص وانسجابه؛ لأنه يقوم على تمام التفسير، وقد كان محققاً الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى- حينما عدَّ الإجمال والتفصيل من العناصر المهمة في عملية فهم المعنى، فهو "يبين بعضه بعضاً حتى إن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى"<sup>(٢)</sup>.

### ج. الإشارة إلى البعد المرجعي

يشكل البعد المرجعي بحثاً مهماً من الأبحاث التي تناولها علماء النص؛ ويقصد البحث بالبعد المرجعي الإحالة، لما لها من أهمية ملحوظة في عملية انسجام النص واتساقه، فالمرجع هو عنصر لفظي لا يتضح معناه إلا عن طريق العلاقة بينه وبين ما يوضحه سواء أكان سابقاً أو لاحقاً؛ وبناء على هذا؛ فإنه يجعل من الجانب الدلالي إطاراً له، ويبني العلاقات النصية فيما بين أجزاء الخطاب الواحد وسلسلة الخطابات النصية مجتمعة<sup>(٣)</sup>. ولا يتسع المجال هنا لتناول أقسام المرجع ووظائفه واستعمالاته، ولكن نشير هنا إلى أن أسماء الإشارة والضمائر وأدوات المقارنة العامة والخاصة هي من أبرز أدوات المرجع؛ لأنها تحيل إلى ماهيات سابقة ولاحقة<sup>(٤)</sup>، وفي التحليل النحوي التقليدي نجد أن النحويين كانوا قد اتفقوا على أن الضمير يحتاج إلى ما

(١) نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ط١، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ، ج١/ص٦٦٣.

(٢) إبراهيم بن موسى اللخمي الغزنائي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات، (٤ مجلدات)، تحقيق: عبدالله دراز، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، ج٣/ص٤٢٠.

(٣) انظر: بحيري، علم لغة النص، مرجع سابق، ص ٨٠-٨٥.

(4) Halliday.M.A.K.&Hasan,R: Cohesion in English, Longman Group L.T.D.,1983,p.33.

يفسره، وقد يفسر مفرداً وقد يفسر جملة<sup>(١)</sup>. ويضم التشبيه التمثيلي في بنيته اللغوية مجموعة من الضمائر وأسماء الإشارة التي تشكل بنى مرجعية تحيل إلى سياقات لها أهمية كبيرة في فهم النص القرآني، يقول الحق عز وجل: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ﴾ {المرسلات: ٣٢-٣٣}، يتضمن هذا النص القرآني الإشارة إلى الصور المرعبة لنار جهنم، إذ شبهت نار جهنم بالقصر العالي والإبل السوداء، وهذه التفاصيل التصويرية هي من الأشياء التي يعاينها الإنسان ويحس بها، فهي تقرب الصورة له، إنها نار جهنم ذات الأهوال والإيقاعات المتفرقة في كل مكان، وقد تضمن هذا النص بنية التشبيه التي هي بدورها احتوت على عناصر مرجعية وهي الضمير (إنها) الذي يعود على النار، والتي تم ذكرها في السياقات القرآنية السابقة من السورة نفسها، ثم الضمير في "كأنه" الذي يعود على الشرر، الذي هو يدور كالقصر، فاقتران التشبيه بالتشبيه وعودهما على ماهيات إحالية متعددة فيه درجة كبيرة من درجات الاتساق والانسجام، واللافت أن هذه البنية الإحالية تعيد بل تدفع الإنسان إلى النظر ليس في السابق وحده وإنما في اللاحق، وكأن الإحالة تمهد لتأكيد حلول الويل بالمكذابين يوم القيامة، وهذا الويل تكرر ذكره في السورة غير مرة. وقد تشير بنية التشبيه إلى النظر في المرجع المقامي، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ {آل عمران: ١١٦-١١٧}. هنا التشبيه يحيل إلى ماهيات مختلفة فيمن نزلت فيهم، وهذا الخلاف على "أربعة أقوال: أحدها: إنها في نفقات الكفار وصدقاتهم، قاله مجاهد. والثاني: في نفقة سفلة اليهود

(١) انظر على سبيل التمثيل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ): شرح المفصل، عالم

الكتب، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، ج ٣/ص ١١٠.

على علمائهم. قاله مقاتل. والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر. والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن الماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم<sup>(١)</sup>. من هنا تكتمل دائرة الانسجام الذي يوفره النمط الإحالي المرجعي بمؤازرة البنية التشبيهية، وهذا يثبت أهمية الترابط والمناسبة في عمل المفسرين مع العلم أن "البحث في الترابط والمناسبة ليس عملاً ميكانيكياً من منظور المفسرين..."<sup>(٢)</sup>.

#### د. الوظيفة الإقناعية

إن بنية التشبيه هي بنية استدلالية، والإقناع هو غرض العملية الحجاجية، وقد جعل روبرت دي بوجراند عنصر المقبولية من العناصر المهمة التي تعكس مدى استجابة المتلقي للنص وقبوله له. وهذا يعني أنه يقع على عاتق النص تولي مسألة الإقناع، وهنا تدخل مسألة إبراز دور الطرف الأول من أطراف عملية الاتصال وهو المرسل في عملية الإقناع هذه، إذ يقوم المرسل بإيصال خبر إلى المستقبل، ويقوم بوظيفة انفعالية تهدف إلى إحداث تأثير في الشعور. ويحدث هذا -برأي ياكوبسون- بأدوات الانفعال والتتغيم<sup>(٣)</sup>، وهو برأي الباحث يحدث بآليات أخرى توفرها الإمكانيات اللغوية، فطريقة "تصميم النص إنما تعتمد على ظروف الواقع، والمهم دائماً هو أن

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، ج ١/ص ٣١٧. وانظر: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، تدقيق ومراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج ٣/ص ١٣٩.

(٢) محمد خطابي، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٣) انظر: برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب والبلاغة وعلم اللغة النصي، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، ١٩٨٧م، ص ١٠٦-١٠٨. وانظر: محمد عزام: التحليل الأسلوبي للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤م، ص ٩٤-٩٥.

يكون النص فعالاً ومؤثراً ومناسباً<sup>(١)</sup>. والتشبيه التمثيلي هو جزء من منظومة العملية التصويرية، إذ يقوم بمهمة تحديد المعنى المراد قوله وتوكيده وترسيخه في الذهن (ذهن المتلقي)، وقد يكون بالمستطاع استعانة التشبيه بعنصر المبالغة للقيام بوظيفته على أكمل وجه<sup>(٢)</sup>. وعن طريق تحليل نماذج متعددة من صور التشبيه التمثيلي في سور مختلفة من سور القرآن الكريم يمكن القول: إن التشبيه قد شكل استراتيجية لا توضيحية وتأكيديّة فحسب بل إقناعية غرضها إقناع القارئ بما تتضمنه التراكيب القرآنية من معان دينية وأخلاقية وسلوكية، وتجلي ذلك من خلال الصورة نفسها، وطريقة عرضها اعتماداً على مبدأ ذكر نماذج دلالية مهيبة مؤثرة، تشدّ الهمم وتنشط الفكر، وتدفع إلى عملية الاستدلال والمقايسة، ومن الصور المهيبة للتشبيه التمثيلي -وهي كثيرة- ما يذكره الحق -عز وجل- في سورة الأعراف، وهو ربط البعث بعد الموت بإحياء الأرض بعد موتها، وهذا تفاعل وربط بين الحسي والمعنوي لإبراز المعنوي وتبيينه، وهنا تأتي البراعة القرآنية في رسم المشهد؛ لأن في هذا ما يلفت النظر إلى إمكانية قياس المعنوي على الحسي وتنزيله موقع المتخيل، يقول الحق عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَنَاتٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ {الأعراف: ٥٧}، يقول ابن عاشور: "جملة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ﴾ عطف على جملة: ﴿يُعْشَى أَيْلَ النَّهَارِ﴾ {الأعراف: ٥٤} وقد حصلت المناسبة بين آخر الجمل المعترضة وبين الجملة المعترض بينها وبين ما عطف عليه بأنه لما ذكر قرب رحمته من المحسنين ذكر بعض رحمته العامة وهو المطر. فذكر إرسال الرياح هو المقصود الأهم لأنه دليل على عظم القدرة والتدبير، ولذلك جعلناه معطوفاً على جملة: ﴿يُعْشَى أَيْلَ النَّهَارِ﴾ {الأعراف: ٥٤} أو على جملة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

(١) دي بوجراند، النص والخطاب، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢) يوسف عوض، علم النص، مرجع سابق، ص ٥١.

[الأعراف: ٥٤]. وذكر بعض الأحوال المقارنة لإرسال الرياح يحصل منه إدماج الامتتان في الاستدلال وذلك لا يقتضي أن الرياح لا ترسل إلا للتبشير بالمطر، ولا أن المطر لا ينزل إلا عقب إرسال الرياح، إذ ليس المقصود تعليم حوادث الجو... وجملة: {كذلك نخرج الموتى} معترضة استطراداً للموعظة والاستدلال على تقريب البعث الذي يستبعدونه، والإشارة بـ(كذلك) إلى الإخراج المتضمن له فعل {فأخرجنا} باعتبار ما قبله من كون البلد ميتاً، ثم إحيائه أي إحياء ما فيه من أثر الزرع والثمر، فوجه الشبه هو إحياء بعد موت، ولا شك أن لذلك الإحياء كيفية قدرها الله وأجمل ذكرها لقصور الإفهام عن تصوورها..<sup>(١)</sup>

فهو هنا يبرز الجوانب الاستدلالية جميعها، وكذلك الأحوال الخاصة بمسألة تلقي التشبيه والتأثر به؛ لأن الصور مجلجلة مدوية، مهيبة ومخيفة، فيها كيفيات قدرها الله ولا يعلمها إلا هو عز وجل. وهناك صورة مرهبة أخرى يذكرها الله في سورة المعارج، إذ يقول: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۖ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ {المعارج: ٤٣-٤٤}. إن تحليل بنية التشبيه اللغوية والبلاغية يثبت مدى الدور الذي يلعبه التشبيه في عملية الترغيب والترهيب، فالله -عز وجل- يشبه الكافرين في خروجهم من قبورهم يوم القيامة على سبيل التمثيل، إذ شبههم وهم يخرجون مسرعين إجابة إلى الداعي الذي يدعوهم إلى أمر مخيف بصورة الذين يسرعون متدافعين إلى الأوثان من عبادة الأصنام، هذه الأصنام التي كانوا قد نصبوها ليعبدوها. فهو يشبه حالة الإسراع في موقف الحساب بحالة الإسراع والتسابق في حال الدنيا إلى آلهتهم وطواغيتهم، ولا شك أن هذا التشبيه يحمل لوناً من ألوان التهكم والاستخفاف بعقول المشركين، فهم عبدوا ما لا يستحق العبادة، وتركوا ما يستحقها فهم يسرعون ويتدافعون إلى الأصنام، وهم الآن يسارعون في ذلة وخشوع إلى إجابة الداعي، وهم فاقدو الوعي مسلوبو الإرادة، والسؤال هنا: كيف كانوا وكيف أصبحوا؟، لقد كانوا "يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٣/ص ١٣٩.

كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي أولهم على آخرهم<sup>(١)</sup>. وهم الآن ينهضون أذلاء مقهورين فسبحان الله العلي العظيم.

### هـ. تعزيز مبدأ التأثير

معلوم أن النص القرآني هو نص معجز مؤثر، وهناك أدوات للتأثير - كما تمت الإشارة - وهناك ما يعزز هذا الجانب التأثيري ويقويه وهو مبدأ: "الانفعال"، ويؤكد البحث أن مبدأ التأثير هو مصطلح دينامي يتكرر في كتب علم النص ونحو النص جميعها دون استثناء، فالتشبيهات التمثيلية جميعها تدفع إلى الانفعال، ولكن هناك بعض النماذج القرآنية ظهر فيها المبدأ الانفعالي ظهوراً بارزاً؛ يعكس الرغبة الحقيقية في عملية جعل المثل أوقع في القلوب وأثبت في النفوس، ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿مَنْهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ٧٧﴾ صُمْ بُكُمْ عَمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٠﴾ {البقرة: ١٧-٢٠}.

إن السياق العام الذي نزلت فيه هذه الآيات التي تضمنت هذه الصور التشبيهية هو وصف حال المنافقين، وسوء تصرفهم. وتوضيحاً لسوء تصرفهم وشدة حيرتهم واضطرابهم؛ جاء الحق - عز وجل - بهذين المثليين، وهذان المثلان يعززان مبدأ الانفعال الصادق عند الإنسان المؤمن إيماناً سليماً، ولفت نظر الإنسان العادي إلى سوء التصرف والسلوك من قبل المنافقين، فهذه أمثال تضرب "لإيضاح المعنى الخفي

(١) القرطبي، مصدر سابق، ج ١٨/ص ٢٩٧.

وتقريب المعقول من المحسوس، وعرض الغائب في صورة الشاهد، فيكون المعنى الذي ضرب له المثل أرفع في القلوب وأثبت في النفوس<sup>(١)</sup>، والتأمل في تفسير المفسرين لهذه الآيات المتضمنة لهذا النوع من التشبيه يجد أن سبب النزول ومناسبته، فيه ما يدفع الإنسان إلى الانفعال الحي والتواصل الإيجابي، إذ ينقل الطنطاوي أن للعلماء رأيين في تطبيق هذا المثل على المنافقين، أما الرأي الأول فيرى أصحابه أنه قد ضرب في قوم دخلوا الإسلام عند وصول النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وما لبثوا أن تحولوا إلى الكفر والنفاق، فيقال في تطبيقه عليهم: "إن قصة هؤلاء المنافقين الذين اكتسبوا بإيمانهم نوراً، ثم أبطلوا ذلك بنفاقهم، ووقعوا في حيرة عظيمة كقصة من استوقدوا ناراً؛ فلما أضاءت ما حولهم، سلب الله منهم الضوء فراحوا في ظلام لا يهتدون منه سبيلاً"<sup>(٢)</sup>، أما الرأي الثاني فيتلخص في أن هذا المثل ضرب في قوم لم يسبق لهم إيمان، فكان دخولهم في الإسلام في بداية أمرهم نفاقاً، فيقال في تطبيق هذا المثل عليهم: "إن قصة هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام نفاقاً، فظفروا بحقن دمائهم وبغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين، وتمتعوا بذلك في الدنيا قليلاً ثم صاروا إلى ظلمات العذاب الدائم في الآخرة -قصة هؤلاء كقصة من استوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعوا بها، فأضاءت ما حولهم قليلاً، ثم طفت وصاروا إلى ظلمة شديدة مطبقة"<sup>(٣)</sup>. فهذه التفسيرات تدفع بالإنسان حينما يقرأ هذه الآيات أن يمقت أسلوب المنافقين مقتاً لا يقابله مقت، بل إنها تولد في نفس الإنسان مضاعفة ومضاعفة كره المنافقين، وسلوكهم، وطرائقهم في التفكير، وهنا تلتقي وظائف اللغة ممثلة بالتركيب التشبيهية والتصريح بـ(كمثل)، ثم تتابع التركيب التشبيهية مع الوظائف البلاغية

(١) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، دار نهضة مصر بالقاهرة،

ج ١/ص ٦٤.

(٢) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ١/ص ٦٥.

(٣) نفسه، ج ١/ص ٦٥.

التصويرية، وهذا كله يفضي إلى تحديد الدلالات الدقيقة التي تعمل على تحديد (توجيه المعنى الكلي للنص)، ولا شك أن توجيه المعنى الكلي للنص، وتحديد شبكة العلاقات والترابطات النصية، من المهام الأساسية لعلم اللغة النصي.

ويظهر في كثير من النماذج القرآنية أن التشبيه التمثيلي يعمل على تحديد شبكة الترابطات، وتعزيز أثرها الانفعالي بطريقة لا تسد مسدها عملية أخرى، كما هو الحال في سورة المدثر، وكيفية تصوير نفرة الكفرة بعد دعوة الإسلام وعقيدة التوحيد، إذ يقول الحق: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٥١﴾ كَانَهُمْ حُمُورٌ مُّسْتَفِرَّةٌ ﴿٥٢﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٣﴾﴾

{المدثر: ٤٩-٥١}، إن تصوير نفرة كفار مكة من الدعوة الإسلامية استلزم صورة مركبة تستثمر دلالات اللغة، وتراكيبها، بصورة فيها نوع من التأكيد التصويري الذي يتمثل بفرار الحمر من أسد هصور؛ والسبب في ذلك أو في هذا الاختيار أن المشركين لا يثبتون على حال، وهكذا الحمر المستفزة، وبخاصة التي نفر من أسد هصور، يقول ابن كثير: "أَيُّ كَانَهُمْ فِي نِفَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ حُمُرٌ مِنْ حُمُرِ الْوَحْشِ إِذَا فَرَّتْ مِمَّنْ يُرِيدُ صَيْدَهَا مِنْ أَسَدٍ"<sup>(١)</sup>. فهذه الصورة تدفع في نفس الإنسان التفكير وإعمال الذهن في حال النفور الذي يكون عليه الإنسان، وكيف أن هذا النفور يضيّع على الإنسان الخير والفائدة والحياة، وتظهر حالة الإعمال الذهني في كثير من التشبيهات التمثيلية في القرآن الكريم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾، فتشبيه أعمال الكفار بالرماد أمر بحد ذاته فيه لفت للأنظار واحتقار لهم، أما أن يتبع هذا الرماد بما يحرقه وهو في الأصل حقير، فهذا من أبلغ البلاغة؛ "فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد

حسين شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ج٨/ص٢٨٢.



الكفار في أنه يمحّوها كما تمحّق الرّيح الشديدة الرماد في يوم عاصف<sup>(١)</sup>. وعناصر المشبه به الخاصة بالكفار وحالهم تسير من الحقيّر إلى الأحقر، وفي هذا تعزيز لمبدأ الانفعال الخاص بالقارئ المتلقّي للقرآن الكريم حينما يسمع هذه الآية، وكأنّ هذه العناصر تأتي معبرة عن المعنى الكامن أو الموجود بالقوة، وهذا يشكل المستوى الثالث من مستويات المعنى، ذلك أنّ "للمعنى مستويات ثلاثة: المستوى الأول هو المعنى اللغوي المأخوذ من دلالات الكلمات والجمل، ثم معنى الكلام وهو المعنى السياقي، ثم المعنى الموجود بالقوة أو الكامن"<sup>(٢)</sup>. فهناك قوة حقيقية تقف وراء هذا النوع من التشبيه، إنها مقصدية تعزيز مبدأ الانفعال عند القارئ أو المستمع للنص القرآني.

#### و. التطابق والإعادة والقضوية

احتلت علاقات التطابق والإعادة مكانة بارزة في بحث علماء لغة النص، ويتجلى مبدأ التطابق الذاتي -كما تمت الإشارة- في تكرار الضمائر أو ما يحيل إلى ذات سابقة، وإعادتها<sup>(٣)</sup>، هذا فيما يتعلق بمبدأ التطابق والإعادة، أما القضية فهي أن تحكم علاقات الجزئية والكلية سلسلة التراكيب النصية<sup>(٤)</sup>. وثبت عن طريق التحليل لشواهد قرآنية متنوعة أن التشبيه التمثيلي يتضمن مثل هذه العلاقات، يقول الحق عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْدَرًا فَأَنْبَثْنَا بِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ {ق: ٩-١١}. فكرة الآيات

(١) عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج١/ص٤٢٤.

(2) George Yule: The Study of Language. Cambridge: Cambridge University Press.1987, p.97.

(٣) انظر: برينكر، مرجع سابق، ص٤٧-٥٨. وخطابي، مرجع سابق، ص٣٥.

(٤) انظر: خطابي، ص٥٥.

الكلية هي: إنكار المشركين للبعث، والأدلة الإلهية تأتي من حقائق وأدلة مادية ملموسة، تمثلت في التراكيب التي تسبق التشبيه، فقله تعالى: "(وكذلك الخروج)، جملة مستأنفة لبيان أن الخروج من القبور عند البعث مثله كمثل هذا الإحياء للأرض التي كانت جدياً ميتة، بأن أنبتت من كل زوج بهيج بعد أن كانت خالية من ذلك فوجه الشبه بين إحياء الأرض بالنبات بعد جديها، وبين إحياء الإنسان بالبعث بعد موته، استواء الجميع في أنه جاء بعد عدم"<sup>(١)</sup>. إن جميع التراكيب التي سبقت التشبيه والتي تضمنها التشبيه تحكمها علاقتا التطابق والإعادة، فهي متطابقة الضمائر والدلالات، ثم هي جميعها فيها إشارة إلى الحياة، وفكرة الحياة بعد الموت، وهذا فيه ما فيه من الاتساق والوحدة والترابط. ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ {النور: ٣٩}، إن النظر في سلسلة الأفعال المتتابعة مثل: (يحسبه، وجاءه، ويجده، وفوفاه)، وكذلك: (عنده، وحسابه)، يجد أنها محكومة بعلاقة التطابق، فهي تضم مجموعة من الضمائر التي تعود إلى مراجعها الحقيقية، وكذلك قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ يمثل نوعاً من أنواع الإعادة الضمنية التي هي نمط تكراري؛ جاء ليؤكد معنى السراب، فالسراب لا شيء والظمآن لا يجد شيئاً، إنها البلاغة القرآنية، فما أعظم الخالق عز وجل!

### ❖ خاتمة:

بعد بحث التشبيه التمثيلي ووظائفه النصية في بعض الشواهد القرآنية، فإن البحث يثبت سلسلة النتائج التالية:

أولاً: مضامين علم النص التطبيقية أغنى ما تكون في القرآن الكريم، ويأتي التشبيه التمثيلي بوصفه مفردة أو تقنية بنائية نصية على رأس هذه المضامين.

ثانياً: يمثل التشبيه التمثيلي بنية علائقية، أسهمت بصورة فاعلة في تكوين البنى الجزئية (الصغرى)، والكلية (الكبرى) للنص القرآني، بمشاهده ومعانيه المختلفة.

(١) طنطاوي، مصدر سابق، ج ١٣/ص ٣٣٦.

ثالثاً: يظهر في كثير من النماذج القرآنية أن التشبيه التمثيلي يعمل على تحديد شبكة الترابطات النصية، ويعزز أثرها الانفعالي بطريقة لا تسد مسدها أي استراتيجية بناء أخرى.

رابعاً: للتشبيه التمثيلي أثر فاعل في الوحدة النصية لكثير من المضامين القرآنية، إذ يدخل في تكوين وظائف نصية تتجاوز مسألة التوضيح والتقريب والتأكيد للمعاني النصية، وفي وظائف نحوية نصية، أو لسانية نصية، تمت الإشارة إليها في متن البحث. وهي مهمة في العملية البنائية والتواصلية؛ التي تسهم في الانسجام والتماسك، وهذا ما يسعى علم النص إلى تحقيقه، وما حققه التشبيه التمثيلي بوصفه عنصراً بلاغياً في القرآن الكريم.

وفي النهاية فإنني أسأل الله - عز وجل - أن أكون قد وفقت فيما قدمت، فإن أصبت فبنعمة من الله، وإن أخطأت فبفعل العبد المقصر الفقير إلى رحمته تعالى، وأذكر بأن البحث اللساني النصي الذي يتوفر عليه علم النص، هو أغنى ما يكون في النصوص القرآنية؛ لذا يتوجب على الباحثين إدراك حقيقة هذا الأمر، والتوجه إلى القرآن الكريم والإقبال على آياته وسوره بجدية.

## ❖ المصادر والمراجع

## أ. المصادر والمراجع بالعربية

١. استيتية، سمير: علم اللغة التعليمي، (د.ط)، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن-إربد، (د.ت).
٢. بالخير، عبدالله، مقدمات في الحجاج والنص، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، ٢٠١١م.
٣. بحيري، سعيد:
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط١، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، لبنان: مكتبة لبنان.
- علم لغة النص نحو آفاق جديدة، مجموعة مقالات معربة، ط١، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٧م.
٤. برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد بحيري، ط١، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٥. الجرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
٦. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (٥٩٧هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٠هـ.
٧. أبو حمدان، سمير: الإبلاغية في البلاغة العربية، ط١، بيروت، باريس: دار عويدات، ١٩٩١م.
٨. أبو حيان الأندلسي، محمد بن علي بن يوسف (٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٩. خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١، بيروت- لبنان: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

١٠. درنوني، إيمان، **الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية الشعبية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ.
١١. دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ط١، ترجمة: د. تمام حسان، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م.
١٢. الزناد، الأزهر، **نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)**، ط١، بيروت- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.
١٣. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٤. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن علي، **مفتاح العلوم**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
١٥. شارودو، باتريك، **الحجاج بين النظرية والأسلوب**، ترجمة: أحمد الوردني، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٩م.
١٦. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، **الموافقات (٤ مجلدات)**، تحقيق: عبدالله دراز، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة.
١٧. شبلنر، برند. **علم اللغة والدراسات الأدبية**، دراسة الأسلوب والبلاغة وعلم اللغة النصي، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، ١٩٨٧م.
١٨. عباس، فضل، **أساليب البيان**، ط١، بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٧م.
١٩. عبدالعليم، مصطفى أحمد، **العلاقات النصية في القرآن الكريم- دراسة نحوية لجهود المفسرين**، بحث منشور في:  
[www.mohamedrabeea.com/books/book1\\_359.doc](http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_359.doc)
٢٠. عتيق، عبدالعزيز، **علم البيان**، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ط)، ١٩٧٤م.
٢١. العسكري، أبو هلال، **الصناعتين**، تحقيق: د. علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، (د.ت).

٢٢. عوض، يوسف نور، علم النص ونظرية الترجمة، ط١، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.
٢٣. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، دار نهضة مصر بالقاهرة.
٢٤. فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط١، بيروت: مكتبة لبنان، والقاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٦م.
٢٥. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٤٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٦. القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦٦م.
٢٧. القمي النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (٨٥٠هـ)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ط١، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
٢٨. ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
٢٩. هاينه من، فولفانج وديتر، فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح ابن شبيب العجمي، ط١، الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م.

## ب. المراجع بالإنجليزية

1. Brown, Gillian & Yule, George. Discourse analysis. Cambridge University Press. (1987).
2. Haiman, John & Sandra A. Thompson: Clause Combining in Grammar and Discourse, John Benjamin's Publishing and company, Amsterdam/Philadelphia, 1988.
3. Halliday, M.A.K. & Hasan, R: Cohesion in English, Longman Group L.T.D., 1983.
4. Yule, George: The Study of Language. Cambridge: Cambridge University Press. 1987.

24. fadal, slah: balaghat alkhitaab wa elm alnas, t 1, birut: maktabat lubnan, w alqahirat: alsharikat almisriat alalamiat lilnashr, 1996m.
25. alqartabi, 'abu eabd allah muhamad bin 'ahmad bin 'abi bikr (671 h), aljamie tafsir alqartabi, tahqiq: 'ahmad albrdwni wa'iibrahim 'atfish, t 2, alqahrt: dar alkutub almisriat, 1484 h-1964m.
26. alqazwiniu, alkhatib, al'iidah fi eulum albalaghat, alqahrt, (d.t), 1966m.
27. alqami alniysaburiu, nizam aldiyn alhasan bin muhamad (850 h), gharayib alquran waraghayib alfurqan, t 1, thqyq: zakariaaan eamirat, byrut: dar alkutub aleilmiat, 1416h.
28. abn kthyr aldamashaqqi, 'abu alfadda' 'iismaeil bin eumar (774h), nafsir alquran aleazim, tahqiq:an muhamad husayn shams aldiyn, t 1, birut: dar alkutub aleilmiat, 1419h.
29. haynah min, fulfanj w ditir, fyhfyjr, madkhal 'iilaa eilm allughat, trjmt: falh bin shbyb aleajami, t 1, alryad: matabie jamieat almalik sueud, 1999m.

### **b. almarajie bil'iinjliziati**

1. Brown, Gillian & Yule, George. Discourse analysis. Cambridge University Press. (1987).
2. Haiman, john & Sandra A. Thompson: Clause Combining in Grammar and Discourse, john Benjamin's Publishing and company, Amsterdam/Philadelphia, 1988.
3. Halliday.M.A.K. & Hasan, R: Cohesion in English, Longman Group L.T.D., 1983.
4. Yule, George: The Study of Language. Cambridge: Cambridge University Press.1987.

11. di bujrand, rubirt, alnasi walkhitab wal'ijra', t 1, tarjamat:an di.'itmam hisan , alqahrt: alam alkutub, 1998 m.
12. alzanad, al'azhar, nasij alnasi (bhutha fi ma yakun bihe almalfuz nsaan), t 1, bayrut -alddar albyda': almarkaz althaqafiu alearabiu, 1993m.
13. alsaediu, eabd alruhmin bin nasir (1376 h), taysir alkarim fi tafsir kalam almanan, thqyq: eabd alruhmin bin maeallaan alluwyyhiq, t 1, byrut: muasasat alrisalat, 1420 h -2000m.
14. alsakakiu, 'abu yaequb yusif bin eali, miftah aleulum, t 1, birut: dar alkutub aleilmiat, 1983m.
15. sharudu, batrik, alhujaj bayn alnazariat wal'uslub, tarjimat: 'ahmad alwuradniy, t 1, dar alkitab aljadid, 2009m.
16. alshaatibia, 'iibrahim bin musaa allikhamii alghurnatii t (790 h), almuafaqat (4 mujaladatin), tahqyq: eabd allah diraz, (d.t), biuruta: dar almuerifat.
17. shblnr, brand. eilm allughat waldirasat al'adbiat, dirasat al'uslub walbalaghat waealam allughat, tarjamat:an mahmud jabir alrab, aldaar alfaniyat lilnashr, 1987 m.
18. eabbas, fadal, 'asalib albayan, t 1, birut: dar alnafayis, 2007m.
19. eabd alealim, mustafaa 'ahmad, alealaqat aleamat fi alquran alkarim dirasatan nahwiatan lijuhud almufasirin, bahath manshur dimn almawqie al'iilikturni:  
[www.mohamedrabee.com/books/book1\\_359.doc](http://www.mohamedrabee.com/books/book1_359.doc)
20. eatiq, eabd aleaziz, eilm albayan, bayrut, dar alnahdat alearabiat, (d.t), 1974m.
21. aleaskariu, 'abu hilal, alsinaeatayn, thqyq: d. eali muhamad albjawy, muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar alfikr alearabiu, t 2, (da.t).
22. eiwad, yusif nur, eilm alnas nathariat altarjimat, t 1, dar althiqat lilnashr waltawzie, makat almukaramat, 1410h.
23. tantawi, muhamad syd, altafsir alwasit lilquran alkarim, t 1, dar nahdat misr bialqahirah.



## **\* almasadir walmarajie**

### **a. almasadir walmarajie bilarabyati**

1. estitiah, samir: elm allughatu altaelimey, (d.t), dar al'amal lilnashr waltawziei, al'urdun - 'iirbid, (da.t).
2. bialkхайri, eabd allh, muqademmat fi alhujaj walnas, manshurat mukhbir almumarasat allughawiat fi aljazayir, 2011m.
3. bihayri, saeid:
  - eilm lughat alnas almafahim walaitijahat,, t1,alqahrt: alsharikat almisriat alealamiyat lilnashr luunujimani, lubnan: maktabat lubnan.
  - eilm lughat alnas nahw afaq jadidah, majmuatu maqalat mueribat, t1, alqahirat: maktabat zuharaa' alsharuq, 2007m.
4. brinkr, klaws, altahlil allaghawiu lilnas madkhal 'iilaa almafahim al'asasiat walmanahiji, tarjamat: saeid bihyri, t1, alqahrt: muasasat almukhtar lilnashr waltawziei, 1431h-2010m.
5. aljurjani, abid alqahir, 'asrar albalaghat fi eilm albayan, thqyq: eabd alhamid handawi, t1, byrwt: dar alkitub aleilmiatu, 2001m.
6. abn aljawziu, jamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alruhmin bin eali (597h): zad almasir fi eilm altafsir, thqyq: eabd alrazzaq almahdi, t 1 , birut: dar alkitab alearabiu, 1420h.
7. 'abu hamdan, samir: hisabiat fi albalaghat alearabiat, t 1, bayrut, barys: dar euaydat, 1991m.
8. 'abu hian alandalosi, muhamad bin ali bin yusif (745 h), tafsir albahr almuhit, thqyq: sadqi muhamad jamil, dar alfikr, bayrut, 1420h.
9. khatabi , muhamad , lisaniyat alnas madkhal 'iilaa ainsijam alkhitaab, t 1 , bayrut lbnan: almarkaz althaqafii alarabii , 1991m.
10. dirnuni, 'iiman, alhujaj fi alnas alqaranii surat al'anbia' anmwdhjaan, risalat majstir, jamieat alhaj likhadir batinat, aljumphuriyat aljazayiriat, kuliyat aladab wallughat, qism allughat alearabiat, 2013 m -1434h.



## مآل البحث الاشتقاقي في اللسانيات الحديثة

الدكتور عزمي "عيال سلمان"

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية

كلية العلوم والآداب - جامعة نجران

المملكة العربية السعودية

### الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على البحث الاشتقاقي وبيان مسيرته في تاريخ الدراسات اللغوية، وللنجاح في هذه المهمة، التي لم تكن سهلة، كان على الدراسة أن تُبيّن وجهة نظر اللسانيات الحديثة في الموقع الذي يحتله الاشتقاق من الاتجاهات المعاصرة للبحث اللغوي، ولكي تُقيّم مُنجزه وتُضفي عليه القيمة المُستحقّة التي تتناسب مع هدفها الأساس -وهو أن تكون علمية بدرجة أولى- كان على اللسانيات أن تُوفّق بين خيال فقيه اللغة الذي لا يتعامل إلا مع أشكال اللغة القديمة، وليس لديه سوى معطيات السجلات المكتوبة المجردة من سياق الحال، ونظرة اللساني المعاصر الذي يتكئ على الواقع الحي للكلام المنطوق. وقد استطاعت اللسانيات بتوفّرها على المنظور التعاقبي والمنظور التزامني أن تُقدّم مبادئ فاعلة ونتائج إيجابية ملموسة، كان لها أثر كبير في تكوين تصوّرات دقيقة عن دور (الاشتقاق) في بناء اللغات ونموها، وقد استدعى منها استكمال هذه المهمة والنجاح في تحقيقها أن تضع تحديدات مهمة لعلاقة الاشتقاق بتغير اللغة وتطورها. فإيضاح آليات تكوّن اللغة، كما يعتمد على النظام الحالي للغة، لا يستغني أيضاً عن صور الأشكال السابقة المخزونة فيها، وأخذ هذين البُعدين بعين الاعتبار كان مصدر إلهام لكثير من اللسانيين في وضع تبصّرات جديدة خاصة بالملفوظ؛ لأنها تتطوي على تصور علمي دقيق لنظام اللغة بوصفه كلاً متجانساً غير مُختلّ التوازن.

الكلمات المفتاحية: (فقه اللغة، تاريخ اللغة، الاشتقاق، الجذر، نظام اللغة)

## Derivation in Modern Linguistics

### Abstract

This paper surveys the history of derivation in language studies. In order for the survey to bear fruit, it had to explain the position that derivation occupies in modern linguistics, to evaluate its achievement, and to reconcile the fancies of the old language expert who dealt only with the old forms and had little more than the written material that is unsupported by context or the realities of the current spoken language. By having the advantage of a historical as well as a current perspective, modern linguistics has been able to come up with positive tangible results regarding the role of derivation in language construction and growth. In order for it to achieve this task, it has had to come up with important guidelines in the study of the role of derivation in language change and development. Clarifying of language development, depending as it does on the current state of the language, cannot at the same proceed without taking the old forms embedded in it. Taking both of these dimensions at the same time has constituted the foundation on which many linguists have been able to come up with a precise scientific view of language as a balanced and coherent system.

Keywords: Philology, History of the language, Derivation, Root, Language system.

## مقدمة:

لقد سار علم اللغة حتى نهاية القرن التاسع عشر في ثلاثة أطوار متتالية قبل الوصول إلى تعيين موضوعه الحقيقي الوحيد، مع بداية القرن العشرين، على يد فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure)، ففي الطور الأول من تاريخ علم اللغة اشتغل العلماء بما كانوا يُطلقون عليه اسم (النحو)، وقد كان هذا النوع من الدراسة، الذي شرع فيه اليونانيون قديماً، قائماً على المنطق وخالياً من كل نظرة علمية غايتها دراسة اللغة في حدّ ذاتها، فوجهة النظر فيه ضيقة وقاصرة؛ لأنه كان على الدوام مبحثاً تقعيدياً غرضه وضع القواعد للتمييز بين الصحيح وغير الصحيح من صيغ الكلام.

ثم ظهر بعد ذلك في الطور الثاني ما يُسمّى بـ(فقه اللغة)، وقد سبق أن وُجدت قديماً في الإسكندرية مدرسة فقهية، إلا أن مصطلح (فقه اللغة) يقترن، بشكل خاص، بتلك الحركة العلمية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، والتي بقيت محافظة على تواصلها في ما بعد. وتجدر الإشارة إلى أن اللغة لم تكن موضوعها الوحيد؛ إذ إن همّ أصحابها إنما هو ضبط النصوص المكتوبة وتأويلها والتعليق عليها، وإنّ هم انبروا يدرسون المسائل اللغوية، فإنما يفعلون ذلك خاصة للمقارنة بين نصوص من عهود مختلفة لتفسيرها، ولتحديد الأسلوب الخاص بكل كاتب، أو لرفع العجمة عن الكتابات المنقوشة في لغة عتيقة أو غامضة. وكل ذلك العمل الذي قاموا به يعتريه نقص مُتعلّق بنقطة معينة، وهي أن فقهاء اللغة، بحسب عبارة سوسير، يتشبّهون باللغة المكتوبة في خنوع مُشيطٍ ساهين في ذلك عن اللغة الحية، وقد أفضى بهم عملهم هذا إلى اعتماد المنهج النقدي؛ ليعتنوا من خلاله بتاريخ الأدب والأخلاق والمؤسسات وغيرها.

وأما الطور الثالث فقد ظهر فيه ما اصطلح على تسميته بـ(النحو المقارن)، الذي بدأ مع نهاية القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر عندما اكتشف

بعض العلماء أنه يمكن مقارنة اللغات في ما بينها، فهناك وشائج تجمع بين اللغات التي تنحدر من أصل واحد. وتسلط الأضواء على لغة بالاعتماد على لغة أخرى وتفسير صيغ هذه بصيغ تلك هو عمل لم يُسبق إليه قبل ذلك الوقت، ومن هنا فإن العلاقات القائمة بين لغات تجمعها قرابة، يمكن أن تُصبح موضوعاً لعلم قائم بذاته، فما يجمع بين اللغات من صفات مشتركة هو وجه من وجوه الظاهرة اللغوية، والمقارنة بينها هي وسيلة ومنهج لإعادة بناء الوقائع اللغوية.

ومع الطورين الثاني والثالث من تاريخ علم اللغة وُجد اتجاه سعى للتوفيق بين الجهود الكبيرة التي قام بها فقهاء اللغة وعلماء النحو المقارن، ونتج عنه وضع المبادئ الأساسية للبحث الاشتقاقي، فقد شاعت الصدفية أن تكون للغة ما، ضمن المجموعة الواحدة، مؤهلات كبيرة تجعلها قميئة بأن تُثير سبيل البحث الاشتقاقي لمن يدرس اللغات الأخرى في جملة كبيرة من الحالات والمسائل، على نحو ما كانت عليه اللغة السنسكريتية بالنسبة لمجموعة اللغات الهندية الأوروبية، وذلك لأنها قد احتفظت بجميع الحالات المتعلقة بنقطة صرفية معينة، وهي بذلك تكون قد احتفظت بجملة من العناصر الأصلية التي تساعد البحث الاشتقاقي أيما مساعدة.

ويذهب سوسير إلى أن هذه الجهود، وإن كان لها فضل لا يُنكر في فتح مجال خصب جديد، إلا أنها لم تُوفّق إلى تأسيس علم اللغة الحقيقي، ولم يكن من مشاغلها قط أن تعتني باستخلاص طبيعة موضوع دراستها، والحال أن أي علم من العلوم عاجز عن أن يتخذ لنفسه منهجاً إن هو لم يقيم بهذا العمل البسيط. وأول خطأ ارتكبه هؤلاء -وهو خطأ يحتوي على بذور كل الأخطاء الأخرى- أنهم لم يتساءلوا أثناء إنجاز أبحاثهم عن مغزى ما كانوا يقومون به من مقارنات بين اللغات وعن مدلول ما كانوا يكتشفونه من علاقات. فبدل أن تكون دراستهم دراسة تاريخية، كانت نحوية مقارنة ليس إلا، واعتماداً المقارنة وحدها، على الرغم من أنها شرط ضروري لكل

عملية ترمي إلى إعادة بناء اللغات تاريخياً، أمرٌ غير كاف لاستخلاص النتائج النهائية.

وقد كان لمدرسة (النحاة الجدد) التي نشأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر فضل كبير في إحلال نتائج منهج المقارنة كلها محلها من المنظور التاريخي، ومن ثمَّ في ربط حلقات سلسلة الأحداث اللغوية حسب نسقها الطبيعي، وأدركت تبعاً لذلك، وفي الوقت نفسه، ما في الأفكار التي يقوم عليها فقه اللغة والنحو المقارن من خلل وقصور. ولكن مهما تكن قيمة الخدمات التي أسدتها هذه المدرسة، فلا يمكن القول: إنها قد كشفت عن غوامض هذه المسألة في مجموعها؛ لأن المشاكل الجوهرية في اللسانيات العامة كانت ما تزال قائمة تنتظر من يحلها<sup>(١)</sup>.

وستسعى هذه الدراسة في ضوء ما سبق إلى الوقوف على ما آل إليه البحث الاشتقاقي في وقتنا المعاصر، وبيان دور اللسانيات الحديثة في الكشف عن جوانب القصور التي مُني بها البحث الذي يُعدُّ بحق ثمرة جهود مشتركة بين فقهاء اللغة وعلماء النحو المقارن طيلة القرون الماضية. فالإشكاليات الناتجة عن البحث الاشتقاقي باقية إلى يومنا هذا، وقد ارتأت هذه الدراسة الوقوف على جانب منها، وهو المتعلق بموقف اللسانيات الحديثة من القيمة العلمية التي يحملها هذا البحث، وهو من الجوانب التي لم تتطرق إليها الدراسات العربية المعنية بالبحث الاشتقاقي على كثرتها. فصحيح أنَّ معظم هذه الدراسات قد استنفدت الوسع في تصنيف مباحث الاشتقاق وتحديد موضوعاته، وأنَّ منها ما استغرقها الحديث عن دور الاشتقاق في نمو اللغة وطرائق بنائها، إلا أنَّ أغلبها قد بقيت موجودة دائماً حول الضفاف ذاتها، تنهل من المعرفة نفسها، وتعزف من المعين ذاته، بدءاً من دراسة عبدالقادر

(١) يُنظر: فردينان دي سوسير (ت: ١٩١٣م): دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرماذي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ط١، تونس، ١٩٨٥م، ص ١٧-٢٣.

المغربي<sup>(١)</sup>، ووصولاً إلى مباحثات إبراهيم أنيس<sup>(٢)</sup> وغيره من العلماء الذين عُنوا بفقه اللغة العربية بحثاً ودراسة طيلة أعوام القرن العشرين وبدايات القرن الذي نعيشه.

### ١. نشأة البحث الاشتقاقي وتطوره:

إن بواعث البحث الاشتقاقي قديمة، ترجع بداياتها إلى (العهد القديم) وإلى كتابات أفلاطون، فقد استرعت أسماء الأشخاص والأماكن المذكورة في الكتاب المقدس قبل الطوفان انتباه المفكرين، فمنذ البداية جعلتهم هذه الأسماء في ظل تجاوز دلائلها الأخرى - فالأسماء تُنبئ ولكنها لا تعني<sup>(٣)</sup> - على يقين من أن العبرية، بحسب اعتقادهم، كانت اللغة البدائية للبشر. وأما محاورات أفلاطون فقد حوت في جانب منها دراسات اشتقاقية لأسماء الأعلام، فعلى سبيل المثال جاء على لسان سقراط في محاورة (كراتيلوس) حديث عن أصل الأسماء وكيف أُخفيت ونُسيت منذ زمن بعيد بسبب إضافة الناس أو حذفهم حروفاً من أجل تسهيل النطق، فيشوّهونها ويبهرجونها بكل أنواع الطُّرُق، ويُشير سقراط أيضاً إلى أن للزمن نصيباً في حدوث التغير، وهكذا إذا سُمح للمرء أن يُضيف أو يحذف أية حروف، فإن وضع الأسماء يُصبح سهلاً للغاية، ويمكن مواءمة أي اسم لأي موضوع<sup>(٤)</sup>.

ولم يقف البحث الاشتقاقي عند ذلك الحد الزمني، فقد بقي حاضراً في كل عصور التأمل الفلسفي واللساني، فكان الرواقيون من كبار الباحثين في الاشتقاق

(١) يُنظر: عبدالقادر المغربي (ت: ١٩٥٦): الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، ط١، القاهرة، ١٩٠٨م.

(٢) يُنظر: إبراهيم أنيس (ت: ١٩٧٧م): من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٤٦-٥٢.

(٣) يُنظر: ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار غريب، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٨٢.

(٤) يُنظر: أفلاطون (ت: ٣٤٧ ق.م): محاورة كراتيلوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، ط١، عمّان، ١٩٩٥م، ص١٥٤؛ تشارلز كي أوغدن وأنفر آرمسترونغ ريتشاردز: معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية)، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بنغازي، د.ت، ص٥٧.



(كانوا من أنصار الشذوذ اللغوي)، ومن بعدهم وبمدة طويلة كان (غوتفريد ليبنتز) في القرن السابع عشر يعتقد أن الاشتقاق يُقَرِّبنا من اللغة البدائية، تلك اللغة التي كان من الممكن أن تُستثمر بشكل أفضل القيمة التعبيرية للأصوات. وفي أيامنا هذه ما زال بعض اللسانيين يبحث للعثور على تعليل للشكل الصوتي للكلمات مُعْطِياً لهذا البحث كل الضمانات العلمية المطلوبة حالياً، ومن أجل هذا حاول هؤلاء اللسانيون تأسيس البحث الاشتقاقي على الانحراف التاريخي الذي يخضع للتحقيق، وإنهم ليستندون في الوقت ذاته على ملاحظات نفسية وسمعية لدعم دراستهم عن القيمة التعبيرية للأصوات<sup>(١)</sup>.

وفي كل العصور السابقة كان البحث الاشتقاقي عند علماء الغرب أحد فروع علم اللغة التي تدرس المفردات، ويكاد ينحصر مجاله في أخذ ألفاظ اللغة كلمةً كلمةً؛ لتزويدها بما يُشبه بطاقة شخصية يُذكر فيها: من أين جاءت؟ ومتى وكيف صيغت؟ مع تناول التقلبات التي اعترتها، والتغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال، وهكذا يكون البحث الاشتقاقي لديهم هو علم تاريخي يُحدِّد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه<sup>(٢)</sup>.

وأما البحث الاشتقاقي في الدرس العربي فهو متناول من حيث الزمن، فالبحث فيه كان ملازماً لبدايات البحث اللغوي، وإفراده بالتصنيف بدأ قُبيل انتهاء القرن الثاني الهجري، واستمر شأنه، على هذه الحال، بحثاً وتصنيفاً إلى يومنا هذا، مكتسباً في كل ذلك قيمة متزايدة على مرّ الأزمان، ولذلك نجده يتجاوز التحديد الغربي من حيث أهدافه وأنواعه التي تتداخل ضمن حقول لغوية متعددة ومتنوعة بصورة قلماً نجد لها نظيراً لدى أيّ أمة من الأمم.

(١) يُنظر: أوزوالد ديكر و جان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٣.

(٢) يُنظر: جوزيف فندريس (ت: ١٩٦٠م): اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٢٦.

فالاشتقاق لدى علماء العربية المتقدمين نوعان: (الاشتقاق الأصغر)، وهو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادةً أصلية، وهيئة وتركيباً لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كـ(ضارب) من ضرب. وهذا النوع هو المعني عند الإطلاق، ولهذا يُسمّى الاشتقاق العام أو الاشتقاق الصرفي؛ لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه، ويُشتق بعضها من بعض، ومعنى ذلك افتراض الأصالة في بعض الألفاظ والفرعية في بعضها الآخر. وأما النوع الثاني فهو (الاشتقاق الأكبر)، وقد أُلْع به ابن جني، وهو الذي سمّاه في كتاب (الخصائص) بهذا الاسم، وقد عني به: أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع عليه، وإن تباعد شيء من هذه التقاليد عنه، رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه<sup>(١)</sup>.

وأما المحدثون من علماء العربية فقد اختلفوا في أنواع الاشتقاق وفي مدلول كل نوع منها، فعبده الله أمين في كتابه (الاشتقاق)، يجعله أربعة أنواع: (صغير) وموضوعه الاشتقاق الصرفي، و(كبير) وموضوعه الإبدال، و(أكبر) وموضوعه التقلب، و(كُبَّار) وموضوعه النحت<sup>(٢)</sup>. وأما علي عبدالواحد وافي في كتابه (فقه اللغة)، فيجعل أنواعه ثلاثة: (عام) يقصد به الاشتقاق الصرفي، و(كبير) يقصد به التقلب، و(أكبر) يقصد به الإبدال<sup>(٣)</sup>. وصبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقه اللغة)، يجعله أربعة أنواع: (أصغر) وهو الصرفي، و(كبير) وهو التقلب، و(أكبر) وهو الإبدال، و(كُبَّار) وهو النحت<sup>(٤)</sup>. وجميع هذه التصنيفات التي أتينا على ذكرها على الرغم من تعددها، لا

(١) يُنظر: رمضان عبدالنواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، ط٦، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٢٩٠-٣٠١.

(٢) يُنظر: عبده الله أمين: الاشتقاق، لجنة التأليف والترجمة، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٨٩.

(٣) يُنظر: علي عبدالواحد وافي (ت: ١٩٩١م): فقه اللغة، نهضة مصر، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٧٢-١٨٠.

(٤) يُنظر: صبحي الصالح (ت: ١٩٨٦م): دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٧٣-٢٧٤.

توحي بتحوُّل موضوعي في البحث الاشتقاقي، بل هي مجرد تبدلات ذاتية في التسمية، ولذلك نجد اليوم فئة كبيرة من الباحثين لم ترق لها هذه التسميات واستعاضت عنها بذكر موضوعاتها فحسب.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن عدم اطلاع الاشتقاقيين الأقدمين بشكل عام على اللغات الأخرى والتطورات التاريخية التي خضعت لها، منعهم من تحديد مبادئ مناسبة للبحث الاشتقاقي، في حين قام البحث الاشتقاقي في العصور التالية على مبادئ ضرورية يمكن إجمالها في مجموعة نقاط أساسية هي: ١. التأكد من الشكل الأقدم للكلمة. ٢. مقارنة كل صوت من الكلمة مع الحرف المقارن له بالشكل. ٣. تفسير كل تغير يحصل في التسلسل التاريخي لتطور شكل الكلمة ومعناها. ٤. تحديد اللغة الأصل لكل كلمة ذات جرس مختلف عن جرس اللغة الأم، فمثل هذه الكلمات عادة ما تكون مُقترضة، فيتعين تحديد أصلها، وتحديد هذا الأصل مرتبط بالتصنيف الاشتقاقي للغات، وهو تصنيف يجمع اللغات التي لها سمات متشابهة من وجهة نظر صوتية أو قاعدية أو دلالية<sup>(١)</sup>.

وإنه لمن الراجح أن تكون سرعة حركة الكلمات وتقلُّها في عصور اللغة الأولى -وهي أكبر مما هي عليه في العصور اللاحقة- سبباً رئيساً في نشأة البحث الاشتقاقي بوصفه رسداً لهذه الحركة السريعة وتأويلاً لها. فالتحليل المتدرج للغة قد سمح بإعطاء اسم واحد لأشياء متعددة، ومن ثَمَّ فإن اللغة قد تطوّرت، ورويداً رويداً تابعت مسيرة انحرافها وتيهيها، انطلاقاً من التسمية الأولى، حيث كان في الأصل لكل شيء اسم، ثم إن الاسم تعلق بعنصر واحد من هذا الشيء وطُبِّق ليشمل بقية الأفراد الذين كانوا يحتويونه أيضاً. وقد نما التمهّل المتقدم للغة باتباع خيط الصور

(١) يُنظر: جان جاك لوسركل: **عنف اللغة**، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٣٤١، ٤٦٢؛ يُنظر: ديكرو وشابيفر: **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، ص ٣٠٣.

الأساسية التي تعرفها البلاغة جيداً: المجاز المرسل والكناية والاستعارة؛ وذلك لأن هذه الصور ليست نتيجة تفنُّن مرهف في الأسلوب، بل إنها -على العكس من ذلك- تفضح سرعة الحركة الخاصة بكل لغة حين تكون عفوية، ومن المحتمل أن تكون سرعة الحركة هذه أكبر في الأصل مما هي عليه الآن.

ففي أيامنا هذه نجد أن نجم البحث الاشتقاقي قد أفل؛ لأن التحليل أصبح جد مرهف، والإحاطة جد شديدة، وعلاقات الوصل والعطف جد مثبتة، حتى إن الكلمات لا تجد الفرصة للتحرك من مكانها. ولكن في بدء البشرية، حين كانت الكلمات نادرة، والتخيلات مفعمة ومُحلَّلة بطريقة ليست علمية على الدوام، والأهواء تُغيِّرُها وتصرِّها معاً، قد كان للكلمات مقدرة كبرى على التثقل<sup>(١)</sup>.

وهذه الحركة التي تتخلل عناصر اللغة تُضفي عليها سمة تاريخية، فهي التي تُسبِّب عدم استقرارها وتضطرُّها إلى التغيُّر باستمرار، ولئن كان علماء اللغة يميلون غالباً إلى إعطاء شرح للغة من خلال استعارة الكائن الحي، فما ذلك إلا بسبب هذا العمق التاريخي للكلمات والتراكيب النحوية وأنواع الخطاب، وهو الذي يُبقي اللغة حية، أو بالأحرى يجعلنا نرغب في التكلُّم عنها ليس كقطعة برمجة حاسوبية في الدماغ، وإنما ككائن حي<sup>(٢)</sup>. وربما كانت الطبيعة التاريخية للغة هي التي استدعت وجود البحث الاشتقاقي قديماً ليكون علماً يُعنى بدراسة تاريخ كلمة ما، بالوقوف على تطور شكلها ودلالاتها، وتحديد أصلها، وما إذا كانت من اللغة المُستعملة فيها أو مستعارة من لغة أخرى.

وإذا كان موضوع علم اللغة سابقاً هو التاريخ كقصة عن الماضي، فإن الخيار الواضح لهذه القصص كان البحث الاشتقاقي الذي يدَّعي أنه يُخبرنا القصة الحقيقية للكلمات، أو التاريخ الذي يمكن استعادته من دراسة الحالة الحاضرة بالعودة إلى

(١) يُنظر: ميشيل فوكو (ت: ١٩٨٤م): *الكلمات والأشياء*، ترجمة: مطاع صفدي وآخرين، مركز

الإثراء القومي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١١٠.

(٢) يُنظر: لوسركل: *عنف اللغة*، ص ٣٥٥.

الأصول. فلا يمكن للمرء أن يبحث في حياة اللغات وتطورها إلا من خلال التاريخ اللغوي المُسجَّل في آثار لغوية، والمُسجَّل على نحو أفضل في اللغة المعاصرة واللهجات. وحسب مبدأ الانتقال من المعروف إلى المجهول يجب على المرء أن ينطلق من اللغة الحالية، وبمساعدة المعارف المكتسبة على هذا النحو ينفذ إلى أقدم الأحوال اللغوية. فالباحث يحتاج إلى جمع للمادة يُسجَّل - ما أمكن - التغيرات اللغوية دون فجوات عبر القرون، ونقول هنا (ما أمكن)؛ لأنه، كما يقول شتراوس (Strauss): "لا يمكن أن توجد معرفة لما هو متصل، ولكن فقط معرفة لما هو مُتقطّع"<sup>(١)</sup>، وكلما ازداد قرب النصوص من الوقت الحاضر كان وضع الانطلاق وإعادة التشكيل أكثر ملاءمة<sup>(٢)</sup>.

وقد كان هنالك نموذجان لإعادة تشكيل المفردات اللغوية في البحث الاشتقاقي هما:

١. إعادة التشكيل الداخلي: وهو نتاج ما تشهده بعض اللغات من تشكيل مفردات أو وحدات دلالية من داخل اللغة ذاتها عن طريق بعض العمليات المختلفة التي تهدف في الأساس إلى إضفاء بعض الخصوصية على هذه اللغة.
٢. إعادة التشكيل الخارجي: وهو نتاج ما تشهده بعض اللغات من تشكيل مفردات أو وحدات دلالية تأتي من لغات أخرى، كما هو الشأن في عملية الاقتراض. وهنالك إمكانية لوجود نوع من التعايش بين هذين النموذجين؛ أي أن يكون لهما عمل مشترك داخل لغة واحدة<sup>(٣)</sup>.

(١) جان ماري أوزياس: البنيوية، ترجمة: ميخائيل إبراهيم مخول، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط١، دمشق، ١٩٧٢م، ص ٢٩٥.

(٢) يُنظر: بريجيت بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤١.

(٣) يُنظر: جون كالفين لويس: إيكولوجيا لغات العالم، ترجمة: باتسي جمال الدين، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٥٤.

ولئن اشتمل البحث الاشتقاقي على نموذجين لإعادة تشكيل المفردات، فإنه أيضاً يمتلك منطارتين اثنتين لتحقيق هذه الغاية، أحدهما: (استقبالي) يُسائر مجرى الزمان، والآخر: (استردادي) يعود فيه إلى الوراء. ويوافق الاتجاه الأول سير الأحداث الحقيقي، ويتمثل في مجرد فحص ما لدينا من وثائق، بينما ينطلق الاتجاه الثاني من عصر معين، لا للبحث عما يتولد عن صيغة من الصيغ، بل للوقوف على أقدم صيغة يمكن أن تكون قد أحدثتها. وإذا كان الاتجاه الاستقبالي يؤدي إلى مجرد سرد الوقائع اللغوية، ويقوم بأكمله على نقد الوثائق، فإن الاتجاه الاستردادي يتطلب منهجاً يقوم على المقارنة لإعادة بناء تلك الوقائع، وكلما كانت عناصر المقارنة أكثر كانت الاستقرارات أدق وأفضت إلى عمليات إعادة بناء الواقع اللغوي بناءً حقيقياً، وذلك بشرط توفر ما يكفي من المعطيات، فالمنهج الاستردادي يُمكننا إذاً من التوغل في ماضي لغة من اللغات توغلاً نتجاوز به عهد أقدم الوثائق<sup>(١)</sup>.

## ٢. البحث الاشتقاقي بين الشكل والدلالة:

تُعَدُّ الكلمات شواهد نُقِشت عليها معارف البشرية من تاريخ وأصول، وقد كان البحث الاشتقاقي هو الأداة التي أتاحت فك شيفرة هذه النقوش، فهو وسيلة فهم الطبيعة التاريخية للغة، بمعنى العودة إلى نقاء أصل الشكل والدلالة، فممارسة الاشتقاق الثقافي أو الشعبي، وواقع أن اللغة بأسرها هي حجة مُحتملة للاشتقاق، يُكسبان تأويل عناصرها عمقاً حقيقياً.

وقد كانت وجهة دراسة تاريخ الكلمة في البحث الاشتقاقي هي تحديد الجذر بمعزل عن سوابق الكلمات ولواحقها، وتحديد الجذر يعني: دراسة أصل الكلمة، وهو ذلك العنصر الموافق لوحدة بسيطة ثابتة لا تتغير، يمكن تماماً تعيين حدودها على أتم

(١) يُنظر: دي سوسير: دروس في الأسس العامة، ص ٣١٩-٣٢١.

الوجوه. وتعيين حدود الكلمة هو فنٌ له قواعده المُقنَّنة، فينبغي تجريد الكلمات من جميع الآثار التي ألبستها إياها التراكيب والإعرابات، والوصول إلى عنصر بسيط أحادي المقطع، ومتابعة هذا العنصر في ماضي اللغة بأسره، عبر القواعد والمعاجم القديمة، والرجوع إلى لغات أخرى أكثر قِدَمًا، وعلى طول هذه السلسلة لا بد من التسليم بأن الكلمة الأحادية المقطع تتغير<sup>(١)</sup>.

فعبقرية اللغة تُفضِّل الكلمة البسيطة ذات المقطع أو الجذر الواحد للتعبير عن المعنى البسيط، وأما الكلمة التي تتكون من كلمتين أُخريين، كل واحدة منهما تقترح فكرة منفردة، فلا بد أن تبدو لنا كأنها غريبة، إلا إذا استطعنا أن ننسى معنيي الكلمتين الأصليين، وإن لم يتم هذا الشرط، فإن الكلمة المنحوتة من هاتين الكلمتين ستتحو إلى الموت، وبسرعة أكبر من الكلمات الأخرى البسيطة في تكوينها<sup>(٢)</sup>.

وتعيين حدود الكلمة هو أيضاً مهارة يكتسبها المتكلمون غالباً، فشعورهم بحدود الجذور في لغتهم عادة ما يكون قوياً، فتعيين حدود الجذر ينجر عنه بطريقة غير مباشرة ضبط حدود السوابق واللاحق، فالجذر بالنسبة إلى وعي المتكلمين أمر موجود بالفعل، وإن كانوا لا يستطيعون في جميع الحالات أن يعزلوه بالدرجة نفسها من الدقة، وذلك لأنه توجد من هذه الناحية فروق إما في صلب اللغة الواحدة أو من لغة إلى أخرى، فبعض الألسن لها خصائص معينة تُرشد المتكلمين إلى مادة الجذر من الكلمة، حيث يظهر الجذر في مظهر مُوحَّد الصورة نسبياً. وللجذر في اللغات السامية صفات تجعله شديد البروز والوضوح، فالتناوبات المنتظمة فيه على قدر من الانتظام والاطراد، وفضلاً عن ذلك فإن الجذور في اللغات السامية تحتوي أيضاً على سمة

(١) يُنظر: فوكو: الكلمات والأشياء، ص ١٠٧.

(٢) يُنظر: ديفيد جستس: محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ترجمة: حمزة قبالان المزياني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص ١٤٣.

تُشبه أحادية المقطع في بعض اللغات الأوروبية، إلا أنها أشد بروزاً، وهي أنها تشتمل غالباً على ثلاثة أحرف<sup>(١)</sup>.

ومن غير أن نبلغ الحد الأقصى في استقصاء هذه الفكرة، ربما أمكن القول: إن اللغة العربية، وهي من فصيلة اللغات السامية، مُطَرَّدة إلى حد بعيد في صرفها الاشتقائي، وهي أكثر اطراداً من كثير من اللغات الأوروبية؛ إذ لا تعتمد الصيغة التي يأتي عليها المشتق إلا على شكل الكلمة الأصل، التي اشتقت منها، لا على دلالتها أو اللغة التي جاءت منها.

لكنه يجب الاعتراف بأنه لا يوجد في اللغة العربية اطراد كلي تام للتوافق بين الصيغ المشتقة والمعاني المشتقة<sup>(٢)</sup>. وقد دعا هذا الأمر بعض المغالين للذهاب إلى أن اللغة العربية تتصف باللبس المنطقي المتجذر؛ إذ يوجد وراء كل كلمة نستعملها أطياف متدرجة لكل الكلمات الأخرى التي تنتسب إلى الجذر الذي جاءت منه، فكل كلمة، بحسب قولهم، إنما هي تعويذة تستحضر أشباح الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي جاءت منها. ولا يعدو ما تلمح إليه هذه الفئة هنا الإشارة إلى تلك الارتباطات الثانوية الممكنة التي يملها الاشتقاق الذي يتسم بخصيصة (الجذر والوزن)، وربما يكون هناك في الواقع بعض المقترضات التركيبية والدلالية المختلفة بعض الشيء بين هذا النوع من الاشتقاق والنمط النحتي الذي يوجد في الإنجليزية. لكن أهمية هذه المقترضات ستكون ثانوية، فكلمة (طفل) مثلاً لا توحى بشكل مباشر بالفعل (يَتَطَلَّل) الذي يجانسها، بأكثر مما تُهَدِّد الكلمة الإنجليزية (horse) الكلمة

(١) يُنْظَر: دي سوسير: دروس في الأسنوية العامة، ص ٢٧٩-٢٨١.

(٢) يُنْظَر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ص ٣٩٢.



(charleyhorse) أو بالكلمة (hoarse) "أجش الصوت"، أو الكلمة (hearse) "نعش"<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإننا ننتق مع الاتجاه الذي يقول: "إنه بدون ذلك الغريب الذي يلجأ إليه الشعراء، وبدون تلك السمات اللهجية وذلك الرصيد المتدفق من الكلمات الدخيلة، كانت اللغة العربية سترزح تحت ثقل كل ما هو رياضي وواضح فيها؛ إذ كانت ستتحول إلى لغة تقوم على رصيد المشتقات"<sup>(٢)</sup>، فاللغة العربية يمكن لها أن تمتد من صيغ قليلة للجزر إلى بنية واسعة تتميز بالتنوعات العميقة والمعقدة، وهو ما يجعلها ملائمة بشكل جيد للتعبير عن المفاهيم المجردة والعلمية.

فهذه الخصيصة الاشتقاقية تجعل الأسماء والصفات في العربية غالباً ما تكون مشتقة من الأفعال، وغالباً ما تكون مصادر وأسماء أفعال، فيُسمَّى الموظف في المكتب (كاتب)، أما الطائرة والطيور فأشياء تطير. وأما اللغات الأوروبية التي تنحدر من أصول متعددة فمؤسسة على الأسماء، فمعظم الأسماء في الإنجليزية أسماء بأنفسها، وليست أجزاء من الأفعال التي تتصف بأنها تعبر عن (عمليات). وبسبب تجنب العربية الدقيق لتصنيف الكلمات إلى أجزاء منفصلة، وجعلها الكلمات فيها ترتبط، بدلاً من ذلك، بعلاقات منطقية متوازنة مع المفهوم المركزي -أي الجزر الفعلي- صارت لغة ملائمة للتعبير الديني<sup>(٣)</sup>.

فقابلية الجزر الواحد لأن تُشتق منه صيغ كثيرة إلى حد كبير تُسهِم في ثراء اللغة، ومع أن ذلك يبدو لأول وهلة عنصر تعقيد في دراسة اللغة إلا أنه في الواقع عامل من شأنه أن يجعلها أكثر سهولة؛ وذلك لأن العلاقات القائمة بين دلالة الكلمة

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ص ٥٣.

(٢) يُنظر: نفسه، ص ٢٧٣.

(٣) يُنظر: نفسه، ص ٥٤.

الأصلية ودلالة الكلمات التي اشتقت منها، تكون عادة على نحو يساعد كل من يعرف دلالة الكلمة الأصلية على معرفة دلالة الكلمات المشتقة منها دون حاجة إلى معجم<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإن الكلمات في ماهيتها الأولى هي أسماء وإشارات يمكنها أن تتباعد باندفاع لا يُقاوم عن دلالتها الأصلية، مكتسبة معنى قريباً أو أوسع أو أكثر تحديداً، فالكلمة ليس لها في الواقع أي معنى سوى مجموع المعاني المطلوبة منها، فهي مسرح مفتوح لألعاب التأويل المتواصلة؛ إذ يمكنها أن تتلقّى من المعاني بقدر ما يُراد لها أن تتلقّى.

وتغيرات المعنى تجد تفسيرها قبل كل شيء في طبيعة النسق المعجمي الذي يتّسم بالخاصية التراكمية، وهذه القابلية للتراكم أساسية لفهم عمل الاشتقاق، فكل كلمة تكتسب معنى جديداً دون أن تفقد المعنى السابق، فالملمح التراكمي يكشف عن الطابع المفتوح لبنية الكلمة، فالكلمة عادة ما تكون متوفرة على عدة معانٍ، ويمكن أن تكتسب معاني أخرى جديدة، وهذا ما يجعل اللغة أكثر قابلية للتجدّد<sup>(٢)</sup>.

وليس العلاج أن نقاوم هذه التغيرات (تغير معاني الكلمات) ونقمعها، بل أن نتعلّم متابعتها، فهي تطرأ على صيغ متشابهة في كلمات مختلفة؛ أي أن لها اتجاهات متماثلة وأنماطاً مشتركة تمكننا التجربة من ملاحظتها والامتثال لها في الممارسة باطمئنان يدعو أحياناً إلى العجب حين نتفحصها<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ص ٣٨.

(٢) يُنظر: بول ريكور: الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، بيروت، ٢٠١٦م، ص ٢٠٤.

(٣) يُنظر: آيفور آرمسترونغ ريتشاردز: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٧٦.

والكلمات لا تغير شكلها فحسب، بل مداها واتساعها، وبمقدورها أن تكتسب أصواتاً جديدة، وكذلك محتويات جديدة، حتى إن مختلف اللغات، وربما انطلاقاً من مجموعة متطابقة من الجذور، قد شكّلت أصواتاً مختلفة، وكذلك كلمات معانيها لا تتلاقى. فللكلمات مكانها لا في الزمن فقط، ولكن في حيّز تستطيع أن تجد فيه موقعها الأصلي، وأن تنتقل وتعود إلى ذاتها، وتنتشر ببطء منحنيّ بأكمله؛ أي حيّزاً متنوع الاتجاهات، ونتيجة لذلك استعملت الكلمة نقطة انطلاق للتفكير في اللغة.

وقد كان البحث الاشتقاقي -الذي إن لم يكن علماً أكيداً فهو على الأقل علم مُحتمَل- مديناً في وجوده لتغيرات دلالة الكلمة أكثر من تغير شكلها، فتحولات الدلالة لما كانت محدودة سمحت بقيام البحث الاشتقاقي، فهي تخضع لمبادئ يمكن حصرها وتعدادها. فقد كان ثبات الدلالات، وليس دراسة التحولات المادية للكلمة، هو العنصر المؤجّه لهذا العمل، فالثابتة الوحيدة المتعدّدة الزوال التي تُؤمّن دوام الجذر طوال تاريخه هي وحدة الدلالة، التي هي الحيز التمثيلي الذي يدوم إلى ما لا نهاية، ولهذا فإن دلالة الكلمات هي النور الأصلح الذي يمكن الاستهداء به دائماً.

وعكس ذلك هو تغيرات شكل الكلمة، فهي تتم بلا قاعدة، وهي غير محدودة، وليست مستقرة على الإطلاق، وأسبابها كلها خارجية: سهولة اللفظ والنقايد والعادات والمناخ... إلخ، فالبرد -على سبيل المثال- يساعد التصغير من الشفتين، في حين أن الحرّ يساعد الهتات الحلقية<sup>(١)</sup>.

فبعض العادات المنتشرة في مجتمع من المجتمعات قد تكون عاملاً أساسياً في تعديل السلوك النطقي لأفراد هذا المجتمع، فقيام اللغات البشرية بوظيفتها بشكل مترام مع نشاطات إنسانية أخرى، قد يتسبب -دون أدنى عائق- في إحداث تغيرات

(١) يُنظَر: فوكو: الكلمات والأشياء، ص ١٠٧، ١٠٨، ١١١؛ لويك دوبيكير: فهم فرديناند دو

سوسور وفقاً لمخطوطاته (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية

للترجمة، بيروت، ٢٠١٥م، ص ٩٥.

صوتية واسعة النطاق. ومن الأمثلة على ذلك ما ينتج من أصوات غريبة عن الأذن البشرية نتيجة توسيع الشفتين بألواح خشبية لدى بعض القبائل، وكذلك تأثر لغة سانتا كروز في جزر سليمان بمضغ علكة جوز الأريكة، أو بصك الأسنان الزائد من شدة البرد في لغة الأسكيمو، أو من الحرارة المفرطة في اللغات الأفريقية وجزر الباسفيك. فكل هذه النشاطات والعادات تُعدُّ من العوامل الخارجية التي أسهمت في تغيير شكل اللغات وتطورها<sup>(١)</sup>.

ولم يستمر التركيز على التحولات الدلالية على حساب التحولات الشكلية على هذه الحال في اللسانيات الحديثة، فإلحاق سوسير على ضرورة التمييز بين المنظورات التزامنية والمنظورات التاريخية جعله لا يعرض إلا لتغيرات شكل الكلمة، فمناقشته لم تتعرض إلا للتغيرات الصوتية، فهي التي تلعب دوراً مهماً في انقلابات اللغة، وبطبيعة الحال كان للأمثلة التي ناقشها نتائج صرفية ونحوية داخل النظام، وربما كان لهذه التعديلات آخر الأمر نتائج دلالية، ولكنه لم يتناول قط مشكلة التغير الدلالي ذاتها؛ أي التغيرات التاريخية للمدلولات، وهو يُسلم في هذه المناسبة بأن المرء بمجرد أن يترك مستوى الصوت يصبح الاحتفاظ بالتمييز المطلق بين التزامني والتاريخي أكثر صعوبة.

فالمنظور التاريخي يتناول علاقات قرابة فردية لا يمكن تعيينها إلا في ضوء نتائج التحليل التزامني، كما أنه يعتمد على التنوع والتعقيد اللانهائيين في الأسباب التي تحكم التغير الدلالي من أجل شرح الانتقال من حالة إلى أخرى، ولكن معرفة المعاني السابقة والأسباب الخاصة للتغير لن تكون ملائمة لشرح العلاقات الدلالية

(١) يُنظر: دونالد ليكوك وبيتر مولهيسلر: هندسة اللغة (لغات خاصة)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثالث (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٨٤٥.

لحالة تزامنية، إلا في حدود أن تكون المعاني السابقة ما تزال ماثلة في النظام، فيُنظر إليها في هذه الحالة على أساس تزامني لا على أساس تاريخي.

فهنا، وكما هو الشأن في الحالات التي نظر فيها سوسير، تتبع الحقائق التاريخية ترتيباً يختلف عن النظام التزامني، حيث تعتمد على عناصر فردية أكثر من اعتمادها على النظام، الذي يستطيع وحده أن يُعيّن تلك العناصر بوصفها عناصر لغوية، فالتاريخ أو التطور التاريخي للعناصر المفردة يدفع بصيغ يستعملها النظام، وإنّ دراسة هذه الاستعمالات المنتظمة هي المهمة الأساسية<sup>(١)</sup>.

### ٣. تحول النظر عن البحث الاشتقاقي إلى نظام اللغة:

ثمّثل اللغة في نظر بعض الدارسين إذا أُرجعت إلى مبدئها الأساسي قائمة مصطلحية؛ أي قائمة من الكلمات موافقة لعدد مماثل من الأشياء. لكن هذا التصور، من وجهة نظر سوسير، قابل للانتقاد من عدة أوجه، فهو يفترض وجود أفكار جاهزة سابقة لوجود الكلمات، وهو لا يُخبرنا إن كانت الكلمة ذات طبيعة صوتية أو نفسية، وهو يجعلنا أخيراً نفترض أن الرابط الذي يجمع بين اسم ما وشيء ما، هو عملية في منتهى البساطة، وهذا أمر بعيد جداً عن الواقع<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ذلك يذهب سوسير إلى أن التصور السطحي المتفشي بين الجمهور العريض من الناس، وهو لا يرى في اللغة إلا قائمة من الكلمات، هو تصور يقضي على كل إمكانية بحث عن طبيعة اللغة الحقيقية، فنحن إن أردنا أن نكشف عن طبيعة اللغة الحقيقية وجب أن نعالجها بداية من خلال ما تشترك فيه جميع الأنظمة الأخرى التي هي من الصنف نفسه، ولذلك فإن بعض القضايا اللغوية التي تبدو ذات

(١) يُنظر: جوناثان كلر: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ترجمة:

عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٠١-١٠٣.

(٢) يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ١٠٩.

أهمية اللغة لأول وهلة ينبغي أن لا تُعدّ إلا في المقام الثاني إن هي لم تصلح إلا لتمييز اللغة عن سائر الأنظمة<sup>(١)</sup>.

ومنذ ذلك الحين تحوّل انتباه اللسانيين المُنصبّ على قوائم المفردات في القرن التاسع عشر إلى حقيقة وجود النظام الكلي الذي يجمع هذه المفردات، أو يمكن القول بعبارة أخرى: انتقلهم من البحث الاشتقاقي إلى دراسة نظام اللغة. فلكي تُوحّد الأجزاء المنفصلة، كما يقول فيشته، فإن من الأوثق أن ننطلق مما تجتمع عليه<sup>(٢)</sup>، وكذلك شأن اللغة، فإن الوقوف على حقيقتها رهن بالانطلاق من نظامها الكلي إلى الأجزاء المكونة له.

فإنه من المسوغ وسيلةً للمعرفة التي يُقدّمها البحث الاشتقاقي أن يُعاد بناء صيغ لغوية مفردة، ولكن لا يمكنه أن يُعيد بناء حالة لغوية كلية، فعالم الاشتقاق لا يستطيع مطلقاً أن يثبت أنه قد وُجد جيل من المتكلمين قد عرف وتكلّم كل الأشكال التي أعاد بناءها، فهو مضطر آخر الأمر إلى أن يتمسّك بالحقائق الفردية، وأن يتحرّر من فكرة التفسير التي تُرجع الظواهر الفردية اللامتناهية في التنوّع إلى نظام متماسك من الفرضيات التي تُفضي إلى أفكار كُليّة.

فالتاريخ أو التطور التاريخي للعناصر المفردة يدفع بصيغ يستخدمها النظام، وإن دراسة هذه الاستخدامات المنتظمة هي المهمة الأساسية. أما التفسير التاريخي أو السببي فليس هو الشيء المطلوب؛ لأنه يعتمد على عناصر لغة ما، وليس على نظام اللغة، كما أنه يعتمد عليها من حيث هي عناصر لا علامات، فالعلاماتية لا تعمل إلا ضمن تدبير فكري؛ أي ضمن بنية. ولهذا السبب لا يقوم التفسير بدون البنيوية، فالتفسير في علم اللغة عمل بنيوي؛ والمرء يُفسّر الصيغ وقواعد النظم عن طريق

(١) يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٣٨.

(٢) يُنظر: هنس زندكولر: المثالية الألمانية، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي وفتح المسكيني وناجي

العونلي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٢م، ص ١٨٧.

عرضه لنظام العلاقات الأساسي في وضع تزامني بعينه، تلك العلاقات التي تنشئ عناصر هذا النظام التزامني وتحددها<sup>(١)</sup>.

واللسانيات كما هي عليه الآن، أو كما تطمح لأن تكون (علمية)، هي بالضرورة ذات طبيعة تاريخية، فمجرد النظر إلى ما وراء بيان الحقائق الفردية ومحاولة استيعاب ارتباطاتها كي نفهم الظاهرة، يُدخلنا في حقل التاريخ، وإن لم نكن مدركين لذلك. وهكذا فإن وُضْعَ قوائم للمفردات وتصنيفها ليس سوى تنظيم لأكوام من البيانات التي تفقر إلى نظرية تجمعها، وبخلاف ذلك فإن النظر في البنى والتراكيب أتاح للعلماء أن يُقدِّموا نظريات لوصف اللغة في غاية الدقة والتنظيم، وقد صارت هذه حالهم حتى قبل أن يشيخوا بالنظر عن ما هو تاريخي لصالح التزامني.

فقد وقع التأكيد على العناصر التي ينتزعها علماء أصول اللغة لكي يققوا على الجذور، أو التي دُرست بوصفها عناصر يمكن فصلها، كانت هي ذاتها مشتقة من جذور أخرى، وقد سلّم فريدريش شليجل (Friedrich Schlegel) في كتابه: (اللغة وحكمة الهند - ١٨٠٨م) بوجود الجذور العامة. ولكنه أوضح أن المسألة الحاسمة مع ذلك التي من شأنها أن تُوضّح كل شيء هنا، هي البنية الداخلية للغات التي من شأنها أن تمنحنا معلومات جديدة كل الجدة تتعلق بأصل اللغة، بالطريقة نفسها التي ألقى بها علم التشريح المقارن الضوء على التاريخ الطبيعي.

فالنقلة في الاهتمام من الجذور إلى النماذج الصرفية تعكس تغيراً في النظرية الخاصة بماهية اللغة، فلم تعد اللغة مجرد تمثيل أو مجموعة من الصيغ التي يتم تنظيمها من خلال المنطق الذي تُمثِّله هذه الصيغ، والذي من خلاله يتحرك المرء

(١) يُنظَر: كلر: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ص ١٠٣؛ أوزياس: البنيوية، ص ٢٧٨.

لكي يدرك الفكر والعمليات التي يقوم بها العقل نفسه، ولكنها نظام من الصيغ التي يحكمها قانونها الخاص، والتي تشتمل على نموذج شكلي له استقلاله الذاتي<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما كان سوسير يُهاجم طريقة الاشتقاقيين، ويؤكد بأن اللغة ليست قوائم من الكلمات، وإنما هي نظام، فاللفظ الواحد يمكن أن يكون خيالياً إذا اعتبرناه على وجه الإطلاق، ورمزياً إذا فهمناه قيمة اختلافية مضافة لألفاظ أخرى تحده ويحدها، فالنظام لا يقوم بهذه الوحدة أو تلك، ولا يقوم كذلك بقائمة مجردة من الوحدات، فهذه القائمة ستظل دائماً، إما فقيرة أكثر مما يجب بسبب تكرار الصور نفسها، وإما أغنى مما يجب لكون كل وحدة تتضمن بالقوة دلالة كل الوحدات الأخرى، لكن النظام يقع بالأحرى بين الوحدات بمثابة علاقة وبمثابة تصريف إقامة العلاقات بينها.

ولكي نجري تحليلاً لقائمة من الوحدات يجب أن نعد مجموعها نظاماً مغلقاً، فالنظام هو السياج الضابط لعمل التحليل، وإذا كان هذا الإجراء بديهياً على مستوى علم الأصوات الذي يُحصي الوحدات الصوتية في لغة ما، فإنه يصدق أيضاً على مستوى المفردات في معجم وحيد اللغة، فمجموع المفردات كبير جداً، لكنه ليس بلا نهاية، بيد أننا نفهمه فهماً أفضل إذا توصلنا إلى استبدال هذه القائمة بجدول محدود من الوحدات الثانوية التي تقوم أساساً لمجموع المفردات، والتي نستطيع انطلاقاً منها أن ننشئ من جديد الغنى الذي لا يُقدَّر؛ الغنى الذي تزخر به المعاجم بشكل حقيقي.

وهكذا إذ يعمل اللساني داخل نظام مغلق من العلامات، فإنه يستطيع عدّ هذا النظام لا خارج له، ولكن فقط علاقات داخلية، ولذلك عرّف لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) البنية بأنها: كيان من التبعيات الداخلية قائم بذاته. وفي هذا الصدد يقول رومان جاكوبسون (Roman Jakobson): "إذا رغبتنا في التوفر على الفكرة

(١) يُنظر: كلر: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ص ١٢١، ١٢٢.



الأساسية للعلم الراهن في معظم تجلياته المتنوعة، فإننا لا نكاد نجد اسماً أكثر ملاءمة من البنيوية، فحين يدرس العلم المعاصر أية مجموعة من الظواهر، فهو لا يُعالجها كتكثّل آلي، بل ككُلّ بنيوي، والمهمة الأساسية هي الكشف عن القوانين الداخلية لهذا النظام سواء أكانت قوانين ثابتة أم متطورة، فالمثير الخارجي لم يعد مدار الاهتمام العلمي، وإنما المقومات الداخلية للتطور بحيث يفضي التصور الآلي للعمليات إلى مساءلة وظائفها<sup>(١)</sup>.

ولم يكن سوسير بذلك سباقاً في نقده لطريقة الاشتقاقيين، فقد قُرِعَت أجراس موت علم الاشتقاق قبله على يد (النحاة الجُدد)، إلا أنه يُحسب لسوسير تأكيد عدم وجود اختلاف بين الوحدة اللغوية والحقيقة النحوية، فقد يُفهم أننا -حين نتحدّث عن الوحدات اللغوية- نتحدّث عن الكلمات فحسب، أو أن اللغة لا تتكوّن سوى من معجم مفردات انتظمت وفقاً للاختلافات أو التقابلات الشكلية والدلالية فحسب. ولكن الأمر غير ذلك بالتأكيد؛ لأن اللغة تتكوّن أيضاً وبطبيعة الحال من العديد من العلاقات النحوية وتميزاتها، فالطبيعة المشتركة بين الوحدات اللغوية والحقيقة النحوية تُعدّ نتاجاً لطبيعة العلامات بوصفها موضوعات اختلافية، فما يُنسب لأي حقيقة نحوية يلائم في الوقت نفسه تعريف أي وحدة لغوية، حيث يُعبّر عن الحقيقة النحوية دائماً في ضوء التقابلات القائمة بين الحدود. وهكذا فإن الوحدة اللغوية والحقيقة النحوية ليستا سوى اسمين مختلفين للمظاهر المحددة للظاهرة العامة ذاتها: لعبة التقابلات اللغوية. ولذلك فإن التغير اللغوي على الرغم من أنه ينشأ في إطار النظام اللغوي ذاته، يمكن أن يكون له فاعلية في العناصر المحددة نحويّاً، ويكون أفضل وصف له أنه تغير في القواعد، وليس تطوراً للعناصر المتحققة<sup>(٢)</sup>.

(١) رومان ياكوبسون (ت: ١٩٨٢م): *الاتجاهات الأساسية في علم اللغة*، ترجمة: علي حاكم

صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص ١٣.

(٢) يُنظر: كلر: *فرديناند دي سوسير* (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ص ٦٠، ١٥٢.

والاشتقاق عندما يُقدّم نفسه بوصفه تاريخياً -وهو لم يكن كذلك في كل الحالات- ويقوم بتأويل كلمة بالعثور على أخرى جاءت منها في حالة سابقة؛ يدرس كل كلمة بشكل مستقل، وأنه ليُجعل منها قضية قائمة بذاتها، وهذا إجراء يجعل من العثور على المعايير أمراً صعباً جداً؛ لأنه من المؤلف أن تتعاون نُظم اشتقاقية مختلفة على الكلمة ذاتها. والأمر على عكس ذلك في التغير اللغوي؛ إذ لا تؤوّل الكلمة اللاحقة بالكلمة السابقة إلا إذا كان الانتقال من الأولى إلى الثانية يُمثّل حالة خاصة لقاعدة عامة تصلح لكلمات أخرى، ويستلزم هذا الاطراد أن يعود الاختلاف بين الكلمة الأولى والثانية إلى هذا المكون أو ذاك من مكوناتهما، وأن يكون هذا المكون في كل الكلمات الأخرى التي يظهر فيها متأثراً بالتغير نفسه. ومن ثمّ فإنه ينتج عن ذلك نتيجتان:

١. يمكن أن نطلب من تأويل الكلمة أن يستند إلى تحليل قاعدي لها، وأن يُؤوّل تأويلاً مستقلاً مُختلف الوحدات الدالة التي تتألف منها، فالكلمة المكونة من وحدتين دالتين يجب تأويل كل وحدة منهما بشكل منفصل عن الأخرى، في حين أن الاشتقاق المزعوم يُؤوّل الكلمة في كُلّيتها. ولكي يمتلك التغير هذا الاطراد، والذي يُمثّل ضمانته الوحيدة والممكنة، عليه أن يتقيد بالتنظيم القاعدي للغة، فلا يختص بالكلمة إلا من خلال بنيتها الداخلية.

٢. يمكن أن نذهب أيضاً إلى أبعد مما ذهبنا إليه في تحليل الكلمة بحثاً عن الاطراد، ليس فقط على مستوى المكونات القاعدية، وإنما أيضاً على مستوى المكونات الصوتية، وقد حظيت اللسانيات التاريخية بأجمل نجاحاتها في القرن التاسع عشر من اضطلاعها بهذه المهمة عندما وصلت إلى بناء قوانين صوتية<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: ديكر ووشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ٢٧، ٢٨.

#### ٤. أقول البحث الاشتقاقي في العصر الحديث:

لم تبقَ للبحث الاشتقاقي المكانة التي كانت له في السابق، فقد تخلّى عنه اللسانيون، ولم يعودوا ينظرون إليه بوصفه حقلاً جديراً بالدراسة، فإذا نظرنا في الكتب المعاصرة التي تستعرض التطور التاريخي للدرس اللغوي، فلن نجد أكثر من صفحة أو صفحتين، والمكان الوحيد الذي يحتفظ فيه الاشتقاق بدوره هو المعجمات، وهو ما يتناقض بشكل واضح مع المجد السابق الذي كان له، فمنذ العصور الوسطى حتى أوائل القرن التاسع عشر كان يُشكّل نواة الدراسة اللغوية التاريخية، والمحير في الأمر هو أن هذا المجد التليد قد سقط في وقت استطاع فيه الاشتقاق أن يضع دراسة نشأة الكلمات وتطورها على أسس علمية سليمة، وهو الوقت الذي كان فيه أكبر جدية بظهور تقنيات اشتقاقية أكثر علمية وأجدر بالاعتماد<sup>(١)</sup>.

فعلى الرغم من أن الدراسات الاشتقاقية هي أكثر الدراسات اللغوية حظاً من التقليدية، إلا أنه يمكن أن نلمس فيها تقدماً ملحوظاً، يرجع الفضل فيه أساساً إلى علماء الجغرافيا اللغوية عند مقارنة منجزاتهم بالمنجزات السابقة؛ إذ أدخلت معايير اجتماعية وثقافية وتاريخية جديدة في إعادة بناء أصل الكلمات. فقد ظهرت الإنجازات الأساسية للجغرافيا اللسانية في مجال الدراسات المعجمية، ومن أهم ما قدمته من إسهامات لنظرية اللغة تفسيراتها للقوانين الأساسية التي تحكم التطور المعجمي، فعند فحص الكلمات المستعملة وانتشارها في الخطاب العام، صمّم علماء الجغرافيا اللغوية على هدف إعادة بناء تاريخ تلك الكلمات، واضعين نصب أعينهم دالاتها وتصريفها ووظيفتها البنيوية<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: لوسركل: عنف اللغة، ص ٣٣٥.

(٢) يُنظر: مليكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٠٧، ص ١١٧-١١٩.

وتجدر الإشارة إلى أن التقليل من شأن البحث الاشتقاقي والإزراء به ليس وليد هذا العصر، فقد سُمِعَت بعض الأصوات المُنَدِّدة به قبل ظهور اللسانيات الحديثة، فهذا فولتير (Voltaire) يقول: "إن دراسة نشأة الكلمات وتطورها هو علم لا وزن فيه للحركات، ولا قيمة تُذكر فيه للسواكن"<sup>(١)</sup>. ولهذا فإن العلماء يذكرون عوامل مترابطة لانتحار الاشتقاق أو الادعاء بكونه علماً باطلاً، يُمكن إجمالها في ما يلي:

١. إن الاشتقاق كان دائماً يرتبط بالبحث النظري التخميني في أصول اللغات، التي هي ليست سوى افتراض. فكان بطبيعة الحال المصدر الرئيس للأدلة والأدوات المساندة لنظريات لغوية شاطحة في الخيال.

٢. إن الاشتقاق كان في الواقع نسخة من الاشتقاق الشعبي، ويصدق ذلك أيضاً عندما كان يُروَّج له مثقفو العصر، وربما أبعدت عنه هذه السمة الموت المطبق، فهو - وإن غاب عن الخطاب اللساني الحديث - إلا أنه لا يزال يراود خطاب المتكلمين العاديين في استعمالهم اليومي للغة.

٣. إن البحث في تطور اللغة البشرية أتاح ظهور القصّ الذي هو عمل ثقافي لا يمكن اختزاله في الطبيعة، وهو الأمر الذي جعل من الاشتقاق حكاية وليس علماً، فما هي الاشتقاقات إن لم تكن حكايات؟ وماذا يكون نموذج تاريخ الكلمة إن لم يكن هو السرد القصصي الذي يحكي قصة حياة الكلمة؟ ولكن أي إنتاج قُدِّم لتفسير أصل اللغة؟ ألسنا بكل بساطة في حلقة مفرغة؛ لكون السرد القصصي يحتاج إلى جهاز لغوي: نظام التعرف على الزمان، وتجذُّر المقولة في الموقف... إلخ<sup>(٢)</sup>، فالاشتقاقات إذاً تستمد قُوَّتها وقدرتها على تغيير اللغة من نجاحها كحكاية ذات حبكة جيدة، ومن

(١) جون ليونز: **اللغة واللغويات**، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، ط١، عمان،

١٩٩١م، ص ٩٨.

(٢) يُنظر: سيلفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوغلي: **فلسفة اللغة**، ترجمة: بسام بركة، المنظمة

العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠١٢م، ص ٢٦.

اللعب بالكلمات، وليس من دَقَّتْهَا. من أجل ذلك كانت الاشتقاقات الشعبية والاشتقاقات الخاطئة أكثر نجاحاً من الاشتقاقات الصحيحة، فهي أقوى لكونها أكثر جاذبية، وهذا ما يُتيح مجالاً أوسع لتغيير اللغة وتطويرها.

٤. إن الاشتقاق هو المقابل التزامني للعب بالكلمات، وهو الشريك البلاغي له، وهو ما يجعل التمييز بينهما من الصعوبة بمكان، ففي كل الحالات تحصل العملية ذاتها؛ إذ يُؤتى بكلمتين متشابهتين في اللفظ، ولكن بمدلولات مختلفة، وتستعمل العلاقة السطحية بينهما لإيجاد معان تخلقها القدرة الإبداعية عند الكاتب، فإذا كان المعنى الناتج عن هذه الممارسة يتخذ صورة علاقة بين الحاضر والماضي، فإن ما يحصل هو الاشتقاق، وإذا كان يتخذ صورة علاقة حاضرة فقط، فالنتيجة هي لعب بالكلمات.

٥. إن اللجوء إلى الاشتقاق طالما كان سبباً في تعكير صفاء الفكر، فالذين ينغمسون فيه يُفسدون ما تقصد اللغة إلى ممارسته، وهو التعبير عن الفكر، ونتيجة لذلك يجد المرء نفسه لعبة في يد الكلمات بدلاً من أن يكون هو المُستعمل لها، ومن ثمَّ يصبح السيد هو العبد. ويُضاف إلى ذلك أن أي تعريف يكون منطلقه الكلمات لا الأشياء هو تعريف لا طائل من ورائه، وإنه لمن الخطأ في الطريقة أن ننطلق من الكلمات كي نحدد الأشياء. فسُلطة الكلمات هي أكثر القوى محافظة في حياتنا، وفي الأُمس القريب بدأ العلماء يُقرّون بوجود تلك الأسلاك اللفظية الحتمية التي تُطوّق الكثير من تفكيرنا، فالطريقة العامة للاشتقاق تبدو طبيعية وغير قابلة لأن يُعترض عليها، وهي في الحقيقة مفروضة علينا، وما يزيدها توطئاً هو تأصلها في اللغة نفسها، فإذا كانت أصوات اللغة ومعالمها شاهدة على أصل مفترض، فإن تداعيات هذه الأصوات والمعالم وعادات التفكير شاهدة بالقدر نفسه على استمرارية ذات مغزى<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٣٥؛ أوغدن وريتشاردز: معنى المعنى

(دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية)، ص ٨٩.

وفي ذلك يقول سوسير: "إذا أردنا أن نتبيّن أن اللغة لا يمكن أن تكون إلا نظاماً من القيم المحض يكفي أن ننظر في العنصرين اللذين لهما دور في قيام اللغة بعملها، وهما الأفكار والأصوات. فالفكر البشري من الناحية النفسية، وبقطع النظر عن التعبير عنه بالكلمات، لا يعدو أن يكون كتلة مبهمّة الشكل وغامضة الملامح، وقد اتفق جميع الفلاسفة واللغويين في كل العصور على الاعتراف بأنه لولا الاستعانة بالدلائل لكُنّا عاجزين عن التمييز بين فكرتين تمييزاً واضحاً دائماً، فمثّل الفكر إذا اعتبرناه في حد ذاته كمثّل السديم، حيث لا شيء معين الحدود بالضرورة، فلا أفكار موجودة سلفاً، ولا وجود لأي شيء مميز قبل ظهور اللغة. وبإزاء هذا العالم المُتقلّب السابح، هل بإمكان الأصوات في حد ذاتها أن تُمثّل كيانات معينة الحدود سلفاً؟ كلا، فشان الأصوات في ذلك ليس بأفضل من شأن الفكر؛ إذ المادة الصوتية ليست أكثر ثبوتاً ولا أشد صلابة، فهي ليست قالباً، على الفكر أن يتشكّل بأشكاله بالضرورة، إنما هي مادة مرنة تنقسم بدورها إلى أجزاء متميزة بعضها من بعض، فتوفر بذلك الدوال التي يحتاج إليها الفكر"<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لما سبق قامت اللسانيات الحديثة لتنقض البحث الاشتقاقي، وليصبح الآن بحثاً مُترسباً يهتم به علماء لغة هامشيون أو مشكوك في قيمتهم. فالدراسة المتعلقة بعملية الاشتقاق وما ينتج عنها من محاولة بناء للحالة الأولى للغات غالباً ما تمارسها عبقرية اللساني الهاوي أكثر من جهود الباحث الملتزم الذي يُمثّل وصف اللغة والنظرية الوظيفية الشيء الأهم دائماً بالنسبة له.

ومهما قيل وكُتب في هذه المسألة، فإن السبب الحقيقي في تراجع البحث الاشتقاقي يبقى هو الخيبة التي أصابت العلماء بسبب نتائجهِ المُحبطة غالباً، فهناك أمل بالوصول إلى نتائج ذات بال تتولّد في البداية، فكلما توغّل الباحث في الماضي

(١) دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ١٧٢.

تقلّص الفارق بين الألسنة ذات الأصل المشترك، وقَلَّ الاقتراض والتبادل بين الألسنة ذات الأصول المختلفة.

ولكن سرعان ما يتبدّد هذا الأمل عندما يجد الباحث أن تنوّع الألسنة واختلافها يقاوم إغراء التوحّد مهما بُذِل من جهد لاحتوائه أو لإدراجه في شمولية ما، ومهما كان تَوْقه شديداً إلى مبدأ النقاء البدئي الذي يعود بنا إلى عهد آدم، حيث لم يكن هنالك سوى كلام واحد، فالرغبة في العودة إلى اللغة الأولى هي أشبه بإعادة مياه النهر إلى منابعها، وتخيل حصول مثل هذا الأمر هو ضرب من الجنون.

فأكثر اللسانيين يعتقدون أنه بعد مرور عشرة آلاف سنة على لغة ما، فإنه لا يبقى أي أثر لها في اللغات التي تولّدت منها، وهذا ما يُشكّك بصورة حاسمة في إمكان أن يجد أحد من الباحثين آثاراً باقية من أقرب اللغات الأمّات للغات المعاصرة، أو أن تُحافظ تلك اللغات الأمّات على آثار اللغات التي تكلمها أول البشر المعاصرين، وهم أولئك الذين عاشوا قبل مئتي ألف سنة تقريباً<sup>(١)</sup>، فالتغير اللغوي أمر حتمي إذا ما أخذنا بعين الاعتبار البعد الجغرافي أو البعد الزمني، وذلك تأكيد ذو مضامين مدمرة بحيث لا توجد هناك أدنى فرصة للحصول على لغة البشر الأولى في شكلها الأصلي<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإن من طبيعة البحث في بداية اللغة وأصل وضعها أن يكون فيه مقدار كبير من الغموض، فبدايات اللغة ليست فقط غير مربوطة بسلسلة موثوقة من

(١) يُنظر: ستيف بنكر: الغريزة اللغوية (كيف يبدع العقل اللغة؟)، تعريب: حمزة قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، ط١، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٢.

(٢) يُنظر: فيف لو: اللغة ودارسوها (تاريخ اللغويات)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثالث (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٨١٣.

الأشكال المتتابعة؛ سلسلة يتحوّل فيها كل شكل إلى شكل آخر، وإنما البدايات أيضاً ليس لديها، إن جاز التعبير، أي شيء لتتعلّق به، وكأنها جاءت من لا شيء، سواء في الزمان أو المكان. وعلى هذا يبدو الأمر وكأن المُبتدئ قد ألغى السلسلة المتتابعة، أو كأن الناطقين قد أبعدوا عن سيرورة اللغة.

ففضية بداية اللغة قد ظهرت متأثرة بالتفكير والتأمل بشأن أصل الكون، كما أن استنباط الخصائص الكونية للغة كان مرتبطاً بمعرفة الخصائص الكونية للعقل البشري، فنحن نؤمن بوجود ربّ خالق يكون خارج خليقته، ولهذا يمكن أن تُحلّ مشكلة بداية اللغة من خلال مُبتدئ لم تُعدّ بداياته موضوع تساؤل؛ لأنه من الأزل، وهكذا لم تعد بدايات اللغة وأصل وضعها ساذجة أو عشوائية، وإنما هي مُتجذّرة بشيء ما، وإن كان خارج قدرة الإنسان على التفكير، شيء يمتلك سبباً، يمتلك مُبرّر وجود خاص به. وفعل بناء اللغة وتشبيدها يُشبه في ذاته ما يُسمّيه هايدغر: (طارئ البداية)، الذي تأخذ فيه البداية أطول فترة للاستعداد، وبصورة لا يلحظها أحد؛ لأنها تمتلك أيضاً خاصية الوثبة مما يعني عدم إمكانية تقديمها. فالبداية الحقيقية، بوصفها وثبة، هي دائماً سَبْقٌ، قَفَز فوقه كل قادم، ولم يتم له ذلك إلا لكون البداية محتجبة، ولهذا فالبداية تتضمن النهاية بخفاء. وليس للبداية الحقيقية بتاتاً ابتدائية الساذج، فالساذج لا مستقبل له على الدوام؛ لأنه خلو من الوثبة الواهبة المؤسّسة وعملية السبق، فهو لا يستطيع بعد أن يتخلّى عن ذاته؛ لأنه لا يتضمن غير ما تمّ أسره فيه، ولكن البداية تتضمن دائماً الوفرة الخفية لما لا يدرك<sup>(١)</sup>.

##### ٥. العودة إلى البحث الاشتقاقي من جديد:

إن دراسة تاريخ اللغة لم يتراجع إلى الموقع الخلفي إلا عند نشوب المعركة الهادفة إلى إقرار الدراسة الوصفية التزامنية، وقد كان ذلك في السنوات الأولى من

(١) يُنظر: مارتن هايدغر (ت: ١٩٧٦م): أصل العمل الفني، ترجمة: أبو العيد دودو، منشورات

الجمال، ط١، كولونيا، ٢٠٠٣م، ص ١٥٠.



ظهور البنيوية، وأما بعد ذلك فقد اتخذ تاريخ اللغة مكانه المناسب في إطار الهموم العلمية، واكتسب محتوى مختلفاً تماماً في زمننا المعاصر. ففي الماضي كان دوره يكمن في إلقاء الضوء على التقدم التطوري لجزئيات لسانية مختلفة، وأما الآن فإنه يُنتظر من تاريخ اللغة أن يُفسّر التطور اللغوي في مجمله، وهذا يعني أن لا تقتصر دراسة التاريخ على جزئية واحدة، بل تمتد إلى دراسة الأسباب التي قادت إلى إحلال نظام لغوي بعينه محل نظام آخر. فالدراسات التاريخية لم تُهمل في زماننا، ولكن النمط الفعلي للهموم العلمية ومناهج العمل كلها تختلف إلى حد بعيد عن كل ما هو تقليدي، فأنماط البنى اللسانية وعلاقاتها المتبادلة هي التي تحتل اليوم مركز الاهتمام<sup>(١)</sup>.

والفكر اللساني لم يُفرّق على الدوام وجهات النظر الآتية ووجهات النظر التعاقبية، فالبحث في الاشتقاق، على سبيل المثال، كان يتردد دائماً بين هدفين:

١. أن يقيم علاقة لكلمة مع أخرى مختبئة فيها وتعطيان المعنى العميق.
٢. أن يُقيم علاقة لكلمة مع أخرى سابقة عليها جاءت منها، وهذا هو الاشتقاق التاريخي<sup>(٢)</sup>.

فالبحث الاشتقاقي، وبسبب من قوّته وبسبب تدخله في الحالة الحاضرة للغة، ليس فقط انعكاساً لصراع مضى في اللغة، بل هو أيضاً سلاح في الصراعات الحاضرة في اللغة وغيرها، وهو أداة لتوقّع الصراعات المستقبلية. فهو إذاً ليس مُجرّد حكاية أو تاريخ مُزيّف أو علم وَهْمِي، إنه أيضاً تاريخ تزامني، حيث يُنظر إلى اللغة كمثال عن مرجعية التاريخ، وهذه النظرة إلى اللغة قد تكون إما تقليدية بالمعنى

(١) يُنظر: إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ص ١٠٦، ١٠٧؛ لوسركل: علم اللغة، ص ٣٣٦-٣٣٩؛ حاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٩؛ يُنظر: بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ص ٤١؛ أوزياس: البنيوية، ص ٢٦٢، ٢٦٣، ٣٠٩.

(٢) يُنظر: ديكر ووشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ٣٠٢.

الأوسع، حيث تشهد اللغة على نقاء الأصول القديمة وعلى الشوائب التي تصيب الحال الراهنة، فنُقدّم -على نحو خاطئ- الأحوال اللغوية السحيقة بأنها زمن الازدهار، ويَحُطُّ من الفترات الأحدث بوصفها تعبيراً عن التدهور، أو قد تكون استباقية وثورية.

فالتغير اللغوي والصراع اللغوي الراهن وأدلة الصراع الماضي المتجسد في الاشتقاق، كلها تُشير إلى ضرورة الاستمرار بالنضال وتغيير المجتمع، ويُجسّد الاشتقاق هذه النظرة عندما يكون في أنظف حالاته وأكثرها بعداً عن السياسة، فهو يُسقط التاريخ الأسطوري على النظام التزامني ويُهَدِّده بالتغيير، ولذلك نجده يُقدّم صورة عن عدم استقرار نظام اللغة، وعن عمليته المستمرة لإعادة التنظيم، وذلك لأن إعادة التحليل هي واحدة من المصادر الأساسية للتغير اللغوي.

وهذا كما يصح على الكلمات، وخاصة إذا كانت مستعارة من لغات أخرى، يصح أيضاً على قواعد النحو، مع أن ذلك يستغرق عادة وقتاً أطول، فمن الممكن أن تظل بنى اللغة قائمة على الوضع الذي هي عليه طوال عهود وعصور طويلة، فنادر ما يعترى قواعد النحو تغيير أو تبديل، فقواعد النحو تُبدي في مجملها نوعاً من المقاومة، فالتغيير يمتد إلى كل مواطن اللغة، ويكون إزاءها في حالة من التردد إلى أن يتم التوصل في نهاية الأمر إلى أنه لن يُقدّم جديد بالمعنى المعروف على صعيد النحو. فاللغة عادة لا تستحدث شيئاً من حيث تصريف الأفعال أو تركيب العبارات أو ترتيب الكلمات، ولا يُنتظر منها مستقبلاً أي ابتكار لغوي في هذا المجال سوى ما يتعلّق ببعض الأجزاء الواهية منه، مثل الأجزاء التي يتسم استعمالها بقدر من الضعف، وأيضاً تلك التي ضاعف فيها النحاة قواعدهم المعيارية، فتتعرّض للتغيير استجابة لميول تبسيطية<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: لوسركل: عنف اللغة، ص ٣٤٥؛ لويس: إيكولوجيا لغات العالم، ص ١٣١.

ومهما يكن من أمر فإن المرء لا يستطيع إلا أن يشعر بشيء من الحنين لتلك الأزمنة التي سيطر فيها الاشتقاق وازدهرت فيها روح الابتكار، حيث إن خيال الشعوب هو الذي يحظى بالرعاية أكثر من تفكيرها، وهناك سبب وجيه لذلك الحنين، فنحن لا نزال نشعر بحافز قاهر تجاه الاشتقاق، فهو ما يزال يُشكّل تجسيداً لطبيعة اللغة التاريخية، ولا يزال الحافز الخيالي حاضراً له، فبدلاً من إشاحة النظر عن الاشتقاق واعتباره موضوعاً غير علمي، ربما كان يجدر بنا أن نحتمي بقدرته على الخلق والإبداع، ولا يهم هنا البتة ما إذا كانت تلك الاشتقاقات صحيحة، إلا إذا كان المرء مُتَشَبِّهاً بمفهوم ساذج عن الصحة أو الحقيقة. فليس المهم أن يكون الاشتقاق صحيحاً بقدر ما يهم أن يكون مثيراً أو جذاباً، فسادجة التصديق تتغلب على العلم، وهنا تكمن قوّته، فهو لن يكون أميناً لأصول الكلمات إلا عندما يكون خيالياً، وإذا فهم بهذه الطريقة، فلن يكون سوى نوع من الاستعارات الشعبية؛ أي يكون حَصْراً للخيال ضمن إطار اللغة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن هذه المسألة قد كانت مثار حيرة كبيرة لدى علماء اللغة، فهذا سوسير يكتب في أحد خطاباته: "إنني في حيرة في أكثر القضايا أهمية، بمعنى هل على المرء التفكير في الواقع أم عليه التفكير في الخيال الجامح للمسألة بالكامل؟"<sup>(٢)</sup>.

## خاتمة:

تتسم اللغة بصفة التدفُّق اللامتناهي التي تجعلها لا تكف عن النمو وتدقيق مسارها ورفع أشكالها المتتابعة إلى الأمام، فمنذ أزمنة قديمة انكشف هذا البُعد المفتوح كلية للغة، فأظهر البحث الاشتقاقي أنه لا يمكن للغة أن تتوقّف؛ لأنها ليست مغلقة أبداً في كلمة نهائية، ولأن مهمة تأويلها لا يمكن أن تكتمل، تلك المهمة التي تتجه دائماً نحو الجانب المبهم والمختفي من أشكال اللغة الغائرة في الزمن، فهذا التأويل

(١) يُنظر: لوسركل: عنف اللغة، ص ٣٣٧؛ فوكو: الكلمات والأشياء، ص ١٠٨.

(٢) كلر: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، ص ١٢٦.

يُوجد خطاباً علمياً يأخذ على عاتقه مهمة إعادة تلك الأشكال إلى الوجود، فلاشتقاق بوصفه تجربة ثقافية وشعبية، قد أوجد فصلاً في تاريخ العلم جعل من اللغة رهينة للعبة انفتاح الكلمات ولاتناهي التأويل.

ولقد كان الاشتقاق معروفاً على الدوام بشكل من الأشكال، وإن لم يكن دائماً مُندرجاً كلياً في الفكر اللساني، لسبب بسيط هو أنه عادة ما كان موضوعاً لأساطير التأثيل التي حاولت المُخيلة أن تبغله في ماضٍ، وأن تَرُدّه إلى حدث لاحقٍ لا يمكن للذاكرة أن تصل إليه. ومهما يكن ما نجده بشأن الحقيقة العلمية لمثل هذه الأساطير، فإن أهميتها التاريخية تكمن في الكيفية التي حاول بها عقل الإنسان أن يحل مشكلة أصل اللغة وبداياتها التي كانت دائماً محاطة بالغموض، وستظل موضوعاً للتخمين، هذه المشكلة التي سعى العقل لمباشرتها، وكأنها حَدَثٌ مترابط يقتحم سيرورة اللغة ويسكن فيها.

والبحث الاشتقاقي لم يُوجد حلاً لتعقيدات بداية اللغة وأصل وضعها، وإنما بيّن كيف يمكن لبدايات اللغة أن تكون حلقة تُحفظ فيها أشكال الاستعمال المتوالية كلها، فتلك البدايات تحمل في باطنها مبدأ تَخَلُّقها واستمرارها، أو بشكل أدق: إن بدايات اللغة وآليات بنائها وتطورها تتعلّق إحداها بالأخرى، وكأنهما متماثلتان، فالمبدأ الذي تستمد منه بداية اللغة وجودها، والذي يجب أن يُنقذها من عشوائيتها، هو المبدأ الذي يُسبّب استمرارها وتطورها. فالبداية ولأنها تحتوي على مبدأ وجود اللغة، هي كذلك آلة لإنتاج الكلام وتدويره، فهي التي تُطوّر اللغة وتُبقيها محافظة في الوقت نفسه.

## قائمة المصادر والمراجع:

١. أفلاطون (ت: ٣٤٧ ق.م)، محاوره كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، ط١، عمان، ١٩٩٥م.
٢. إفيتش، مليكا: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣. أمين، عبدالله: الاشتقاق، لجنة التأليف والترجمة، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م.
٤. أنيس، إبراهيم (ت: ١٩٧٧م): من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٦م.
٥. أورو، سيلفان وديشان، جاك وكولوغلي، جمال: فلسفة اللغة، ترجمة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠١٢م.
٦. أوزياس، جان ماري: البنيوية، ترجمة: ميخائيل إبراهيم مخول، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط١، دمشق، ١٩٧٢م.
٧. أوغدن، تشارلز كي وريتشاردز، آنفر آرمسترونغ: معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية)، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بنغازي، د.ت.
٨. أولمان، ستيفن: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، دار غريب، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م.
٩. بارتشت، بريجيت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٠. بنكر، ستيفن: الغريزة اللغوية (كيف يبدع العقل اللغة؟)، تعريب: حمزة قبلان المزيني، دار المريح للنشر، ط١، الرياض، ٢٠٠٠م.
١١. جستس، ديفيد: محاسن العربية في المرأة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ترجمة: حمزة قبلان المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٢٥هـ.

١٢. حجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٣. حسن، عباس: اللغة والنحو بين القديم والجديد، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٤. دوبيكير، لويك: فهم فرديناند دو سوسور وفقاً لمخطوطاته (مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات)، ترجمة: ريماء بركة، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠١٥م.
١٥. دي سوسير، فردينان (ت: ١٩١٣م): دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ط١، تونس، ١٩٨٥م.
١٦. ديكرو، أوزوالد وشايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٧. ريتشاردز، آيفور آرمسترونغ: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٨. ريكور، بول (ت: ٢٠٠٥م): الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، ٢٠١٦م.
١٩. زندكولر، هنس: المثالية الألمانية، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي وفتحي المسكيني وناجي العونلي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت، ٢٠١٢م.
٢٠. الصالح، صبحي (ت: ١٩٨٦م): دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ٢٠٠٩م.
٢١. عبدالتواب، رمضان (ت: ٢٠٠١م): فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، ط٦، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٢. فندريس، جوزيف (ت: ١٩٦٠م): اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.

٢٣. فوكو، ميشيل (ت: ١٩٨٤م): **الكلمات والأشياء**، ترجمة: مطاع صفدي وآخرين، مركز الإنماء القومي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٤. كلر، جوناثان: **فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)**، ترجمة: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٥. لو، فيفن: **اللغة ودارسوها (تاريخ اللغويات)**، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثالث (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٦. لوسركل، جان جاك: **عنف اللغة**، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
٢٧. لويس، جون كالفيه: **إيكولوجيا لغات العالم**، ترجمة: باتسي جمال الدين، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٨. ليكوك، دونالد ومولهيسلر، بيتر: **هندسة اللغة (لغات خاصة)**، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبدالله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثالث (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٤٢١هـ.
٢٩. ليونز، جون: **اللغة واللغويات**، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، ط١، عمان، ١٩٩١م.
٣٠. هايدغر، مارتن (ت: ١٩٧٦): **أصل العمل الفني**، ترجمة: أبو العيد دودو، منشورات الجمل، ط١، كولونيا، ٢٠٠٣م.
٣١. وافي، علي عبدالواحد (ت: ١٩٩١م): **فقه اللغة**، نهضة مصر، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٢. ياكوبسون، رومان (ت: ١٩٨٢م): **الاتجاهات الأساسية في علم اللغة**، ترجمة: علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.

25. Law, Vivien: **Language And its Students**, First Edition, King Saud University, Riyadh, 2001.
26. Lecerle, Jean-Jacques: **The Violence of Language**, Translation: Mohammad Badawy, First Edition, Almunazama Alarabiya liltarjama, Beirut, 2005.
27. Louis, Jean Calvet: **Pour Une Ecologie Des Langues**, Translation: Patsy Jamal aldiyn, First Edition, Almajlis Al'ala Lilthaqafa, Cairo, 2004.
28. Laycock, Donald & Muhlhausier, Peter: **Language Engineering**, First Edition, King Saud University, Riyadh, 2001.
29. Lyons, John: **Language & Linguistics**, Translation: Mohammad Aleanany, First Edition, Muasasa Rily, Amman, 1991.
30. Heidegger Martin: **Der Ursprung des Kunstwerkes**, Translation: Abu Al-Eid Dudu, First Edition, Publications Sentences, Germany, 2003.
31. Wafi, Ali: **Philology**, Third Edition, Renaissance of Egypt, Cairo, 2004.
32. Jakobson, Roman: **Fundamental Trends in Linguistics**, Translation: Ali HaKim Salih & Hasan Nazim, First Edition, Arab Cultural Center, Al-Dar Al-bayda, 2002.



12. Hagege, Claude: **Homme De Paroles**, Translation: Radwan Zaza, First Edition, Arab Organization For Translation, Beirut, 2003.
13. Hasan, Eabbas: **Grammar and Language Between Ancient and Modern**, First Edition, Dar Almaearif, Cairo, 1966.
14. Depecker, Loic: **Comprendre Saussure**, Translation: Rima Baraka, First Edition, Almunazama Alearabiya liltarjama, Beirut, 2015.
15. De Saussure Ferdinand: **Cours De Linguistic Generale**, Translation: Salih Alqarmady and Others, First Edition, Aldar Alearabiya Lilkitab, Beirut, 1985.
16. Dekro, Azuald: **Nouveau Dictionnaire**, Translation: Mundhir Eishi, First Edition, Almarkiz Althakafi Alearaby, Beirut, 2003.
17. I.A. Richards: **The Philosophy Of Rhetoric**, Translation: Saeed Al-Ghanmi, First Edition, East Africa, Beirut, 2002.
18. Ricceur, Paul: **La Metaphore Vive**, Translation: Mohammad Al-wale, First Edition, New United Book House, Beirut, 2016.
19. Sandkuhler, Hans: **Deutscher Idealismus**, Translation: Abu Yarub Al-Marzouki, First Edition, Aeab Research And Publishing Network, Beirut, 2012.
20. Al-Saleh, Subhi: **Studies in Philology**, Third Edition, Dar Al-eilm Lilmalayin, Beirut, 2009.
21. Eabd Altawaab, Ramadan: **Classes in Philology**, Sixth Edition, Al-Khanji Library, Cairo, 1999.
22. Vendryes, Joseph: **Le Langage**, Translation: Eabd Al-Hamid Al-Dawakhli & Mohammad Al-Qassas, First Edition, National Center for Translation, Cairo, 2014.
23. Foucault, Michel: **Les Mots et Les Choses**, Translation: Mutae Safady, First Edition, Markiz Al'iinma' Alqawmy, Beirut, 1990.
24. Culler, Jonathan: **Ferdinand De Saussure**, Translation: Eizaldiyn 'iismaeil, First Edition, Almaktaba Alakadimiya, Cairo, 2000.

## Bibliography

1. Plato: **Cratylus Plato**, Translation: Azmi Taha Al-Sayyed, Publication of the ministry of culture, First Edition, Amman, 1995.
2. Afitch Mlika: **Trends in Linguistics**, Translation: Saed Masluh and Wafa' Fayd, First Edition, Almajlis Al'ala Lilthaqafa, Cairo, 2000.
3. Amin, Eabd Allah: **The Derivation**, Authoring And Translation Committee, First Edition, Cairo, 1956.
4. Anees, Ibrahim: **One Of The Secrets Of The Language**, The Anglo-Egyptian Library, Third Edition, Cairo, 1966.
5. Auroux, Sylvain & Deschamps, Jacques et Kouloughli, Djamel: **La Philosophie Du Langage**, Translation: Bassam Baraka, First Edition, Arab Organization For Translation, Beirut, 2012.
6. Auzias, Jean Marie: **Structuralisme**, Translation: Ibrahim Mukhawil, First Edition, wizara Althaqafa and Al'irshad Alqawmy, Damascus, 1972.
7. Ogden, Charles Kay: **Meaning Of Meaning**, Translation: Kayan Ahmed, First Edition, New United Book House, Beirut.
8. Ullmann, Stephen: **The Role Of The Word In Language**, Translation: Kamal Bisher, First Edition, Dar Ghareb, Cairo, 1997.
9. Bartschat, Brigitte: **Linguistics Curricula From Herman Paul to Noam Chomsky**, Translation: Saeid Bihiry, First Edition, Muasasa Almuhtar, Cairo, 2004.
10. Pinker, Steven: **The Language Instinct**, Translation: Hamzah Almuzayne, First Edition, Dar Al Marrekh, Riyadh, 2000.
11. Justice, David: **The Semantics Of Form In Arabic**, Translation: Hamzah Almuzayne, First Edition, King Faisal Center, Riyadh, 2004.

## تمكين المعنى في بنية التركيب اللغوي

الدكتور خلف الجرادات

أستاذ مشارك - جامعة مؤتة -

قسم اللغة العربية وآدابها

### الملخص

يتناول هذا البحث فكرة أنَّ بعض عناصر التركيب اللغوي لا تقدّم وظيفة دلالية في التركيب، وإنما جاءت لترفد عنصراً آخر وتمكّن معناه، بكونها امتداداً له وتوسيعاً، وتعتمد آلية التمكين هذه على المساحة الزمنية التي يحتلّها العنصر في التركيب لحظة الأداء، فأياً ما عنصر استأثر بزمن في الذكر أكثر من غيره فقد تمكّن معناه، ومن هنا كانت وظيفة عناصر التمكين إطالة وقت ذلك العنصر في الذكر، فهي امتداد له وفائدتها الدلالية تعود إليه، ممّا ينتج عنه تمكين معناه في التركيب. وقد أُجريت هذه الفكرة على شواهد من الشعر الجاهلي من المفضليات، والحماسة، لأنها مجموعات شعرية منوعة المواضيع ومتعددة الشعراء. وقد تنوّعت طرق التمكين بين شبه الجملة، وبعض التوابع، والحال، والتمثيل أو التصوير.

كلمات مفتاحية: التركيب، التمكين، الدلالة، المساحة الزمنية.

## Establishing Meaning in the Structure of the Linguistic Construction

### Abstract

This paper deals with the notion that some elements of the linguistic construction do not have any semantic function. They seem to be employed to establish the meaning of a particular element and to become extensions of it. This function depends upon the temporal space that the element occupies during performance. Any element that requires most time during performance gets its meaning established. The other elements, therefore, have the function extending the time of one element, for they become extensions of it and their semantic content is derived from it. I have tested this notion on examples taken from pre-Islamic poetry collected in the two well-known anthologies, al-Ḥamāsa, and al-Mufaḍḍaliyyāt, which include a variety of poem by different poets. It turned out that the methods of establishing meaning vary and include phrases, adjectives, adverbs, similes, and images.

Key terms: construction, establishment, semantic content, temporal space.

## مقدمة:

يمكن النظر إلى التركيب اللغوي على أنه سلسلة متتابعة من الوحدات الدلالية الجزئية التي يبنى منها النظام النحوي وحدة دلالية كلية، ولكل وحدة دلالتها المستقلة التي تساهم بها في البنية الدلالية للتركيب، وتتفاوت هذه الوحدات داخل التركيب من حيث الوظيفة، فبعضها ركن رئيس، وبعضها مكمّل، وبعضها تابع، على تفاصيل وأحكام تعرّضت لها المصنّفات النحوية والدراسات اللغوية بمختلف أشكالها.

أما هذا البحث فإنه يدرس تلك الوحدات التي يتبين أن الغرض منها ليس الإفادة الدلالية الجديدة التي تساهم فيها بالتركيب، وإنما جاءت لترفد عنصراً آخر وتكون امتداداً له، وهي بذلك تمكّن معناه، وهذا هو غرضها وفائدتها في التركيب، وتكون آلية تمكين معنى ذلك العنصر بإطالة وقت مكثه في التركيب حين الخطاب؛ لأنه يكون حينئذ امتداداً للعنصر الممكن، فتُضاف مساحته الزمنية في التركيب إلى مساحة الممكن، ويندمجاً بوظيفة خطابية واحدة داخل التركيب.

وأحسب أن هذه الفكرة جديدة في مضمونها، ولم أجد من لامس جوهرها، على الرغم من كثرة الدراسات التي عُنيت بالتركيب ودراسة علاقاته الدلالية، بدءاً بالقدماء الذين ذهبوا محقّين إلى تقسيم عناصر التركيب إلى عمدة وفضلة أو أركان ومكمّلات، وانتهاءً بالمُحدثين الذين التقفوا إلى مسألة الجملة النواة والجملة الممتدة أو الموسّعة، غير أنه لم يتطرق أحد من الفريقين إلى فكرة تمكين المعنى كما بسطتها في هذا البحث.

وقد بيّنتُ في البحث المفارقة بين مبحث التوابع ولا سيما التوكيد وفكرة التمكين، فالتوابع في الأغلب تأتي بفائدة جديدة في التركيب مقصودة لذاتها، وهي نقطة خلاف جوهرية بينها وبين التمكين. وقد بيّنتُ أيضاً بعض المباحث التي لامس أصحابها فكرة التمكين ولكنهم لم يخوضوا غمارها.

وقد عمدتُ في هذا البحث إلى ديواني المفضليات والحماسة ورصدتُ ما يمكن أن يُعدّ شواهداً صالحةً للتمكين، وأجريت فكرة التمكين عليها، وجاء اختيار هذين

الديوانين اختياراً عشوائياً دعا إليه تنوّع القصائد فيهما من حيث الموضوع ومن حيث تعدّد الشعراء؛ لأنّي بصدد اختبار فكرة أحسبها جديدة بعرضها على شواهد شعريّة فصيحة.

وقد جعلت البحث في إطار نظريّ تناولت فيه التمكين من حيث اللغة والاصطلاح، ثمّ وضّحت مفهومه الذي أحاول رسمه في هذا البحث، واستقرّيتُ الفكرة ومصطلحاتها عند القدماء والمحدثين مبيناً تدرّجهم اقتراباً وابتعاداً منها في المعالجة والمصطلح. وقد وجدتُ مصطلح التمكين مستعملاً في البلاغة ولكنّه على غير المراد به هنا، كما وجدت فكرة التمكين قد توزّعت في مصطلحات أخرى في العلوم البلاغيّة خاصّة.

إنّ فكرة التمكين تقع في صميم الدراسات النحويّة التركيبية، وقد اتّكأت بها هنا على الجانب الدلاليّ الذي لا يمكن فصله عن النظر النحويّ القديم والحديث، وهي فكرة جزئيّة قد تساهم في رفد دراسات التركيب اللغويّ.

وبناء على الجانب التطبيقيّ الذي أجرّيته على الشواهد الشعرية الفصيحة المشار إليها وجدت أنّ من أبرز وسائل التمكين: التمكين بالحال، والتمكين بالوصف، والتمكين بالبدل، والتمكين بشبه الجملة، والتمكين بالتمثيل (التشبيه والتصوير). ولا يعني هذا أنّه حيثما جاء شبه جملة أو حال أو وصف أو تمثيل يكون المراد به التمكين، ولكني وجدت أنّ الغرض من إيراد هذه العناصر أحياناً مجرد التمكين لمعنى عنصر سابق لها، وليست مقصودة لدالاتها المستقلّة. ووسائل التمكين ذاتها كثيراً ما تأتي من غير أن يكون المراد بها التمكين؛ لأنّها تكون حينئذٍ حاملةً فائدةً دلاليّة جديدة تُضاف على الخطّ الدلاليّ للتركيب.

لقد استعرضت في سبيل بسط هذه الفكرة بعض المصنّفات النحويّة القديمة والدراسات النحويّة الحديثة، والدراسات اللغويّة المتنوّعة القديمة والحديثة، زيادة على استقراء الديوانين الشعريّين المذكورين لاستخلاص شواهد ممثلة لهذه الفكرة. أسأل الله سداداً في القول والعمل، وتوفيقاً لما فيه رضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## التمكين لغةً:

التمكين هو المصدر القياسي للفعل المزيد مَكَّنَ، والفعل مَكَّنَ مشتقٌّ من الاسم (مكان) الذي هو في الأصل اسمُ مكانٍ (مَفْعَل) من الفعل كَانَ يكون، ولشيعوه في الاستعمال انتقل إلى الاسمِية المحضة، ثمَّ اشتقت اللغة منه الصيغ الفعلية المزيدة، نحو أَفْعَلَ (أمكن)، وفَعَّلَ (مَكَّنَ)، وَتَفَعَّلَ (تَمَكَّنَ)، وَاسْتَفْعَلَ (استمكن)، فصارت الميم كأنها أصل، وصار الجذر كأنه مَكَّنَ، على حين أَنَّ الجذر (مَكَّنَ) أصلاً لم يرد له في المعاجم إلّا معنى واحد وهو بَيُّض الصَّبَاب، ولم يُشتق منه المكان ومشتقاته<sup>(١)</sup>.

ومعنى مَكَّنَ، وَتَمَكَّنَ: أَخَذَ مكانه واطمأنَّ به واستقرَّ ثابتاً، أنشد سيبويه (١٨٠هـ، ٧٩٦م)<sup>(٢)</sup>: [البسيط]

لَمَّا تَمَكَّنَ دَنِيَاهُمْ أَطَاعَهُمْ      فِي أَيِّ نَحْوٍ يَمِيلُوا دِينَهُ يَمِلُ

وخلاصة معنى التمكين من حيث اللغة هو الاستقرار في المكان، والرسوخ فيه، وأن يأخذ الشيء حَقَّهُ من مكانه بالتثبُّت والاستمسك، وقد جاء في الذكر الحكيم

(١) انظر: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ، ٧٨٦م)، كتاب العين، ٨ ج، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج ٥، ص ٣٨٧. أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد (٣٢١هـ، ٩٣١م)، جُمهرة اللغة، ٣ ج، تحقيق رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٩١. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ، ١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٧ ج، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٨٧ (مكن). محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ، ١٣١١م) لسان العرب، ١٥ ج، دار صادر، ط ٣، بيروت، ١٤١٤هـ. ج ١٣، ص ٣٦٥ (مكن).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب (مكن)، ج ١٣، ص ٤١٤. وانظر: أبو بشر عمرو بن عثمان، سيبويه (ت ١٨٠هـ، ٧٩٦م)، الكتاب، ٥ ج، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٨٠.

﴿مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام، ٦، الحج ٤١]، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف ٢١].

ومكّن ومشتقاته بهذا المعنى شائع عند القدماء والمحدثين، جاء في معجم العين في تفسير معنى (حَوَى البعير)، أي بَرَك، ثم مَكَّنَ لِثِقَاتِهِ فِي الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>.  
**التمكين اصطلاحاً:**

تنوّع مصطلح التمكين من حيث المُراد به، وذلك على حسب العلم الذي ورَدَ فيه، غير أنّه يجمع بين كلّ هذه الاستعمالات أنّه لم يبتعد كثيراً في الاصطلاح عن دلالاته اللغويّة آنفة الذكر، أي الاطمئنان في المكان والتثبّت والاستقرار والرسوخ فيه. جاء في النحو مصطلح (الْمُتَمَكِّن) للاسم الذي تتعاوره الحركات الثلاث بإزاء غير المتمكّن الذي اقتصر على حركة واحدة كالمَبْنِيّ، أو على حركتين كما هو شأن بعض طوائف الأسماء<sup>(٢)</sup>. ومرادهم بالمتمكّن هنا هو المتمكّن بالتصرف الإعرابي، ومن ثم أطلقوا المتمكّن على الظرف المتمكّن في الإعراب، أي الذي تختلف إليه وجوه الإعراب الثلاثة<sup>(٣)</sup>. وفسّر الرماني (٣٨٤هـ، ٩٩٤م) المُراد بالتمكّن المذكور: بأنّه المتمكّن في الاسميّة، فهو لا يشبه الحرف<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الفراهيدي، كتاب العين (باب الليف من الخاء) ج ٤، ص ٣١٨، والثّقْنَةُ هُوَ مَا وَلِيَ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ ذِي أَرْبَعٍ إِذَا بَرَك.

(٢) انظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٣، محمد بن السريّ بن السراج (٣١٦هـ، ٩٢٨م)، الأصول في النحو، ج ٣، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ج ١، ص ٥٠، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ، ١٣٦٠م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج ٤، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٥٤.

(٣) انظر: ابن السراج، الأصول، ٣٧٣/٢.

(٤) انظر: علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ، ٩٩٤م)، رسالة الحدود، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمّان، ص ٧٩.



ثم ورد في النحو مصطلح تتوين التمكين، وهو اللاحق للاسم المُعَرَّب المتصرف<sup>(١)</sup>، وذهب ابن هشام (٧٦١هـ، ١٣٦٠م) في تفسير هذا المصطلح إلى أن المراد تمكُّنه في باب الاسميّة<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد مصطلح التمكين في النقد والبلاغة القديمة بمعنى أن يُمَهَّد النائر لِسَجْعَةٍ فُقِرَتْهُ أو الناطم لقافية بيتَه تمهيداً تأتي القافية فيه متمكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى البيت كله<sup>(٣)</sup>.

أمّا المعنى المراد للتمكين في هذا البحث، فهو رَفْدُ اللفظ وإتباعه في التركيب النحوي بما يوثّقه ويمكّن معناه، من شبه جملة أو نعت، أو حال، أو تمثيل، وما شابه ذلك.

وعنصر التمكين غالباً ما يكون ثانوياً في التركيب، الغرض منه تمكين معنى عنصر سابق له؛ وذلك بكونه امتداداً له. وليس كلّ ما ذكرت من شبه جملة أو نعت أو حال يكون المراد منه التمكين حيثما ورد، ولكن المراد أن اللغة تأتي بهذه التراكيب الجزئية في بعض التراكيب والسياقات من غير ما قصد إلى دلالتها بحدّ ذاتها، ولكن بقصد تمكين معنى ما سبقها وترجيح وزنه.

(١) انظر: أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي (٧٤٩هـ، ١٣٤٨م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٤٤.

(٢) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك، ج١، ص ٣٨.

(٣) انظر: عبدالعظيم بن الواحد بن أبي الأصبع المصري (٦٥٤هـ، ١٢٥٦م)، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة، ص ٢٤٤، وانظر: بدوي طبانة (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، ودار الرفاعي، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م، ص ٦٤٦.

وقد رأيتُ أنَّ عِمَادَ التمكن ومدارَه على المساحة الزمنية التي يحتلّها العنصر في وقت التركيب الخارجي، وأعني بالوقت الخارجي الوقت الذي يستغرقه التركيب خلال عملية الأداء والخطاب، فكلُّ تركيب يستغرق زمناً حقيقياً (فيزيائياً) لحظة الخطاب والتواصل، ويتوزّع الزمن على وحدات هذا التركيب، ويمكن تخيل أنَّ وحدات التركيب يَحْتُلُّ كلٌّ منها مساحةً على خطِّ زمن التركيب بقدر ما تحتلّه من مساحة الخطاب، وأيُّ عنصر يستأثر بزمان أطول من زمن الخطاب فإنه يتمكّن على قدر تلك المساحة في خطِّ الزمن، ووسيلة الاستئثار بأكبر قدرٍ من زمن التركيب تكون بأن تمتدَّ الوحدة أو العنصرُ إمّا بتكراره لفظاً أو معنى، وإمّا بإتباعه بما هو من سببه، فيكون متّحداً به؛ بأن لا يأتي لفائدة جديدة غير مدّة وتطويل ذلك العنصر، ومن ثمَّ فإنَّ وظيفة العناصر المذكورة في وسائل التمكن هي إطالة الخطّ الزمني للعنصر المُمكّن فيزداد حضوره ويطغى على العناصر الأخرى.

ومن المعروف في الدراسات القديمة والحديثة أنَّ عناصر التركيب النحويّ تنقسم إلى عناصر أساسية (عمدة أو نواة)، وعناصر ثانوية (فضلة أو توسيع)، ومن الجدير بالذكر أنَّ التمكن يكون بالعناصر الثانوية أو المُكمّلات في الجملة، غير أنَّ هذه الوظيفة لا تظهر في المُكمّلات إلّا إن كان غرضها الدلالي غير مقصود لذاته، ولم يؤت به لتقديم فائدة جديدة في دلالة التركيب، أمّا إن كانت المُكمّلات إنّما جيء بها لتضيف دلالة مُكمّلة وأساسية في دلالة التركيب فإنّها حين ذاك لا تُمكن معنى العنصر المتعلقة به، لأنَّ غرضها حينئذٍ إضافة دلالة جديدة، وهذه الدلالة تستأثر بالزمن الذي تُذكر فيه لصالحها، وليس لصالح العنصر المرتبطة به، أمّا في حالة التمكن فإنَّ التكملة تخلو من فائدة أساسية تُصافُ إلى التركيب، فيصبح ذكرها امتداداً فقط للعنصر المُمكّن، ومن ثمَّ فإنَّ زمن ذكرها يعود ويندمج مع خطِّ زمن العنصر الأساسي المُمكّن كما بيّنتُ. فامرؤ القيس -مثلاً- في قوله: [الطويل]

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحِ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذَّبَالِ الْمُفْتَلِ<sup>(١)</sup>

إنَّما وَصَفَ الراهبَ بالشطر الثاني تمكيناً لمعنى المصباح (مصابيح) المضاف إلى الراهب، فالمعنى الأساسي في البيت المذكور المتعلق بما قبله في القصيدة ينتهي عند كلمة (راهب)، ثم جاء بالشطر الثاني تمكيناً كما ذكرت، وليس فيه فائدة دلالية جديدة تُزاد على المعنى الأساسي المذكور. ولكنَّ عبارة (أمال السليط بالذبال المفتل) جميعها ممَّا يعود دلاليّاً على المصباح، وهي امتداد لِذِكْرِهِ، فكأنَّ ذِكْرَ المصباح امتدَّ في الشطر الثاني بما نُعِتَ به الراهبُ، فصار وزن المصابيح الزمني في التركيب هو مساحتها الزمنية لحظة النطق بها، مضافاً إليها مساحة الشطر الثاني، وهو ما يُمكنُها في التركيب ويوثقُ عراها ويرسخها.

وثمة مثال آخر، وهو قول أوس بن حجر: [الطويل]

فُؤِيقُ جُبَيْلٍ شامخِ الرأسِ لم تكنْ لِنَبْلُغُهُ حتَّى تكلَّ وتَعْمَلَا<sup>(٢)</sup>

فإنَّه مَكَّنَ معنى الارتفاع (شامخ الرأس) بقوله: (لم تكن لتبلغه حتى تكلَّ وتعملا)؛ لأنَّه لما ذكر (جُبَيْل)، وَوصَفَهُ بشامخ الرأس لم يقنع حتى مَكَّنَ معناه بما أكمل به البيت، وهي تكملة لم تُتَمَّ ناقصاً ولا تنطوي على فائدة جديدة في دلالة البيت، فالمعنى تَمَّ عند شامخ الرأس، فأراد أن يُمَكِّنَ هذا المعنى (شموخ الجبل وعلو مرقاه) فمدَّ معناه سائر البيت.

إنَّ الفیصل فيما إذا كانت التكملة تمكيناً أو خلافةً كامناً فيما تضيف هذه التكملة على الصعيد الدلالي، فإن كان فيها إضافة دلالية منفردة ومقصودة لذاتها فهي ليست تمكيناً إذ ذاك، أمَّا إن كانت دلالتها غير مقصودة لذاتها، وليس فيها زيادة

(١) أبو سعيد السكري (٢٧٥هـ، ٨٨٨م)، شرح ديوان امرئ القيس وملحقاته، ٣ ج، دراسة وتحقيق

أنور أبو سويلم، محمد الشوابكة، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١، دولة الإمارات، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٢٧٨.

(٢) أوس بن حجر (٢ ق.هـ، ٦٢٠م)، ديوانه، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٧.

دلالية مستقلة، بأن كانت مدّاً لعنصر مُعَيَّن وتكثيفاً لدلالته فإنّها تكون -إذ ذاك- تمكينا لمعناه بما تضيف إليه من إطالة في زمن دِكْرِهِ في التركيب، فينّسج ويتمكّن ويتعرّز معناه.

ولعله يمكن تصوّر التركيب على أنّه مكوّن من خطّين متوازيين: خطّ الكلمات يوازيها خط زمنها الخطابي، ويُرَادُّ بالزمن هنا الزمن الفيزيائي الذي يستغرقه كلّ عنصر وقت الخطاب، أو الذي يمكث به العنصر وقت الخطاب، فالوضع المعياري: أن يقابل الكلمة مساحةً زمنية بمقدارها، ثم إنَّ أيّ اتّحاد أو اندماج دلاليّ بين عناصر التركيب ينجم عنه اتّحاد في مساحتها الزمنية التي تشغلها، بمعنى أنّه إنَّ عبّر أكثر من عنصر عن المعنى ذاته للعنصر الأوّل فإنّ المساحة الزمنية لهذه العناصر تندمج على خطّ الزمن، أي أنّ المعنى المُمكن يحتلّ مساحةً زمنيّةً أكثر من غيره في التركيب، وهذا ما يجعل معناه مُوثّقاً ومُمكنّاً وراسخاً.

## القدماء والمحدثون ومفهوم التمكين:

### ١. القدماء:

لم أجد من لامس معنى التمكين كما قرّره في هذا البحث، ولكنّ الدراسات السابقة طرّحت مواضيع وأفكاراً تكاد تلامس مفهوم التمكين وإن لم تُصب جوهر فكرته. فقد تناول النحاة القدماء موضوع التوكيد بنوعيه: المعنويّ واللفظي، وقد يبدو للوهلة الأولى أنّ التمكين هو التوكيد، أو هو شكل من أشكاله، ولكنّ الأمر مختلف، وإن كان لا يخلو من تداخل.

إنّ ألفاظ التوكيد المعنويّ، وهي نفس وعين وكلّ وكلّنا وأجمع، وعامة، لا تخلو من فائدة جديدة تمُدُّ بها التركيب، وهي كما ذكر النحاة رَفْعُ تَوْهُمِ المجاز، والإحاطة والشمول<sup>(١)</sup>، وهذا هو موضع مفارقتها التمكين بمعناه الاصطلاحي في هذا البحث، وإن كانت تُمكنُ الاسم المؤكّد بتقريره ذاته بما فيها من تكرير لمعناه وتأکید عليه.

(١) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك، ٣/٣٢٧، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (٦٨٦هـ،

١٢٨٧م)، شرح الرضي على الكافية، ٤ ج، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس،

ط٢، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٦م، ج٢٣، ص٦٣.

إنَّ التوكيد هو تقرير العنصر ذاته بتكراره لفظاً أو معنى، وليس بتمكينه في التركيب من خلال رَفْدهِ بالمُتَعَلِّقات، ممَّا يجعله ثابتاً مستقراً في المعنى قياساً بغيره. ويبدو لي أنَّ ما أشار إليه العكبري (٦١٦هـ، ١٢١٩م)، بوصفه التوكيد: تمكين المعنى في النفس<sup>(١)</sup> هو غاية التوكيد، وهي ذاتها غاية التمكين، غير أنَّ السبيلين مختلفان.

يزاد على ذلك أنَّ التوكيد كما قال العلوي (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م): هو تمكين الشيء في نفسه، وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإمطة الشبهات<sup>(٢)</sup>، وهذا مخالف للتمكين الذي يرفد المعنى بعناصر أخرى من التركيب ليست هي ذات المُمَكَّن. وقد نصَّ ابنُ جَنِّي (٣٩٢هـ، ١٠٠١م) من قبلُ -في باب الاحتياط- على أنَّ التوكيد بشقِّيه من وسائل الاحتياط وتمكين المعنى، قال: «اعلم أنَّ العرب إذا أرادت المعنى مَكَّنَتْهُ واحتاطتْ له، فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين...»<sup>(٣)</sup> ثمَّ عدَّ التوكيد بالنفس والعين للتثبيت والتمكين. ويبدو لي أنَّ ابن جني يريد تثبيت المعنى ذاته وتمكينه، أي ذات زيد في نحو: جاء زيدٌ نفسه، أو عينه. بمعنى نفي المجاز عن المذكور كما قالوا.

وعلى عادته فقد فَتَحَ باب الاحتياط ونَصَبَ إشاراتِهِ، قال: «ووجوه الاحتياط في الكلام كثيرة، وهذه طريقها فتنَّبَه إليها»<sup>(٤)</sup>. ومن هنا فإني أعُدُّ باب الاحتياط قريباً جداً

(١) انظر: عبدالله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ، ١٢١٩م)، اللباب في علل البناء والإعراب، جزآن، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٥م، ج١، ص٣٩٤.

(٢) انظر: يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٣، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ، ج٢، ص٩٤.

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ، ١٠٠١م)، الخصائص، ج٣، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، ج٣، ص١٠١.

(٤) نفسه، ١١١/٣.

من فكرة التمكين ظناً، لأن ابن جني لم يستكمل كل أمثلة باب الاحتياط، لكنه ذكر من أمثلة الاحتياط التأكيد بالصفة، نحو: أمس الدابر، وقول الله عز اسمه (...إلهين اثنين، ومناة الثالثة الأخرى) وهذا من باب التمكين فيما أرى. لكنه ذكر في باب الاحتياط أمثلة أخرى تخرج عن مفهوم التمكين<sup>(١)</sup>.

ومما لامس ابن جني فيه أو كاد مفهوم التمكين هو ما سماه التطوع المشام للتوكيد، والمراد به الصفة أو الحال المؤكدة، نحو: ﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٢٠]، ومضى أمس الدابر، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ الْمُذَرَّبِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، فالصفات الثلاثة الأولى مفهومة ضمناً من الموصوف، والحال في المثال الرابع مفهومة من الفعل، فعَدَّ ابن جني مجيئها هنا من التطوع المشام للتوكيد<sup>(٢)</sup>. وقد وقف عند قوله تعالى ﴿وَلَا طَيْرٌ بِطَيْرٍ يُحَاجُّهُ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وعند قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] من حيث إفادة الجار والمجرور أو عدم إفادتهما<sup>(٣)</sup>، فإن كان في الجار والمجرور زيادة فائدة وهي هنا رَفْعُ التوهم عن معنى قد يَرُدُّ فليس ذلك من التطوع المشام للتوكيد، وإن لم تحصل تلك الفائدة فتكون الزيادة تطوعاً مشاماً للتوكيد. وإشارته إلى فائدة الزيادة أو عدم فائدتها إشارة جوهريّة يُستفاد منها في بحث التمكين عندي، لأنها محور اعتبار الامتداد تمكيناً أو غير تمكين، وسيوضح من خلال الأمثلة المقصود بذلك.

ويلاحظ أن ابن جني مُتَرَدِّدٌ في الأمثلة التي ذكرها بين أن تكون احتياطاً أو تطوعاً مشاماً للتوكيد، لأنه أورد الأمثلة عينها في البابين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: نفسه، ١٠٥/٣.

(٢) انظر: نفسه، ٢٦٧/٢.

(٣) انظر: ابن جني، الخصائص، ٢٦٩/٢، ٢٧٠.

(٤) انظر: حسن بن إسماعيل الجناحي، خصائص النظم في «خصائص العربية» لأبي الفتح

عثمان بن جني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٨٤.

وأوّل نصٍّ وأبرزه عثرت عليه يُلمَعُ إلى معنى التمكين كما أراه في هذا البحث - وإن كان يختلف في طريقته - هو ما جاء عند ابن يعيش (٦٤٣هـ، ١٢٤٥م) في شرح المُفَصَّل وهو يتحدث عن (ما) الزائدة، قال: «...الخامس: أن تكون صلةً مؤكّدةً لا تفيد إلا تمكين المعنى وتوفيره بتكثير اللفظ، وذلك نحو قولك: غضبت من غير ما جُرم، أي من غير جُرم...»<sup>(١)</sup>، فالتمكين هنا لفظي محض، ولا يظهر فيه العنصر الّذي مَكَّنْتهُ (ما)، سوى أنّها أفادت التركيب كلّهُ تمكيناً من حيث هي توفير لفظ كما قال.

وأكثر ما ورد التمكين في لفظ القدماء إذا كان الأمر يتعلّق بالتوكيد والتكرير، وهم يَعمّنون تمكين المعنى في نفس السامع، ولا يَعمّنون التمكين في التركيب وطريقته في التمكين الّتي عني بها هذا البحث، فالزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ، ١١٤٣م) إنّما يريد ذلك بقوله: «وكذلك مذهب كلّ تكرير جاء في القرآن الكريم، فمطلوبٌ به تمكين المكرّر في النفوس وتقديره»<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمّ أكثَرَ المُفسِّرون من حَمَلِ كثير من الكلام والعبارات في الذكر الحكيم على التوكيد، إن كان يعود إلى المعنى ذاته ويقرّره، ولم يتقيّدوا في ذلك بقيود تركيبية، ولكنّهم عَوَّلوا على الدلالة، فحيثما تكررت الدلالة وعزّزت سابقة لها حُمِلت على التوكيد ولو تباعد المورّدان.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ، ١٢٤٥م)، شرح المفصل، ١٠ ج، تحقيق:

إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ج٥، ص٣٢.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ، ١١٤٣م) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،

٤ ج، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٣٠.

(٣) انظر مثلاً: الزمخشري، الكشاف، ٢/٤٩٢، أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية (٥٤٢هـ،

١١٤٧م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٦ ج، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار

الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٣١٩. عبدالله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ، ١٢٨٦م)،

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥ ج، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١،

بيروت، ١٤١٨هـ، ج٢، ص١٧٧.

أما علماء البلاغة والنقد فقد سبقت الإشارة إلى ورود مصطلح التمكين عندهم، ومُرادهم به تمكين القافية، وهو انتلافها مع ما يدلّ عليه سائر البيت، قال المصري: «وهو الَّذِي سَمَاهُ مَنْ بعد قدامة التمكين، وهو أَنْ يُمَهَّدَ النَّائِزُ لِسَجْعَةٍ فَقَرَّتِهِ أَوْ النَّاضِمُ لِقَافِيَةِ بَيْتِهِ تَمْهِيداً تَأْتِي القافية فيه مَتَمَكِّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلّقة معناها بمعنى البيت كلّهُ تعلّقاً تامّاً، بحيث لو طُرِحَتْ من البيت اختلَّ معناه واضطرب مفهومه، ولا يكون تمكّنها بحيث يُقدّم لفظها بعينه في أوّل صدر البيت، أو في أثناء الصدر، ولا أن يفيد معنى زائداً بعد تمام معنى البيت...»<sup>(١)</sup> وهو مختلف عن المُراد بالتمكين هنا، لأنّه مُتعلّق بالقافية وعلاقتها الدلالية ومناسبتها لسائر البيت. ولكنهم عالجوا مسائل مُقارِبَةً لمفهوم التمكين المُراد بهذا البحث بمُسمّيات مختلفة، يكاد بعضها يلامس التمكين. ويُحمّد لهم أنهم درسوا التركيب من حيث وظائف أجزائه وعلاقة بعضها ببعض، فقد ذكروا مصطلح البُسْطِ، وهو ضدُّ الإيجاز وغيرُ الإطناب<sup>(٢)</sup>، وهو وإن لم يكن التمكين المراد لكنّه يقاربه في الشكل والوسيلة، ومن أمثله قوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَفَازٌ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولولا أن لهذه الآية شرفاً وخصوصيّة لكان ما تتبع العصا من ذِكرٍ لأغراضها تمكيناً لها، لأنّ السؤال كان: وما تلك بيمينك يا موسى؟ وكان يكفيه جواباً: هي عصاي.

وذكروا الحشو، وهو إدخالك في الكلام لفظاً لو أسقطته لكان الكلام تامّاً،

نحو<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

(١) انظر: ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ٢٢٤. وانظر: بدوي طبانة (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، معجم البلاغة العربية، ص ٦٤٦. وانظر أيضاً: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٤، ١٥، ج ٢، ص ٣٥١.

(٢) انظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص ٧١.

(٣) انظر: نفسه، ص ١٧٣.



أَنْعَى فَتَى لَمْ تَذَرِ الشَّمْسَ طَالِعَةً      يوماً من الدهر إلا ضرّاً أو نفعاً<sup>(١)</sup>  
 فعدوا (يوماً من الدهر) حشواً، وكذا قوله<sup>(٢)</sup>: [التطويل]  
 أُولَئِكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرٍّ كِلَيْهِمَا      جميعاً ومعروفٍ أُرِيدَ ومنكراً<sup>(٣)</sup>  
 فعدوا (أُرِيدَ) حشواً. وأرى أَنَّ هذا فوق الحشو وهو تمكين للمعنى، فالأول مَكَّنَ  
 معنى طلوع الشمس، والثاني مَكَّنَ معنى المعروف.  
 وذكروا مصطلح الإشباع والتأكيد<sup>(٤)</sup>، وهو قريب من التمكين، ومن أمثلته ﴿وَلَا  
 طَلِيرَ طَيْرٍ بِجَنَاحِيهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] إذ عدَّ بعضهم جملة (يطير بجناحيه) إشباعاً وتأكيذاً  
 لكلمة (طائر)، وهي في الحقيقة تمكين لمعناه.  
 وذكروا مصطلح التطويل، نحو:  
 وألفى قولها كَذِباً ومِثْلاً<sup>(٥)</sup>  
 قالوا: الكذب والمِثْن واحد<sup>(٦)</sup>، وأرى أَنَّ هذا من التمكين بالمُرَادِفِ. وذكروا  
 الإيغال وهو قريب جداً من التمكين، لولا أَنَّهُ يفارقه بأنَّ فيه فائدة مقصودة لذاتها،  
 ومنه قول الخنساء:

كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) أحمد بن محمد المرزوقي (٤٢١هـ، ١٠٣٠م)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين،  
 عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٩٧٥، والبيت لامرأة من كندة.  
 (٢) انظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص ١٧٣.  
 (٣) انظر: شرح الحماسة للتبريزي، ص ٩٩٠. والبيت لمسافع العبسي.  
 (٤) انظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص ٢٩١.  
 (٥) عَجَزَ بيت من الوافر، للشاعر: عدي بن زيد العبادي، انظر: ديوان عدي بن زيد العبادي،  
 تحقيق: محمد جبار المعبيد، شركة دار الجمهوريّة للنشر، بغداد، ١٩٦٥م، ص ١٨٣.  
 (٦) انظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص ٣٩٢.  
 (٧) عجز بيت من البسيط للخنساء، انظر: أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ت ٢٩١هـ،  
 ٩٠٣م)، شرح ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عَمَّار، ط ١، عمان، ١٩٨٨م،  
 ص ٣٨٦.

فقولها: (في رأسه نار) من الإيغال الحسن؛ لأنها لم تكنف بكونه جبلاً عالياً مشهوراً بل زادت لكثرة إيغالها بمدحه بقولها (في رأسه نار)<sup>(١)</sup>. ولو لم تكن عبارة (في رأسه نار) زيادة مقصودة لذاتها في الشهرة وعدم الخفاء لكان ما أنتت به هو التمكين بعينه.

وقد عدّ الباقلاني وصف الجزع في بيت امرئ القيس: [الطويل]

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِنَا وَأَرْحُلِنَا الْجَزَعِ الَّذِي لَمْ يُنْقَبْ<sup>(٢)</sup>

من (الإيغال)، فقال: «وقد أكّد التشبيه بهذه الصفة، والمعنى قد يستقلّ بدونها»<sup>(٣)</sup>، وقوله: أكّد التشبيه بالوصف المذكور إنّما هو بمعنى التمكين، أي تمكين الجزع، وقوله: قد يستقلّ بدونها، إشارة إلى أنّها امتداد للجزع، ولم يكن الغرض الأساس منها البيان أو التوضيح ضرورةً. وربما قال قائل: إنّ الشاعر يريد هذا الوصف ويقصده لأنّ فيه زيادة دلالية، وهي متابعة التشبيه، وأن عيون الوحش تشبه الجزع الذي لم يُنْقَبْ لا الجزع المُنْقَبْ. وهو أمر وارد، فإن كانت هذه الدلالة مقصودة فإن الأمر إذ ذاك ليس تمكيناً لمعنى الجزع.

وقريب جدّاً من التمكين ما ذكره من بعض أمثلة الإطناب<sup>(٤)</sup>، نحو: دُقْتُه

بفمي، وكقول البحري:

تَأْمَلْ مِنْ خِلَالِ السَّجَفِ فَانْظُرْ بِعَيْنِيكَ مَا شَرِبْتَ وَمَنْ سَقَانِي<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص ٧٣١.

(٢) امرؤ القيس، ديوانه، ص ٤٠٢.

(٣) أبو بكر محمد بن الطيب القاضي الباقلاني (٤٠٢هـ، ١٠١٣م)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط ٥، مصر، ١٩٩٧م، ص ١٣٩.

(٤) انظر: نصر الله بن محمد، ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط ٢، ج ٢/ص ٣٦٤، وانظر أيضاً: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات البلاغة، ج ١، ص ٢٢٥.

(٥) أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (البحري)، ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، ص ٢٢٧٦.

وكقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤] فَإِنَّ كُلَّ مَا تَحْتَهُ خَطٌّ مِنْ جَارٍ ومجرور إنما هو تمكين لما قبله. وَعَدَّ ابن الأثير ذلك من الإطناب في الجملة الواحدة، أي داخل التركيب كما نصطلح الآن، ووقف عند إفادة هذا الإطناب أو عدم إفادته، أي هل جاء بفائدة دلالية جديدة تُصَافُ لدلالة التركيب أم أَنَّهُ مَجْرَدُ مَدِّ وإطناب، وهو السؤال الجوهرى الذى اعترضني في هذا البحث، إن كان مدَّ العنصر في التركيب لفائدة جديدة أم لتمكين عنصر سابق.

وابن الأثير وإن وَضَحَ الفائدة في مثل هذا الإطناب من حيث إِنَّهُ يدفعُ وَهْمَ المجاز وَيُنصُّ على الحقيقة، أو يبدي جانباً بلاغياً ذا علاقة بموقف الخطاب، كإشارته إلى وصف النفخة بالواحدة في قوله تعالى: ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣] أَنَّهُ لِعَظْمَةِ النفخة، ومثلها ﴿ذِكَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤]، أو لتوازن الفقر كقوله تعالى: ﴿وَمَنْوَةُ الثَّالِثَةِ الْآخَرَى﴾ [النجم: ٢٠] -فإنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَنْفِي الْإِطْنَابَ وَلَا يَنْفِي أَنَّهُ تَمْكِينٌ للمعنى بهذه الزيادة فضلاً على ما فيها من فائدة<sup>(١)</sup>.

وذكر السكاكي في مفتاح العلوم أَنَّ وَضَعَ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ يُرَادُ مِنْهُ تَمْكِينُ الْمَعْنَى، كقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، وقول عبدالله بن عنمة: [البسيط]

إِنْ يَسْأَلُوا الْحَقَّ نُعْطِ الْحَقَّ سَائِلَهُ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج ٢/ص ٣٤٦-٣٤٨.

(٢) انظر: يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٩٨. أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ، ١٦٨٣م) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، مجد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١٠٤٠. وتتممة البيت: والدرعُ مُحَقَّبَةٌ والسيفُ مقروبٌ، انظر: المرزوقي، شرح الحماسة، ص ٥٨٥.

ووجه التمكين في هذا أنه كرّر المُمكن، وتكراره باللفظ يُمكنُ معناه، خلافاً لو كرّره بالضمير وطواه، فإنّه لا يأخذ المساحة ذاتها على خطّ المعنى وخطّ زمن التركيب.

## ٢. المُحدّثون:

لم أجد مَنْ أفرد للتمكين دراسة أو طريقه بفكرة مستقلة من المُحدّثين، وأوّلِي دراساتهم بالتمكين ما اختصّوا بها الجملة وبناءها، ولكنهم درسوا البناء الشكلي للجملة، ودرسوا بعض الوظائف الدلالية لأجزائها، ولم أجد من وقف منهم على التمكين، وإن كادت تلامسه إشارات بعضهم.

فحين وقف فاضل السامرائي في كتابه (الجملة العربية والمعنى) على الاحتياط استكمل فيما يبدو- ما كان بدأه ابن جنّي، وذكر مجموعة من الطرق التي اتّبعها العربية في الاحتياط للمعنى، وذكر ما يقارب خمس عشرة طريقة للاحتياط، لامس بعضها مفهوم التمكين وإن لم يترجم هو له بذلك، فذكر وضع الظاهر موضع المضمّر، هو ما نصّ القدماء على أنه تمكين للظاهر، كما ورد أنفاً، وأورد الحال المؤكّدة، نحو ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]، والظرف المؤكّد، نحو ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، وذكر أيضاً التصريح بذكر ما اقتضاه الكلام، وعدم الاكتفاء بما تقدّم منه، نحو ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، ﴿الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا﴾ [الكهف: ٢، ١]. وذكر النعت الذي يوضح المنعوت، وضرب المثل بعد الحكم تقريراً له، وتمكيناً له في النفس<sup>(١)</sup>.

وذكر إميل يعقوب في (موسوعة علوم اللغة) مصطلح التمكين، وذكر أنه في النعت، وهو نعت لنوع من التمكين<sup>(٢)</sup>. ولم يزد على ذلك.

(١) انظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٤٢، ١٤٩، ١٥٤.

(٢) انظر: إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة، ١٠ ج، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٦م، ج ٤، ص ٦٦١.

وذكر محمد حماسة عبداللطيف في دراسته للتوابع، أنَّها عناصر غير إسنادية يتم بها إطالة عنصر إسنادي أو غير إسنادي في الجملة، بحيث يكون التابع مع متبوعه مُرَكَّباً واحداً، يُمَثَّلُ عنصراً واحداً في الجملة<sup>(١)</sup>. وقوله هذا خير وصف لفكرة التمكين من ناحية الشكل، وحين ذكر أغراض النعت ذكر منها التوكيد، وذلك إذا كان مدلول الصفة مستفاداً من الموصوف فيصير ذكره في الصفة كالتكرار، إذ ليس فيه زيادة معنى، مثل أمس الدابر، و﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]<sup>(٢)</sup>، وبعض أمثلة هذا قريبة من التمكين، لكنّه لم يذكر التمكين مكتفياً بالتأكيد، على الرغم من أنَّ التمكين هو أحد الأغراض التي يأتي لها مثل هذا التطويل، ولكنّه غير مقتصر على التوابع، كما أنَّ التوابع ليست مقتصرة على أداء وظيفة التمكين للمعنى حيثما جاءت، فأغلب ما تأتي له البيان بزيادة الفائدة الدلالية.

وقد انتقد مهدي المخزومي معالجة النحاة للتوكيد وأنهم قصره على جوانب قليلة من جوانبه لها علاقة بالصنعة النحوية، ولم يدرسوا التوكيد دراسة تشمل كلّ فنونه وأشكاله، وحينما ذهب يستدرك على النحاة ما فاتهم جاء بمسائل جديدة -حقاً- بأن تكون في باب التوكيد، مثل باب التوكيد بالأدوات، وبالأساليب المتنوعة، ولكنّه لم يلامس فكرة التمكين.

وذكر بعضهم في بناء الجملة فكرة العنصر الأساس اللازم في بناء الجملة وسمّاه المركز أو الرأس، والعنصر التابع غير اللازم وسمّاه الامتداد أو التوسيع، مثل تركيب النعت والمنعوت<sup>(٣)</sup>. وهذا تحليل أساسي في فكرة التمكين وإن لم يلتفتوا إليها، على أنَّ التمكين لا يشمل كل امتداد وتوسيع في التركيب.

(١) انظر: محمد حماسة عبداللطيف، التوابع في الجملة العربية، مكتبة الزهراء، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص٦.

(٢) انظر: محمد حماسة عبداللطيف، التوابع، ص٢٨.

(٣) انظر: محمد عبدالعزيز عبدالدايم، المفاهيم النحوية بين الدرسين: العربي التراثي والغربي المعاصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٥٦.

وقد نما مصطلح التوسعة والامتداد في الجملة في الدراسات التي تناولت تركيب الجملة، وهما مصطلحان يدوران أيضاً في فلك تقسيم عناصر الجملة إلى أساسية وثانوية، وقد دار حول توسعة الجملة دراسات عديدة، خلاصتها أنّ هناك في الجملة عناصر ليست أساسية في البناء، ولكن لها وظائف وسّعت الجملة ومدّتها، غير أنّ كثيراً منهم ذكروا التوسيع وبسطوا القول فيه من حيث هو توسيع دون الخوض في أغراضه التي منها التمكين، وقد يذكرون الأغراض ولكنهم لم يلتفتوا إلى مسألة تمكين المعنى، زيادة على أنّهم ما كانوا يفرّقون في التوسعة بين ما ينطوي على دلالة يضيفها إلى الخطّ الدلالي وما لم يكن فيه إضافة إلاّ أنّه جيء به للتمكين<sup>(١)</sup>.

وجعل بعضهم التوسعة «بإضافة أيّ عنصر لغوي جديد على الجملة البسيطة، فيترك آثاره على التركيب كلّ في البناء والدلالة»<sup>(٢)</sup>، فعَدّ مثلاً أدوات النفي، وأدوات الاستفهام، وأدوات التوكيد توسعةً، وهو أمر أوسع وأبعد من التمكين شكلياً فضلاً عن عدم مقارنته دلاليّاً.

ومنهم من طابق نظره نظر القدماء من حيث كانت التوسعة عنده تكاد تطابق الفضلة عند القدماء، وإمكانية استغناء الجملة عن عنصر التوسعة نحوياً دون ضرر تركيبّي<sup>(٣)</sup>، وهو أمر أيضاً أوسع من وسائل التمكين، وأبعد منه من ناحية الوظيفة الدلالية.

(١) انظر: أبو أوس إبراهيم الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، مطابع الدجوي، ط١، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٢٢٤-٢٤٩.

(٢) انظر: زين كامل الخويسكي، الجملة الفعلية بسيطة وموسّعة، دراسة تطبيقية على شعر المتنبي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ٢.

(٣) انظر: محمد الشاوش، "ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة العربية"، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ١٩٨٢م، العددان ١٣٥، ١٣٦، ص ٨١، ٨٢. وانظر أيضاً: كفاية بنت موسى بن أحمد الغدير، الجملة الموسعة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤٢٦هـ، ص ١٩.

وعدّ سمير استيتية الزيادة والتوسعة نمطين من أنماط العمليات التحويلية في الجملة، وفرق من ثمّ بينهما، بأن الزيادة إضافة عنصر جديد لم يكن له وجود أصلاً في التركيب، أمّا التوسعة فهي جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر اتّساعاً مما كان عليه، قبل التحويل.<sup>(١)</sup> ولم يكن المؤلف بصدد توضيح التوسعة بأكثر مما ذكر، ولم يُمثّل عليها، ولم يكن في سياق ذِكر التمكين أو مقاربتة، وفكرته تلامس شكل التمكين، وإن كان مفهوم التوسعة على هذا أوسع بكثير من التمكين، أي أنّ كلّ تمكين توسعة لعنصر ما، ولكن ليس كلّ توسعة يُراد منها التمكين. فالتمكين دائرة صغيرة تتقاطع مع دائرة التوسعة الكبرى.

وقد يصلح مثلاً على ذلك ما ذكره ميشال زكريا، وهو يتحدّث عن توسعة الركن الاسميّ بصورة ازدواجيّة، نحو:

خرج زيد هذا،

خرج زيد أبو حنا

مررت بزيد نفسه

جاء الرجال كلهم

حيث يرى أنّ الركن الاسميّ في الجمل السابقة موسّع باسم آخر، وهي على التوالي: هذا، وأبو حنا، ونفسه، وكلهم، وهو ما يُسمّيه توسّعاً ازدواجياً، والثاني منهما هو الأوّل<sup>(٢)</sup>. أمّا من وجهة نظر التمكين، فإنّ الأوّل فيه تمكين؛ لأنّه توسعة للاسم (زيد) ومدّ من غير فائدة دلاليّة جديدة، أمّا الثاني ففيه بيان وتحديد؛ فقد خصّص الاسم (زيد) بأنه أبو حنا، والثالث فيه تأكيد وَرَفْع وَهْم المجاز، وهذه الفائدة الدلاليّة

(١) انظر: سمير شريف استيتية، الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ص ١٢٠.

(٢) انظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)،

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط ٢، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٣.

التي خرج بها عن التمكين المراد هنا، ومثله المثال الرابع لأنّ (كلّ) أفادت التأكيد من حيث الشمول والإحاطة.

### مسائل التمكين:

#### ١. التمكين بالحال:

الحال في حقيقتها صفة ولكنها أنيّة، وكما يكون التمكين بالصفة فإنّه يكون كذلك بالحال، ولكنّ الأغلب مجيء الحال لإضافة فائدة دلالية مستقلة إلى خط التركيب الدلالي، غير أنّها أحياناً تأتي لتمكين ما قبلها.

جاء في فتح الباري، عند حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أشدّ حياءً من العذراء في خدرها)، قال: «وقوله في خدرها: أي في سترها، وهو من باب التتميم، لأنّ العذراء في الخلوة يشدّ حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه»<sup>(١)</sup>، أي أن في الحال من الجار والمجرور إضافة على الخطّ الدلالي للتركيب، فمن ثمّ لم يكن الغرض الأساسي منها التمكين، ولو لم تُردّ تلك الإضافة لكانت تمكيناً. وفيما يأتي بعض الشواهد على التمكين بالحال:

#### ١. قال علقمة بن عبدة: [البسيط]

حتى تذكر بِيضَاتٍ وهيَّجَهُ يومُ رذاذٍ عليه الريحُ مغَيُومٌ<sup>(٢)</sup>

(١) أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ، ١٤٤٩م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٧ ج، تعليق وتحقيق: عبدالرحمن بن ناصر البراك، أبو قتيبة محمد نظر الفاريابي، دار طيبة، ط١، الرياض، ٢٠٠٥م، ج٨، ص٢١٩، حديث رقم: ٣٥٦٢.

(٢) المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (نحو ١٦٨هـ، ٧٨٤م)، ديوان المفضليات، شرح القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لائيل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م، ص٨٠٢.



فقد مَكَّن (يوم الرذاذ) بالحال (عليه الريح مغيومٌ)، إذ يبدو من سياق البيت أنَّه لم يُرد تلك الفائدة من قوله: عليه الريح مغيوم، ولكنه جاء بها تكملةً ليوم رذاذ حتى تُمَكِّن معناه.

٢. وقال أبو حنبل الطائي: [البسيط]

حتى وفيثُ بها دُهمًا مُعقَّلةً      كالقارِ أُرِدْفَه من خلفه قارُ<sup>(١)</sup>

مَكَّن معنى الإبل التي يتحدَّث عنها بهذه الأحوال المتعدِّدة، ودلالةً هذه الأحوال تمكينُ المعنى الذي يريده في الإبل في البيت، وهو سوادها وكرمها، وهذا مثال على كون غرض الحال التمكين وليس إحداث فائدة خبرية جديدة، فليس الغرض من الحال هنا زيادة الخبر على الخطِّ الدلاليِّ وإنَّما تمكين معنى الإبل المذكورة.

٣. قال شبرمة بن الطفيل: [الطويل]

أقولُ لفِثْيَانٍ ضِرَارٌ أبوهمُ      ونحنُ بصحرَاءِ الطعانِ وقوفُ  
أقيموا صُدورَ الخيلِ إنَّ نفوسكم      لميقاتِ يومٍ ما لهنَّ خُلوْفُ<sup>(٢)</sup>

مَكَّن (أقول) بالحال في الشطر الثاني، والحال لا تخلو من زيادة فائدة على الخطِّ الدلاليِّ، لأنَّ المراد: أقولُ ونحن في تلك الحال الحرجة قبل وقوع الطعان، ولكنها مع ذلك مَكَّنت الفعل (أقول)، ففيها امتدَّ فعل القول وتمكَّن ببيان الحال التي قيلَ فيها وأهميتها، فيتنبَّه المُخاطَب إلى ما بعد القول.

٤. وقال عبدالله بن الدميني الخنعمي: [الطويل]

ولَمْحٍ بِعَيْنَيْهَا كَأَنَّ وَمِيضَهُ      وميضُ الحَيَا تُهدى لنجدٍ شقائِقُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) المرزوقي، شرح الحماسة، ص ٢٩٩.

(٢) نفسه، ص ٧٠٤.

(٣) نفسه، ص ١٢٦٤.

مَكَّن (الحيا) بالحال بعده، وليس من فائدة دلالية أساسية للحال (تُهْدَى لنجدٍ شقائُقه) على الخطّ الدلاليّ للتركيب سوى تمكين معنى (الحيا)، فالحيا ووميضه هو هو بهذه الحال أو بدونها، لكنّه مدّ زمن الحيا خطابياً ومكّن معناه.

## ٢. التمكين بالوصف:

الأكثر في الصفة أن تأتي لبيان الموصوف بتوضيحه أو تخصيصه، هذا هو الغرض من الصفة غالباً، أي أنّ فيها فائدة دلالية مرادة لذاتها، ولكنها قد تأتي في بعض السياقات لتمكين معنى عنصر سبقها، إن لمّح من سياق الكلام استغناء الموصوف عن هذه الصفة، فتكون إذ ذاك تمكيناً لمعناه. ومن ذلك:

١. قال عَمَّار بن الكاهن الصموتيّ: [الطويل]

لَقَاطُ أُسِيرًا أَوْ لَجَرَّتْ عِظَامُهُ إِلَى الْغَارِ دَرْمَاءُ الْيَدَيْنِ ذَوْوُلٌ<sup>(١)</sup>

مَكَّن الموصوف بالصفة التي أغنت عن ذكره وهي (درماء اليدين) ويعني الضبع، ثم أردف بصفة أخرى (ذوّول) إمعاناً في التمكين، وإنما ذكر الصفات في هذا السياق لتمكين دلالة (الضبع).

٢. وقال سَلَمَةُ بن الخُرشب: [الطويل]

فَلَوْ أَنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ أُدْرِكْتُ وَلَكِنَّهَا تَهْفُو بِتَمَثَالِ طَائِرٍ<sup>(٢)</sup>

خُدَارِيَّةٍ فَتَخَاءَ أَلْتَعَ رِيشَهَا سَحَابَةٌ يَوْمَ ذِي أَهَاضِيْبٍ مَاطِرٍ

مَكَّن (طائر) -ومعنى السرعة هو المراد هنا- بالصفة (خُدَارِيَّة) ثم فتخاء، ثم بصفة ثالثة هي صورة (ألتع ريشها...) ولكونها صورة فإنّها أوسع في التمكين. ومما

(١) الضبيّ، المفضليات، ص ٣٤، والدرماء: التي لا تستبين كعوبها ولا مرافقها، وذوّول: من ذأل: إذا مشى بسرعة وخفّة.

(٢) نفسه، ص ٣٦، وتهفو: تسرع، والخُدَارِيَّة: العقاب، والفتخاء: لينة الجناح، واللتق: البلل.

يؤيد التمكين أنّ البيت الثاني كلّهُ امتداد لدلالة السرعة المرادة من كلمة طائر في البيت السابق.

٣. وقال مُعَقَّر البارقِيّ: [الطويل]

هَوَى زَهْدَمَ تحت العَجَاجِ لحاجِبٍ      كما انقَضَ بازٍ أَقْثَمُ الرِيشِ كاسِرُ<sup>(١)</sup>

مَكَّنَ معنى (بازٍ) بصفتين، وهما: أَقْثَمُ الرِيشِ، وكاسِر، ولا تحتاج كلمة (باز) بياناً ولا توضيحاً من هاتين الصفتين، ولكنّه جاء بهما تمكيناً لمعناها.

٤. وقال الحادِرة: [الكامل]

بَكَّرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحَتْهُمْ      من عَاتِقِ كَدَمِ الغَزَالِ مُشْعَشَعِ<sup>(٢)</sup>

مَكَّنَ معنى الخمرة (عَاتِقِ) بصفتين، هما: كَدَمِ الغَزَالِ، ومشْعَشَعِ، ولا يخفى أنّه ليس الغرض الأساسي من الصفة هنا ما فيها من زيادة على الموصوف وتوضيح، ولكن جيء بها تمكيناً في المعنى، لأنّها امتداد له، وقد اتحد زمنها في التركيب (الزمن الخطابي) مع زمنه، فصار حضورهما حضوره، وهذا هو تمكينها له، ولا أعني هنا مثلاً إلغاء الصفة تماماً واستقلالها للتمكين، ولكنّي أعني أنّ قَصَرَ وظيفتها الدلالية على كونها صفة فقط هو اختزال لغرضها وفائدتها التي هي أولى بها في السياق، فهي صفة من حيث الوظيفة النحويّة ولكنّ فيها قيمة أخرى لعلّها هي المرادة وهي تمكين المعنى الذي قبلها.

٥. وقال مُتَمَم بن نُؤيرة: [الكامل]

ولقد قَطَعْتُ الوَصْلَ يَوْمَ خِلَاجِهِ      وأخو الصريمة في الأمور المُرْمَعِ<sup>(٣)</sup>  
بِمَجْدَةٍ عَنِسٍ كَأَنَّ سَرَائِهَا      فَدَنَ تَطْيِيفُ بِهِ النَبِيْطُ مَرْقَعُ

(١) الضبي، المفضليات، ص ٤٥، وأقثم الريش: مجتمعه.

(٢) نفسه، ص ٥٩. وعاتق: عتيقة.

(٣) نفسه، ص ٦٤، ٦٥، الصريمة: العزيمة، والخلاج: الشك، المزمع: المجمع. عنس: صلبة، سراتها: أعلاها، فدن: قَصُرَ، مَرْقَع: عال.

مَكَّنَ الراحلة وقَوَّتْهَا بهذه الصفات: مُجِدَّة، عَنَس، كَأَنَّ سراتها...، وتمكين المعنى هنا بإطالة ذِكْرِهَا (ذكر الراحلة) في التركيب، ولم يكن القصدُ من توارد الصفات الترقِّي بمعناها مبالغَةً؛ لأنَّ دلالة الصفات المذكورة على القوة مقاربة.

٦. وقال الشنفرى الأزدي: [الطويل]

فَبِتُّنَا كَأَنَّ الْبَيْتَ حَجَرَ فَوْقَنَا      بِرِيحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطَلَّتْ<sup>(١)</sup>  
بِرِيحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ نَوَّرَتْ      لَهَا أَرْحَ مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتٍ

كلُّ ما جاء بعد (بريحنة) في البيت الأول هو مدٌّ لمعناها وتطويل، وهو ما مَكَّنَ معناها، وليس الغرض الأساسي من إيراد الصفات بعدها هو إضافة فائدة دلالية مستقلة بهذه الصفات، ولكنها لما كانت ركيزة أساسية في دلالة البيت مَكَّنَهَا هذا التمكين، فانظر أيَّ تمكينٍ لمعنى الريحنة في البيتين حين مدَّ ذكرها بما يقارب البيت ونصفه، وليس من فائدة للمدِّ الذي بعد (ريحنة) إلا تمكين معناها بتكثيفه واستثثاره بزمَن الخطاب في سائر البيتين.

٧. قال عُبْدَةُ بن الطبيب: [البسيط]

فَخَامَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَرْجِيْعِ ذِكْرِتِهَا      رَسُّ لَطِيفٍ وَرَهْنٌ مِنْكَ مَكْبُولُ<sup>(٢)</sup>  
رَسُّ كَرَسٍ أَخِي الْحَمَى إِذَا غَبَرْتُ      يَوْمًا تَأَوَّنَهُ مِنْهَا عَقَابِيلُ

مَكَّنَ الرَسَّ بإعادته موصوفاً بصورة بيانية مفصلة، فكأنه حينما ذكر الرَسَّ في البيت الأول لم يأخذ حقَّه من التمكين، وقد كان هو محور المعنى، فأعادهُ ووصفه ومَكَّنَهُ بما يوفيه حقَّه. لقد انتهى المعنى عند نهاية البيت الأول، ولكنه كرَّر على (رَس) ومدَّ معناه في البيت الثاني كاملاً، وهذا هو تمكينه؛ فالبيت الثاني يُضَافُ من حيث الدلالة وزمن خطابها إلى (رَس) المذكور أولاً.

(١) الضبي، المفضليات، ص ٢٠٢، طَلَّتْ: أصابها الطلُّ، مسنت: مُجِدَّب.

(٢) نفسه، ص ٢٦٩، الرَسُّ: الداخل في القلب، المستتر.

٨. وقال أيضاً في القصيدة ذاتها:

بَاكَرَهُ قَانِصٌ يَسْعَى بِأَكْلِبِهِ      كَأَنَّهُ مِنْ صِلَاءِ الشَّمْسِ مَمْلُوءٌ<sup>(١)</sup>

المعنى في البيت هو: باشره قانصٌ، ثم مَكَّنَ معنى القانص بما وصفه به: يسعى بأكلبه، ثم الوصف بالصورة (كأنه من صلاء الشمس مملوء)؛ فالمساحة التي امتدَّت عليها صفات (قانص) تمثِّلُ ثلاثة أرباع التركيب، وهي امتداد لقانص، وتشكَّلَ معه وحدة دلالية واحدة، فكأنَّ (قانص) امتدت هذا الامتداد في الذكر، واستأثرت خطابياً بسائر البيت.

٩. ومن القصيدة ذاتها قوله:

يَأْوِي إِلَى سَلْفَعٍ شَعْتَاءٍ عَارِيَةٍ      فِي حِجْرِهَا تَوَلَّبَ كَالْقَرْدِ مَهْزُولٌ<sup>(٢)</sup>

إنَّ الصفة وإن كانت تعود للموصوف وهي توسيع له لكنَّها حين يكون الأولى بها ذكر الفائدة؛ فإن الفائدة الجديدة هي التي تحتل ذلك الموقع في خط زمن الخطاب، أمَّا إن كانت تمكيناً فإن الفائدة تكون ضئيلة ويكون الأولى هو ردف العنصر المُمَكَّن؛ لذلك يضاف الموقع الذي احتلَّته في خط الزمن إلى العنصر المُمَكَّن.

والعنصر المُمَكَّن في البيت السابق هو المرأة التي يصفها، وهي وإن غابت لفظاً، لكنَّها حضرت وتمكَّنت معنى من خلال الصفات التي تواردت عليها، فالمعنى المُراد أنَّ القانص المذكور في الأبيات التي سبقت البيت السابق يسعى على امرأته الفقيرة البائسة، وقد مَكَّنَ هذا المعنى من خلال الصفات التي أوردتها، فهي صفات مفيدة بذاتها لكنَّها تتوجَّه إلى تمكين المعنى المذكور، وقد أتمَّ التمكين بالصفة المركَّبة (الصورة) التي استأثرت بالشطر الثاني من البيت.

١٠. وقال آخر: [الطويل]

وَمُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ      رَفَعْتُ لَهُ نَاراً لَهَا حَطَبٌ جَزَلٌ<sup>(٣)</sup>

(١) نفسه، ص ٢٧٧.

(٢) نفسه، ص ٢٧٧، السلفع: الجريئة البذيئة، تولب: ولد الحمار.

(٣) نفسه، ص ٣٤٧. هذا البيت أورده الأنباري في شرحه، ولم أعثر له على قائل معيَّن.

انتهت العناصر الأساسية للدلالة في البيت عند كلمة (ناراً)، ثم مدّ النار بالصفة (لها حطبٌ جزلٌ) التي ستدكي معناها وتزيده تمكيناً، ومعنى النار في البيت هو أنها علامة للضيفان. ومن الطريف في البيت أن يتفق تمكين العبارة للنار مع الواقع المحسوس وهو تمكين الحطب الجزل للنار المشتعلة وإيقادها!

١١. وقال المثقّب العبديّ: [الطويل]

يَوْمٌ بِهِنَّ الْحَزْمِ خِرْقٌ سَمِيدٌ أَحَدُ كَصَدْرِ الْهُنْدُونِ مِخْفَقٌ<sup>(١)</sup>

مَكَّنَ الفاعل الَّذِي هو قائد الخيل المُراد بالبيت بطائفة من صفاته احتلت ثلثي التركيب، والصفات إن تواردت على الموصوف مكنّته أيّما تمكين، وإن تنوّعت فتتوّعها يعني أنها تضافرت في الدلالة المرادة للمعنى المُمكّن. ولا تخلو بعض الأمثلة من غموض في الدلالة على التمكين من حيث النظر إلى فائدتها المستقلّة، وأنّه بهذا إنما جاءت لما فيها من فائدة وليس لتمكين العنصر، لكنني في التمكين أنظر إليها وإن جاءت مستقلّة بفائدتها فإنها مكنّت العنصر الذي قبلها في مثل المثال المذكور، ومسألة الأولوية بين التمكين أو الاستقلال مسألة نسبيّة قد يُدنيها السياق وقد يُبعدها بناءً على قراءة الشاهد وفهمه وتمثّله.

١٢. وقال جابر بن ثعلب الطائي: [الطويل]

وَلَمْ يَكُ فِي بَوْسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً يُنَاغِي غَزَالاً سَاجِي الطَّرْفِ أَكْحَلًا<sup>(٢)</sup>

مَكَّنَ معنى جمال المرأة وحسنها بوصفها غزلاً، ساجي الطرف، وأكحلاً، ولا يُراد من هذه الصفات التخصيص أو التعيين، ولكنها تمكين لمعنى الحسن والجمال.

١٣. وقال الفرزدق: [الطويل]

فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحاً وَمَذْهَباً بَعِيسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاحِ صَوَادٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الضبي، المفضليات، ص ٦٠٣، يؤم: يقصد، مِخْفَق: ضروب، سميدع: شريف، الخرق: الكريم. الأحد: سريع اليد.

(٢) المرزوقي، شرح الحماسة، ص ٣٠٦، المناغة: المغازلة، ساجي الطرف: ساكنه.

(٣) نفسه، ص ٦٧٦، ٦٧٧.

### مَخِيْسَةُ بُرْلٍ تَخَايَلُ فِي الْبُرَى      سَوَارٍ عَلَى طُولِ الْفَلَاةِ غَوَادٍ

مَكَّنَ بالصفات معنى العيس (ويقصد بالمعنى هنا وظيفتها الدلالية في التركيب، فهي وسيلة التباعد هنا)، قال المرزوقي: «وإنما وصف العيس ليُرى أنه متمكّن من مراده في التباعد، مستظهر للعدّة في السفر»<sup>(١)</sup>.

#### ٣. التمكن بالبدل:

ليس من الضروري أن يكون المراد هنا البديل بمعناه النحوي وأحكامه، ولكنه البديل الدلالي، ويكون التمكن بمدّ المعنى بما يساويه، ومن ذلك:

##### ١. قال سلمة بن الخُرشب: [الطويل]

فإِنَّ بَنِي ذُبْيَانَ حَيْثُ عَهْدْتُمْ      بِجَزَعِ الْبَتِيلِ بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ<sup>(٢)</sup>

فقد أورد الشاعر عبارتين، هما: حيث عهدتم، وبجزع البتيل، ودلالاتهما واحدة، فالثانية امتداد للأولى، وفيها مزيد من بيان، غير أنه لم يكن مضطراً أن يعمم ثم يحدد، ولكنه مَكَّنَ المعنى المراد بإيراد المبدل منه، ثم أورد البديل عليه.

##### ٢. وقال أحدهم: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا آلَ نُثْلَةٍ صَالِحاً      فَتَى نَاشِئاً مِنْ آلِ نُثْلَةٍ أَوْ كَهْلًا<sup>(٣)</sup>

ومما يؤيد عندي أن المراد من الإبدال هنا إنما هو التمكن هو أنه ليس في البديل فضل بيان وتوضيح عما في المبدل منه إلا التفصيل بعد الإجمال، وليس في هذا دلالة مستقلة بذاتها، ولكنه تمكين معنى الأول على سبيل التفصيل. فليس هذا من البديل الذي سبيله تعيين المبدل منه وتحديد به بالبدل، ففي ذلك فائدة مُستأنفة وإن كان يُستفاد منه التمكن عَرَضاً لا قِصداً، إلا أن الأمر هنا مختلف؛ فالمبدل منه هو المراد وهو المُعَيَّن والبديل جاء لتمكين معناه.

(١) المرزوقي، شرح الحماسة، ص ٦٧٧.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٣٤.

(٣) نفسه، ص ١٢٣. ولم يُعَيَّن صاحب البيت.

## ٣. وقال عبدة بن الطبيب: [البسيط]

فَخَامَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَرْجِيعِ ذِكْرَتِهَا      رَسٌّ لَطِيفٌ وَرَهْنٌ مِنْكَ مَكْبُولٌ<sup>(١)</sup>  
رَسٌّ كَرِسٍّ أَخِي الْحُمَى إِذَا غَبِرْتُ      يَوْمًا تَأْوِيَهُ مِنْهَا عَقَابِيلُ

حينما ذكر الرَسَّ موصوفاً في البيت الأول لم يرتو من معناه كما يريد، فكرّره بصورة تَمَكَّن معناه وتقع غلته وتوفي بالمراد، وذلك بأن جاء بالبدل ممدوداً بالوصف والصورة في البيت الثاني كلّهُ، وكلُّ ذلك بمجمله يَمَكَّن (رَسٌّ) الوارد في البيت الأول.

## ٤. التمكن بشبه الجملة (الجار والمجرور والظرف):

من الجدير بالذكر أنّه ليس كلّ شبه جملة في التركيب النحوي يراد منه التمكن، لأنّ كثيراً من أشباه الجمل يُقَدِّم للتركيب فائدة دلاليّة أساسيّة، ولكن حين يأتي شبه الجملة امتداداً لما تعلق به دون فائدة أساسيّة مقصودة فإنّه حينئذٍ يقوم بالتمكن، ومن ذلك:

## ١. قال تائب شراً: [البسيط]

لا شيء أسرع مني ليس ذا عُدْرٍ      وذا جناح بجنب الريد خفاق<sup>(٢)</sup>

فإنّه مَكَّن معنى السرعة المستفادة من (ذا جناح) بالصفة (خفاق) وما يتعلّق بها من شبه الجملة (بجنب الريد)، ولا يخفى أنّ الصفة ومتعلّقها امتدادٌ لعبارة (ذا جناح)؛ لأنّ المعنى الأساسي اكتمل دلاليّاً وتمّ عند كلمة جناح، على النحو التالي: لا شيء أسرع مني ليس ذا عُدْرٍ وذا جناح. غير أنّ ما اتصل بـ(ذا جناح) من صفة وجار ومجرور ليس دلاليّاً عنه؛ لأنّه امتدادٌ له، فتُضَافُ مساحته الزمنية لحظة الخطاب إلى مساحته وبهذا جرى تمكينه.

## ٢. وقال الكلبة العرنّي: [الطويل]

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى      ولا أمر للمعصي إلاّ مضيعاً<sup>(٣)</sup>

(١) الضبي، المفضليات، ص ٢٦٩، الرَسُّ: الداخل في القلب، المستتر.

(٢) نفسه، ص ٨، والعُدْر: ما أقبل من شعر الناصية، والريد: الشمراخ الأعلى من الجبل.

(٣) نفسه، ص ٢٣.



فالجار والمجرور ظرف للفعل (أمرتكم)، ووسَّع به الفعل تمكيناً له؛ لأنَّ المكان كما يبدو من سياق القصيدة ليس مقصوداً لذاته، وليس هو من ركائز الدلالة في البيت، وإنَّما ذكره تمكيناً للفعل الذي هو مرتبط الدلالة في البيت.

### ٣. وقال الحادة: [الكامل]

وتزودت عيني غداة لقيتها بلوى البُنيَّة نظرة لم تقلع<sup>(١)</sup>

مَكَّن فعل النظر إليها بالظرف (غداة لقيتها)، وبالجار والمجرور (بلوى البنية)، فلو قال: وتزودت عيني منها نظرة لم تقلع، لكان فعل النظر غير محفوف بما يَمَكِّن معناه ممَّا ذُكِر، فمَكَّنَه بزمانه ومكانه اللذين لم يضيفا إليه شيئاً على صعيد البعد الدلالي، ولكنَّهما امتداد له، فمساحتها الزمنية في التركيب تُضاف إلى مساحته. وقولي لم يضيفا إليه شيئاً على صعيد البعد الدلالي أشبه ما يكون بمعالجة القدماء للإطناب في الجملة الذي ذكره ابن الأثير، إذ تردَّد فيه بين أن يكون مفيداً أو غير مفيد، وذلك في عبارة (من فوقهم) من قوله تعالى ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، فذهب ابن الأثير إلى إفادة (من فوقهم) في الآية وإن كان معلوماً أنَّ السقف لا يكون إلَّا من فوقهم، وفائدته كما قال: «ولِذِكْرٍ لفظة (فوقهم) فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام، وأنت تُحسُّ هذا من نفسك، فإنَّك إذا تلوت هذه الآية يُخِيلُ إليك أنَّ سقفاً خرَّ على أولئك من فوقهم، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة»<sup>(٢)</sup>. ومهما قيل من تحليل عن فائدة العبارة فإنَّها حيثما توجَّهت لا تخلو من تمكين معنى ما قبلها على ما فيها من دلالة من جهة أنَّها امتداد لما قبلها وهو كلمة السقف. وقال ابن الأثير أيضاً في نحو رأيتَه بعيني، وقبضته بيدي: «وكل هذا يظنُّ الظانُّ أنَّه زيادة لا حاجة إليها، ويقول إنَّ الرؤية لا تكون إلَّا بالعين، والقبض لا يكون إلَّا باليد،... وليس الأمر كذلك، بل هذا يُقال في كلِّ شيء

(١) الضبي، المفضليات، ص ٥٢.

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ٣٤٨/٢.

يَعْظُمُ منالُه، ويعزُّ الوصول إليه، فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه، دلالةً على نيله والحصول عليه»<sup>(١)</sup>. وقول ابن الأثير: (فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه) هو ما أردته بتمكين المعنى، لأنه لما قال: رأيته، واحتاج إلى تمكينها جاء بعبارة (بعيني) لا لفائدة دلالية مستقلة أو جديدة ولكنها لتمكين فعل الرؤية وإيصالها بما يقوِّها ويمكنها. ولا يتعارض تمكين المعنى تركيبياً مع ما يلوح في تكملة الجملة من شوارد بلاغية وتؤيلات انفعالية ونفسية يتسع إليها التحليل الأدبي على مختلف طرائقه<sup>(٢)</sup>.

#### ٤. وقال الحادرة أيضاً: [الكامل]

بغريضِ ساريةٍ أدْرَتْهُ الصَّبَا      من ماءٍ أسجَرَ طَيِّبِ المُسْتَنْقَعِ<sup>(٣)</sup>

مَكَّنَ المطر (غريض سارية) بثلاثة تراكيب وصفية، أحدها شبه جملة (من ماء أسجر) وهو وإن كان للبيان (بيان صفة الماء) إلا أنه يُمكن (غريض سارية) كما تمكَّنه الصفتان الأخريان، وفي البيت كل ما تبع (غريض سارية) في الذكر إنما كان تمكيناً له، لأنه امتداد له، وليس القصد منه زيادة الدلالة بإضافة جديدة، ولكن دلالات الامتداد تعود إليه (غريض سارية)، وقول النحاة إنها صفات وأحوال لا نزاع فيه، ولكنهم قصرُوا وظيفتها على الزيادة البيانية في الأغلب.

#### ٥. وقال مُرَرَّد بن ضرار: [الطويل]

ثَدَقُّ أَوْرَاكُ لَهَنَ عَرَضَنَةً      على ماءٍ يَمْوُودِ عَصَا كُلِّ ذَائِدٍ<sup>(٤)</sup>

(١) ابن الأثير، المثل السائر، ٣٤٦/٢.

(٢) انظر: محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة، ط٤، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٩٤-١٩٥.

(٣) الضبي، المفضليات، ص ٥٤.

(٤) نفسه، ص ١٣١.

إنَّ صفتي الفاعل (أورك)، وهما (لهنّ، عرضة)، امتداد له، ولكنها لم تأت على سبيل تمكين معنى الفاعل أصالةً، وذلك لأنَّ فيها زيادة دلالية وإضافة صفة للفاعل مقصودة لذاتها، أمّا شبه الجملة (على ماء يموؤد) فليس له غرض دلاليّ على مستوى التركيب إلاّ تمكين معنى الفعل لأنّه ظرف له، فليس هناك من فائدة دلالية من تقييد الفعل بهذا الظرف، ولكنّ الشاعر أورد ظرف الفعل تمكيناً له.

إن أهميّة الفعل دلاليّاً في البيت جعلت الشاعر يمدّ معناه ويوسّعه بشبه الجملة المذكور، فتمكّن معناه بذلك، وتعادل من حيث الوزن الدلاليّ ومساحة الخطاب مع سائر ركائز البيت الدلالية، وهي: الفاعل (أورك) ووصفه، والمفعول (عصا) وما أُضيف إليه.

٦. وقال ربعة بن مقروم: [الوافر]

إذا لم يَجْتَزِرْ لبنيه **لحمًا** غريضاً من هوادي الوحش جاءوا<sup>(١)</sup>

لا يخفى أنّ لحمًا لها دلالة مركزيّة في البيت، فمدّ معناها بالصفة (غريضاً) وبشبه الجملة (من هوادي الوحش)، أمّا الصفة فلا يخفى أنّ فيها زيادة إفادة مع كونها تمكّن الموصوف (لحمًا)، أمّا شبه الجملة فإنها امتداد للصفة (غريض)، أفادت تمكيناً لها بإطالة ذكرها. وإذا ما كان فيها إضافة بيان، كما ذكر الأنباري في شرح البيت، فإنّ ذلك لا يتعارض مع كونها للتمكين، لأنّ صفتها تلك زيادة على الإفادة المطلوبة.

٧. وقال ربعة بن مقروم: [الطويل]

وقاظ ابن حِصْنٍ عانياً في بيوتنا يُعالجُ قِدًّا في زراعيه مُصْحَباً<sup>(٢)</sup>

ولما كانت دلالة القَدّ مرتكزاً قوياً في البيت فإنّه مكّن ذكره بوصفه بشبه الجملة (في زراعيه) وبالحال (مصحباً)، ومعلوم أنّه لا فرق بين أن يكون القَدّ في زراعي

(١) الضبيّ، المفضليات، ص ٣٨٠.

(٢) نفسه، ص ٧٣٩. والمُصْحَب: القَدّ الذي عليه وَبَرُهُ.

الأسير أو في رجليه، مما يرجّح عندي أنّه لم يكن الغرض من الجار والمجرور (في ذراعيه) مزيد إفادة، وإنما مكّن بها القُدّ مراعاةً لمكانه الدلاليّ في البيت.

٨. وقال أيضاً: [الكامل]

أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوْنَتْهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عَلٍ<sup>(١)</sup>

قوله (من عل) تمكين لـ(فوق النواظر)، وإن كان (من عل) مقدّمة في التقدير كما ذهب المرزوقي، أي: من أعلاه فوق النواظر فإنّه لا تمكين بها إذ ذاك، لأنّ (فوق النواظر) تكون مبيّنة ومحدّدة (من عل).

٩. وقال عروة بن الورد: [الطويل]

مُطِلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجِرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ المَنِيحِ الْمُشْهَرِ<sup>(٢)</sup>

مكّن (يزجرونه) بالجار والمجرور (بساحتهم)؛ إذ مدّ الفعل بها، ولو اكتفى بقوله (يزجرونه زجر المنيح) لتّم البيت، لكنه مكّن الفعل (يزجرونه) ووسّعه بأن جعل له امتداداً بظرفه. ولا ينفي التمكين الذي ذكرته فيما لو رأى ناظرٌ أنّ شبه الجملة (بساحتهم) جاء لفائدة قرّبه من أعدائه، وتمكين لمعنى (مُطِلًا)، غير أنّ إتياع يزجرونه بشبه الجملة المذكور يُمكن معنى الزجر وإن كانت فائدته المستقلة مرادة.

١٠. وقال رجل من بني عجل (لم يسمّه صاحب الحماسة): [الطويل]

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْمَضَتْ إِلَيْهِ ثَنَائِيَا المَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ<sup>(٣)</sup>

مكّن معنى (سيف) بشبه الجملة الظرفيّة بعده (إذا سُلَّ أومضت...)، ومعنى (سيف) الذي مكّنه بالجملة هو الغرض من السيف في البيت، وهو القتل وحضور الموت بحضور ذاك السيف. فكلّ ما بعد كلمة (سيف) هو امتداد له وخطب في حبله الدلاليّ، وهذا هو تمكينه.

(١) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص ٦٤.

(٢) نفسه، ص ٤٢٣.

(٣) نفسه، ص ٦٩١.

١١. وقال العُدَيْل بن الفرخ العَجَلِيّ: [الطويل]

كَلَانَا يُنَادِي يَا نَزَارُ وَبَيْنَنَا قَلْنًا مِنْ قَنَا الْخَطِيّ، أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ<sup>(١)</sup>

مَكَّنَ (قَنًا) بما تلاه من جار ومجرور، فَوَصَفَ القنا بالجار والمجرور ليس فيه فائدة دلالية يتنامى التركيب بها، وليس فيه زيادة على المعنى في القنا، ولكنه مَدُّ لِدَكْرِ القنا في التركيب بما يزيد من زمن حضورها وهذا هو تمكينها.

١٢. وقال النابغة الجعديّ: [الطويل]

وَأَيَّ فَتَى وَدَّعْتُ يَوْمَ طُوَيْلِعٍ عَشِيَّةً سَلَمْنَا عَلَيْهِ وَسَلَّمَا<sup>(٢)</sup>

مَكَّنَ (ودَّعْتُ) بالظرف (عشيّة) وما أضيف إليه من جملة فعلية وتوابعها، ومَدُّ به الفعل (ودَّعْتُ) ووسَّع معناه، وليست الإفادة في هذه الزيادة مقصودة دلاليًا لذاتها، ولكنها لتمكين الفعل (ودَّعْتُ).

وربّ قائل يقول: إن الظرف (عَشِيَّةً سَلَمْنَا عَلَيْهِ وَسَلَّمَا) جاء لتخصيص زمن الوداع، وأقول: نعم، هو كذلك ومن تخصيصه لحظة الوداع فهو يُمَكِّن فعل (ودَّعْتُ) السابق، لكنّ ما فيه من دلالة وزخم انفعالي زائد على كونه للتخصيص فقط، وقد جاء بعد تخصيص التوديع بيوم طويلع. وربّما لا نجانب الصواب إن قلنا إنّ التخصيصين: العام (يوم طويلع) والخاص (عَشِيَّةً سَلَمْنَا عَلَيْهِ وَسَلَّمَا) كليهما صدقٌ دلاليّ للفعل ودَّعْتُ، لكن لا سبيل تركيبهما إلّا تخصيص الفعل بالظرف. ومن هنا فإنّي رأيته تمكيناً. والذي يجعلني أميل إلى أنّه تمكين أنّ مرتكز الدلالة في البيت مطلعُه وهو قوله (وَأَيَّ فَتَى وَدَّعْتُ)، وما في سائر البيت تكملة لا تُنفى دلالتها المستقلة من حيث وظيفتها النحويّة الرئيسيّة، ولكن غرضها لا يقف عند ذلك حتى تمكّن الفعل في مرتكز الدلالة بذكر ظرفه وما تعلّق به.

**التمكين بالتصوير أو التمثيل:**

قد يُتَّبَعُ العنصرُ بتركيب فيه صورة أو تمثيل لا يكون المراد منه مزيد بيان، أو تخصيص صفة، ولكنه يأتي تمكيناً للعنصر الذي سبقه، ومن أمثلة ذلك:

(١) نفسه، ص ٧٣٢.

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص ٩٧١.

١. قال عامر بن الطفيل: [الطويل]

فقامَ أبو الجبار يهتز للندى      كما اهتزَّ عَضْبُ الشفرتين حُسام<sup>(١)</sup>  
إذ مَكَنَ الفعل (يهتزّ) بالصورة التي في الشطر الثاني، لأنها امتداد له، وبسط.

٢. وقال سلمة بن الخُرشب: [الطويل]

فلو أنها تجري على الأرض أدركتُ      ولكنها تهفو بتمثال طائر<sup>(٢)</sup>  
خُدَاريّة فتخاء ألثَغَ ريشها      سحابة يوم ذي أهاضيب ماطر  
مَكَنَ معنى (طائر، ومعناه السرعة هنا) بالصورة في البيت الثاني، وليست  
الفائدة في البيت الثاني مستقلة، ولكنها مكّمة لمعنى الطائر وممّكة له.

٣. وقال متمم بن نويرة: [الكامل]

ولقد قَطَعْتُ الوصلَ يومَ خِلاجِهِ      وأخو الصريمة في الأمور المزمع<sup>(٣)</sup>  
بمُجِدَّةٍ عَنَسٍ كَأَنَّ سَرَائِهَا      فَدَنَ تَطْيِفُ بِهِ النَبِيْطُ مُرْقَعُ  
مَكَنَ معنى الناقة (القوة والضخامة فيها) بعد الوصف الذي سبقت الإشارة إليه  
بالصورة التي رسمها لها في سائر البيت.

٤. وقال سلامة بن جندل السعدي: [البسيط]

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيبِ      أودى وذلك شأؤ غير مطلوب<sup>(٤)</sup>  
ولّى حثيثاً وهذا الشيبُ يطلبه      لو كان يدرّكه ركضُ اليعاقبِ  
مَكَنَ ذهاب الشباب (أودى الشباب) بالصورة في البيت الثاني. أمّا تكرار أودى  
في البيت الأول فهو على سبيل تأكيد معنى (أودى).

(١) الضبي، المفضليات، ص ٣٣.

(٢) الضبي، المفضليات، ص ٣٦، وتهفو: تسرع، والخُدَاريّة: العقاب، والفتخاء: لينة الجناح، والثلث: الليل.

(٣) نفسه، ص ٦٤، ٦٥، الصريمة: العزيمة، الخلاج: الشك، المزمع: المجمع. عنس: صلبة، سراتها: أعلاها، فدن: قَصُر، مرقّع: عالٍ.

(٤) نفسه، ص ٢٢٤، ٢٢٥، والشأؤ: السبق، واليعاقب: جمع يعقوب، وهو ذَكَرُ الحَجَل، وقيل أراد نوات العقب من الخيل، والعقب: جريّ بعد جري.

٥. وقال عبدة بن الطبيب: [البسيط]

بَاكَرَهُ قَانَصٌ يَسْعَى بِأَكْلِبِهِ      كَأَنَّهُ مِنْ صِلَاءِ الشَّمْسِ مَمْلُولٌ<sup>(١)</sup>

مَكَّنَ (قَانَصٌ) بالصفة أولاً كما سبقت الإشارة، وعبارة (يسعى بأكلبه) وإن كانت صفة من جهة نحوية، لكنها صورة من جهة بلاغية، ثم زاده تمكيناً بالصورة البيانية في الشطر الثاني، فكل ما جاء بعد قانص في البيت إنما هو امتداد له وتمكين، ولعل التمكين بالصورة من أشد أشكال التمكين؛ لأنها تخيلية وعناصرها مركبة.

٦. وقال عروة بن الورد: [الطويل]

مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجِرُونَهُ      بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ<sup>(٢)</sup>

مَكَّنَ (يزجرونه) بشبه الجملة كما تقدّم في موضعه، ثم بالصورة (زجر المنيح المشهر)، فلم يكتفِ بالفعل (يزجرونه) حتى مكّنه بالصورة المذكورة. ولا يتعارض ذلك مع ما قرّره النحاة من أنّ المفعول المطلق المضاف يفيد بياناً لنوع الفعل<sup>(٣)</sup>، فهو في البيت كذلك إلاّ أنّه أفاد تمكيناً؛ لأنّه امتدادٌ للفعل في الخطاب، وقد انتهت عناصر المعنى الأساسية عند الفعل، لكنّه جاء به بياناً وتمكيناً.

٧. وقال أباؤ بن عبدة: [الطويل]

وَزُرْقٍ كَسَتْهَا رِيشَهَا مُضْرِحِيَّةٌ      أَثِيَتْ خَوَافِي رِيشَهَا وَقَوَائِمُهُ<sup>(٤)</sup>

مَكَّنَ معنى الزرق وهي النصال هنا بالصورة التي رسمها في سائر البيت، وما تطويل الصورة والإجادة بها إلاّ زيادة في التمكين، وهو تمكين معنى النصال.

٨. وقال رجلٌ من بني عجل -وقد تقدّم-: [الطويل]

(١) نفسه، ص ٢٧٧.

(٢) المرزوقي، شرح الحماسة، ص ٤٢٣. والمنيح: الثامن من القِداح، وهو ممّا يُجال أبدأ.

(٣) انظر: ابن هشام، أوضح المسالك، ج ٢، ص ١٨٢.

(٤) المرزوقي، شرح الحماسة، ص ٦٣٦. والمضرحي: الكريم من الصقور، وأثيث: لثين.

سقاء الردى سيفٌ إذا سُلَّ أو مضت إليه ثنايا الموت من كلِّ مرَّقب<sup>(١)</sup>  
مَكَّن معنى السيف بالصورة بعده، ومن البين أنَّ ما بعد (سيف) امتداد له  
ووصف بصورة بيانية، القصد منها تمكين معنى القطع أو الموت بالسيف المذكور.

### خاتمة وتوصيات:

١. أثار البحث مسألة مكملات الجملة وما زاد على أركانها الأساسية من حيث الغرض التركيبي لها، ودلالة ذلك.
٢. أثار البحث مسألة وقت الخطاب الخارجي (الفيزيائي) وحصة كل عنصر منه على خط الزمن، وعلاقة ذلك بحضور العنصر وتمكينه دلاليًا.
٣. لعلَّ البحث أجاب عن مسوِّغ وجود بعض المكملات التي تُرى بادي الرأي وكأنَّه لا زيادة دلالية جوهريَّة فيها. ومن ثَمَّ ما هو غرض اللغة من مثل هذه الامتدادات التركيبية.
٤. دمج البحث بين البعد النظري في البحث العلمي والبعد التطبيقي، وفي ذلك ما فيه من فائدة علمية وأدبية وإحيائية لنصوص العربية القيمة.
٥. أثار البحث فكرة جديدة لم تُطرق من قبل في الدراسات النحوية التركيبية، وهو إذ يثيرها إنَّما يدعو الباحثين لدراستها من جوانبها المختلفة، وإثرائها بمجالات نصِّية متنوِّعة (نثر، وقرآن، ونصوص قديمة وحديثة...).
٦. دمج البحث دمجاً متوازناً -فيما أراه- بين القديم والحديث نظراً وتطبيقاً، فنتبَّع الفكرة في القديم وبَيَّنَّ مجالها في الحديث من علوم اللغة، ثم طبَّقها على نصوص شعريَّة فصيحة من فترة الاستشهاد المعتمد بها فصاحة وتوثيقاً.

(١) نفسه، ص ٦٩١.



### قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم الشمسان، الجملة الشرطية عند النحاة العرب، مطابع الدجوي، ط١، القاهرة، ١٩٨١م.
٢. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ، ١٤٤٩م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٧ ج، تعليق وتحقيق: عبدالرحمن بن ناصر البراك، أبو قتيبة محمد نظر الفاريابي، دار طيبة، ط١، الرياض، ٢٠٠٥م.
٣. أحمد بن محمد المرزوقي (٤٢١هـ، ١٠٣٠م)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين، عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
٤. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.
٥. أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ثعلب) (٢٩١هـ، ٩٠٣م)، شرح ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمّار، ط١، عمان، ١٩٨٨م.
٦. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ، ١٠٠٢م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، ٧ ج، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.
٧. إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة، ١٠ ج، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٦م.
٨. أوس بن حجر، ديوانه (٢ق.هـ، ٦٢٠م)، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٧٩م.
٩. أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ، ٦٨٣م) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٠. بدوي طبانة (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، معجم البلاغة العربيّة، ط٣، دار المنارة، ودار الرفاعي، المملكة العربيّة السعودية، ١٩٨٨م.

١١. حسن بن إسماعيل الجناحي، **خصائص النظم في «خصائص العربيّة» لأبي الفتح عثمان بن جني**، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٧ م.
١٢. أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ (٢٧٥هـ، ٨٨٨م)، **شرح ديوان امرئ القيس وملحقاته**، ٣ ج، دراسة وتحقيق أنور أبو سويلم، محمد الشوابكة، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١، دولة الإمارات، ٢٠٠٠ م.
١٣. أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبدالله المرادي (٧٤٩هـ، ١٣٤٨م)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
١٤. أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ، ٧٨٦م)، **كتاب العين**، ٨ ج، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٥. زين كامل الخويسكي، **الجملة الفعلية بسيطة وموسّعة: دراسة تطبيقية على شعر المتنبي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٧ م.
١٦. سمير شريف استيتية، **الشرط والاستفهام في الأساليب العربيّة**.
١٧. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (١٨٠هـ، ٧٩٦م)، **الكتاب**، ٥ ج، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨ م.
١٨. ضياء الدين بن الأثير، **نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ)**، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط٢، القاهرة.
١٩. عبدالحق بن غالب ابن عطية (٥٤٢هـ، ١١٤٧م)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ٦ ج، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٢٠. عبدالعظيم بن الواحد بن أبي الأصبع المصريّ (٦٥٤هـ، ١٢٥٦م)، **تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة.

٢١. عبدالله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ، ١٢١٩م)، اللباب في علل البناء والإعراب، جزآن، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
٢٢. عبدالله بن عمر البضاوي (٦٨٥هـ، ١٢٨٦م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٥، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
٢٣. عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري (٧٦١هـ، ١٣٦٠م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج٤، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت.
٢٤. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ، ١٠٠١م)، الخصائص، ج٣، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة.
٢٥. عدي بن زيد العبادي (٣٥ ق.هـ، ٥٨٧م)، ديوانه، تحقيق: محمد جبار المعبيد، شركة دار الجمهورية للنشر، بغداد، ١٩٦٥م.
٢٦. علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ، ٩٩٤م)، رسالة الحدود، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.
٢٧. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٨. كفاية بنت موسى بن أحمد الغدير، الجملة الموسعة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٤٢٦هـ.
٢٩. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ، ٩٣١م) جمهرة اللغة، ج٣، تحقيق رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٠. محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (٦٨٦هـ، ١٢٨٧م)، شرح الرضي على الكافية، ج٤، تحقيق: يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٦م.

٣١. محمد بن السريّ بن السراج (٣١٦هـ، ٩٢٨م)، **الأصول في النحو**، ٣ج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت.
٣٢. محمد بن الطيب القاضي أبو بكر الباقلاني (٤٠٢هـ، ١٠١٣م)، **إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٩٧م.
٣٣. محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ، ١٣١١م) **لسان العرب**، ١٥ج، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ..
٣٤. محمد حماسة عبداللطيف، **التوايح في الجملة العربيّة**، مكتبة الزهراء، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
٣٥. محمد الشاوش، **ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة العربيّة**، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ١٩٨٢م، العددان ١٣٥، ١٣٦.
٣٦. محمد عبدالعزيز عبدالدايم، **المفاهيم النحويّة بين الدرسين: العربي التراثي والغربي المعاصر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٣٧. محمد أبو موسى، **قراءة في الأدب القديم**، مكتبة وهبة، ط٤، القاهرة، ٢٠١٢م.
٣٨. أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ، ١١٤٣م)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ٤ج، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٩. المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (نحو ١٦٨هـ، ٧٨٤م)، **ديوان المفضليات**، شرح القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
٤٠. موقّق الدين يعيش بن علي بن يعيش، (٦٤٣هـ، ١٢٤٥م)، **شرح المفصل**، ١٠ج، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
٤١. ميشال زكريا، **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربيّة (الجملة البسيطة)**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م.

٤٢. أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (البحتري)، ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط٣، القاهرة.
٤٣. يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣ ج، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
٤٤. يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.

- 37) Muhammad Muhammad Abu Musa, Reading in Ancient Literature, Wahba Library, 4th Edition, Cairo, 2012.
- 38) Abu al-Qasim Mahmoud ibn Amr al-Zamakhshari (538 AH, 1143 AD), the scout for the mysterious facts of the revelation. Arab Book House, 3rd Edition, Beirut, 1403 AH.
- 39) Al- mufadal Bin Muhammad Bin Ali Bin Salem Al-Dhbi (circa 168 AH, 784 AD), Diwan Preferences, explained by Al-Qasim Bin Muhammad Al-Anbari, Edited by: Carlos Yaqoub Layl, Jesuit Fathers Press, Beirut, 1920 AD.
- 40) Muwaffaq al-Din Yaish bin Ali Ibn Yaish (643 AH, 1245 AD), explained by al-Mufasssal, edited by: Emile Badi Yaqoub, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2001.
- 41) Michel Zakaria, Generative and Transformative Linguistics and Arabic Grammar (Simple Sentence), University Foundation for Studies and Publishing, 2nd Edition, Beirut, 1986 AD.
- 42) Abu Ubadah Al-Walid Bin Ubaid Al-Ta'i (Al-Buhtri), his office, verified by: Hassan Kamel Al-Serafi, Dar Al-Maarif, 3rd Edition, Cairo.
- 43) Yahya bin Hamzah Al-Alawi (745 AH, 1344 AD), Al-Tariq for the Secrets of Rhetoric and the Sciences of the Facts of Miracles, 3j, 1st Edition, Modern Library, Beirut, 1423 AH.
- 44) Yusuf bin Abi Bakr bin Muhammad al-Sakaki, Miftah Al-Uloom, edited by: Na'im Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2nd Edition, Beirut, 1987 AD.

- 27) Fadel Saleh Al-Samarrai, Arabic Sentence and Meaning, Dar Ibn Hazm, 1st Edition, Beirut, 2000 AD.
- 28) Kifaya Bint Musa Bin Ahmad Al-Ghadeer, The Extended Sentence in the Holy Quran, Master Thesis, King Saud University, Saudi Arabia, 1426 AH.
- 29) Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Hasan Bin Duraid (321 AH, 931 AD), Jamat Al-Lughah, Edited by Ramzi Al-Baalbaki, Dar Al-Alam To millions of people, 1st Edition, Beirut, 1987.
- 30) Muhammad ibn al-Hasan al-Radhi al-Astrabadi ((686 AH, 1287 CE)), Sharh al-Radhi Ali al-Kafiyyah, edited by: Yusef Hassan Omar, 2nd edition, Qaryounis University Publications, Benghazi, Libya, 1996.
- 31) Muhammad Ibn Al-Suri Ibn Al-Sarraj (316 AH, 928 AD), Usul in grammar. Edited by: Abd Al-Hussein Al-Fattli, Foundation for the Message, 1st Edition, Beirut.
- 32) Muhammad ibn al-Tayyib al-Qadi Abu Bakr al-Baqlani (402 AH, 1013 AD), The Miracle of the Qur'an, edited by: Mr. Ahmad Saqr, Dar Al Maarif, 5th Edition, Egypt, 1997.
- 33) Muhammad bin Makram bin Manzur (711 AH, 1311 AD) Lisan al-Arab, .Dar Sader, 3rd floor, Beirut, 1414 AH.
- 34) Muhammad Hamsa Abd al-Latif, The Disciples of the Arabic Sentence, Zahra Library, 1st Edition, Cairo, 1991.
- 35) Muhammad al-Shawash, "Notes on the Study of the Arabic Sentence Structure", Al-Mawkif Al-Adabi Journal, Damascus, 1982 AD, Issues 135, 136.
- 36) Muhammad Abdel-Aziz Abdel-Dayem, Grammatical Concepts between the Two Lessons: The Arabic Heritage and the Contemporary Western, The Egyptian Renaissance Library, Cairo.

- 19) Abd al-Haq bin Ghaleb Ibn Attiyah (542 AH, 1147 AD), the brief editor in the interpretation of the Aziz book, Edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st Edition, Beirut, 1422 AH.
- 20) Abd al-Azim bin al-Wahid ibn Abi al-Asba al-Masri (654 AH, 1256 CE), Editing of Inking in the Industry of Poetry and Prose and Explaining the Miracles of the Qur'an, Presented and investigated by: Hefni Muhammad Sharaf, Supreme Council for Islamic Affairs, Heritage Revival Committee, United Arab Republic.
- 21) Abdullah bin Al-Hussein Al-Akbari (616 AH, 1219 AD), The Pulp in the Ills of Building and Parsing, two parts, edited by: Abd al-Ilah al-Nabhan, 1st Edition, Dar Al-Fikr, Damascus, 1995 AD.
- 22) Abdullah bin Omar Al-Baidawi (685 AH, 1286 AD), Anwar al-Tanzul wa Asrar al-Ta`wil, edited by: Muhammad Abd al-Rahman al-Maraashli, 1st Edition, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 1418 AH.
- 23) Abdullah Jamal al-Din bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Hisham Al-Ansari (761 AH, 1360 AD), explained the paths to Al-Alfiya Ibn Malik. Edited by: Yusuf Al-Sheikh Muhammad Al-Buqai, Dar Al-Fikr, Beirut.
- 24) Abu Al-Fath Othman Bin Jani Al-Mawsili (392 AH, 1001 AD), Al-Characteristics. Edited by: Muhammad Ali Al-Najjar, The Scientific Library, Cairo.
- 25) Uday bin Zaid Al-Abadi (35 BC, 587 AD), his office, edited by: Muhammad Jabbar Al-Moaibed, Republic House Publishing Company, Baghdad, 1965 AD.
- 26) Ali bin Isa al-Ramani (384 AH, 994 AD), Risalah al-Hudood, edited by: Ibrahim al-Samarrai, Dar al-Fikr, Amman.



- 10) Badawi Tabaneh (1420 AH, 2000 AD), Dictionary of Arabic Rhetoric, 3rd Edition, Dar Al-Manara, and Dar Al-Rifai, Kingdom of Saudi Arabia, 1988 AD.
- 11) Hassan bin Ismail Al-Janaji, Characteristics of Systems in "Characteristics of Arabia" by Abu Al-Fath Othman bin Jinni, Muhammadiyah Printing House, Cairo, 1987.
- 12) Abu Saeed al-Hasan bin al-Husayn al-Sukari (275 AH, 888 CE), Explanation of the Diwan of Imra 'al-Qais and its annexes, Study and investigation by Anwar Abu Sweilam, Muhammad al-Shawabkeh, published by the Zayed Center for Heritage and History, 1st Edition, UAE, 2000 AD.
- 13) Abu Muhammad al-Hasan bin Qasim bin Abdullah al-Muradi (749 AH, 1348 AD), the proximal genie in the letters of the meanings, edited by: Fakhr al-Din Qabawa, Muhammad Nadim Fadil, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1992 AD.
- 14) Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmad al-Farahidi (170 AH, 786 AD), Kitab al-Ain, , Edited by Mahdi al-Makhzoumi, Ibrahim al-Samarrai, Hilal House and Library.
- 15) Zain Kamel Al-Khwieski, The Actual Sentence, Simple and Extended, An Applied Study on Al-Mutanabi Poetry, University Youth Foundation, Alexandria, 1987 AD.
- 16) Samir Sharif istetya, the condition and the interrogation in Arabic methods.
- 17) Sibawayh Abu Bishr Amr bin Othman (180 AH, 796 AD), The Book, edited by Abd al-Salam Haroun, Al-Khanji Library, 3rd Edition, Cairo, 1988 AD.
- 18) Diaa Al-Din Ibn Al-Atheer, Nasrallah Bin Muhammad (637 AH), the proverb in the literature of the writer and poet, edited by: Ahmed Al-Hofi, Badawi Tabbana, Dar Nahdet Al-Misr, 2nd Edition, Cairo.

### List of sources and references

- 1) Ibrahim Al-Shamsan, *The Conditional Sentence of the Arab Grammarians*, Al-Dajwi Press, 1st Edition, Cairo, 1981 AD.
- 2) Ahmed bin Ali bin Hajar al-Asqalani (852 AH. 1449 AD), *Fath al-Bari, with the explanation of Sahih al-Bukhari*, edited by: Abdul Rahman bin Nasser al-Barrak, Abu Qutaybah Muhammad Nazar al-Faryabi, Dar Taibah, 1st Edition, Riyadh, 2005 AD.
- 3) Ahmed bin Muhammad Al-Marzouqi (421 AH, 1030 AD), *Explanation of the Divan of enthusiasm*, edited by: Ahmed Amin, Abd al-Salam Haroun, Dar Al-Jeel, Beirut, 1991 AD.
- 4) Ahmad Matloub, *Glossary of Rhetorical Terms and Their Development*, The Iraqi Scientific Academy Press, 1983 AD.
- 5) Abu Al-Abbas Ahmad bin Yahya Al-Shaibani (Thelab) (291 AH, 903 AD), *Explanation of the poetry of Khansaa*, edited by: Anwar Abu Sweilam, Dar Ammar, 1st Edition, Amman, 1988 AD.
- 6) Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari (393 AH, 1002 AD) as-Sahha Taj Al-Lugha and Sahih Al-Arabia, edited by: Ahmad Abd Al-Ghafoor Attar, Dar El Ilm Lilmalayin, 4th Edition, Beirut, 1987 AD.
- 7) Emile Badi Yaacoub, *Encyclopedia of Language Sciences*, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyya, 1st Edition, Beirut, 2006 AD.
- 8) Aws Ibn Hajar, *His Divan* (620 AD), investigation and explanation of Muhammad Yusuf Najm, Dar Sader, 3rd Edition, Beirut, 1979 AD.
- 9) Ayoub bin Musa al-Husseini al-Kafawi (1094 AH, 1683 AD) *Colleges: A Dictionary of Terms and Linguistic Differences*, edited by Adnan Darwish, Muhammad al-Masri, The Resala Foundation, Beirut.

# التنوع والتكامل في البيان القرآني عند الميداني

## عرض ونقد

صفاء الفلاح

وزارة الأوقاف السورية

### الملخص

يسلّط هذا البحث الضوء على إضافة من إضافات الشيخ المفسّر عبدالرحمن حبنكة الميداني (ت ١٤٢٥هـ) إلى البلاغة العربية -وهي حول منهج البيان القرآني في التنوع والتكامل- ويدرسها دراسة وصفية نقدية، يخلص من خلالها إلى تقييم عمله، ومعرفة فيما إذا كانت إضافته هذه إضافةً نوعية لم يسبق إليها. ومن هنا ظهرت أهمية هذا البحث في الكشف عن القيمة العلمية لتلك الإضافة إلى البلاغة العربية، ومدى إسهام الميداني في هذا المجال، إذ كان من دعاة التجديد والإبداع في البلاغة العربية، ومن المهتمين ببلاغة النصّ القرآني والبحث عن مواطن الجمال والبلاغة المعجزة فيه.

وتبين من خلال البحث أنّه: لم تكن إضافته فيما يتعلّق بظاهرة التنوع في أساليب البيان القرآني إضافةً جديدة، فقد تنبّه علماء الدراسات القرآنية لمنهج البيان القرآني في التنوع، فدرسوا ظاهرة التنوع الأسلوبي تحت ألوان من الفنون البلاغية، أهمّها: الالتفات.

أمّا كلامه فيما يتعلّق بظاهرة التكامل في أساليب البيان القرآني بين الأشباه والنظائر، فيبقى لفظة بيانيةً بدیعة منه كان له سبق التنبيه عليها -في سورة الحجرات- وإبداعاً لم يسكبه في مصطلحات ومقاييس منضبطة، لذا يبقى مرتبطاً بتدوّن المفسّر وقدرته الأدبية الخاصة، ولا يمكن تعميمه في القرآن الكريم أو إضافته إلى البلاغة العربية.

### الكلمات المفتاحية:

البلاغة العربية- عبدالرحمن حبنكة الميداني- التنوع في أساليب البيان القرآني- التكامل في أساليب البيان القرآني بين الأشباه والنظائر.

## Diversification and Integration in Qur'ānic Expression in al-Maydānī's View

### Abstract

This article attempts to shed light on Shaykh 'Abd al-Rahmān Ḥabanka al-Maydānī's contribution to Arabic rhetoric in connection with the Qur'ān's employment of diversification and integration. The article studies these additions descriptively, critically, and evaluatively to determine whether this contribution was unprecedented. Maydānī called for innovation, especially in the study of the Qur'ānic text regarding its beauty and inimitable power. The author has found that, as far as diversification of rhetorical innovation is concerned, Maydānī's contribution lacked originality, for other scholars had already studied it under other headings in rhetoric, of which the most important was called *iltifāt* (enallage).

As for integration in Qur'ānic expression, Maydānī's views deserve attention for their originality as illustrated in his study of Sūra 49 (*al-Ḥujurāt*), but he did not formulate his views on this aspect in precise terms. This is why they remain subject to the interpreter's private sensibility and cannot be generalized in the study of the Qur'ān or the study of Arabic rhetoric in general.

Key Words: Arabic rhetoric- Abed AL Rahman Habankah AL Maidani-Diversification of methods of the Quranic statement-The integration in methods of the Quranic statement between the likes and equals.

## المقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الخلق والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، أمّا بعد:

فتعدُّ البلاغة العربية أداة لفهم كتاب الله ﷻ وتفسيره وتأويله، ومعرفة إعجازه البياني والأسلوبي، وانطلاقاً من ضرورة التطوير والتجديد فيها حاول بعض الدارسين المعاصرين المهتمين بالبلاغة القرآنية، مثل: الشيخ المفسر عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني<sup>(١)</sup> إضافة أفكار وتأمّلات له في البيان القرآني إلى البلاغة العربية، وذلك في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"، حيث عرض هذه الأفكار والتأمّلات ضمن مقولتين، الأولى: "حول منهج البيان القرآني في التنوع والتكامل"، والثانية: "حول منهج البيان القرآني في حكاية الأقوال والأحداث والقصص"؛ ويقتصر هذا البحث على دراسة المقولة الأولى دراسة وصفية نقدية.

## أهمية البحث:

معرفة مدى الإضافة المعرفية والفكرية للميداني في مجال البيان القرآني انطلاقاً من التفكير البلاغي لديه.

## أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- عرض الظاهرة البيانية التي تتعلّق بمنهج البيان القرآني في التنوع والتكامل عند الميداني.

(١) هو عبدالرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم حبنكة الميداني، ولد في عام ١٣٤٥هـ، في حي الميدان بدمشق، وهو من علماء الشريعة ومفكّري الإسلام في العصر الحديث، وتوفي سنة ١٤٢٥هـ، ومن مؤلفاته: "قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأمّلات"، تفسير "معارج التفكير ودقائق التدبّر"، "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"، "ضوابط المعرفة".

انظر: عائدة راغب الجراح، عبدالرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، دار القلم - دمشق، ٢٠٠١م، ص ١١. محمّد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشواف، ط٤، الرياض، ١٩٩٢م، ج ٣/ص ٥٩.

- تقديم وصف علمي لما قدّمه الميداني ورأى إضافته إلى علم البيان؛ وتقييم هذه الإضافة.

### الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة لهذا الموضوع فلم أجد -حسب اطلاعي- دراسة تناولت عنوان بحثي ذاته، ولكن هناك ثلاث دراسات لها صلة بهذا البحث، الأولى هي: - "جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربية": أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في فلسفة في اللغة العربية، من إعداد الباحثة نوال جاسم محمد منصور، بإشراف الدكتور عبد الحسين المبارك، في كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، ٢٠١٣م.

وقد صنفت الباحثة كتاب "البلاغة العربية" للميداني ضمن الاتجاه التعليمي (المدرسي) في تجديد البلاغة العربية؛ إذ سعت مؤلفات هذا الاتجاه إلى التجديد في العرض والترتيب والشواهد.

كما أشارت إلى إضافة الميداني موضوعات جديدة إلى علم البيان من علوم البلاغة -أثناء حديثها عن اختلاف هذا الكتاب ببعض الأمور عن نهج الكتب التعليمية الأخرى<sup>(١)</sup>- دون عرض تلك الإضافات ومناقشتها، وهذا ما تميز به هذا البحث.

أما الدراسات الثانية والثالثة<sup>(٢)</sup>، فهما:

- "قواعد التدبر الأمثل للشيخ الميداني تحليل ونقد": بحث معدّ من قبل روان فوزان الحديد، وجهاد محمّد نصيرات، مجلة علوم الشريعة والقانون، تصدر عن الجامعة الأردنية، المجلد ٤٣، ملحق ٣، سنة ٢٠١٦.

(١) انظر: نوال جاسم محمد منصور، جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة فلسفة في اللغة العربية، بإشراف الدكتور عبد الحسين المبارك، في كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، ٢٠١٣م، ص ١٣-٣٨.

(٢) يشار هنا إلى أنّ الميداني عدّ إضافته إلى علم البيان قواعد تدبّرية، فضمّها إلى جملة قواعده في كتابه "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات" دون أي تعديلات تذكر، وذلك في القاعدة الثالثة والعشرين: "حول الاستغناء في الأداء البياني بتعابير مختلفات موزّعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرّد استعمالها في سائرهما، والقاعدة الرابعة والعشرين "حول التنوع في أساليب الأداء البياني". عبدالرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات، دار القلم، ط٤، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٥١٥، ٥٢٩.

- "قواعد التدبرّ القرآني بين التنظير والتطبيق": أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراة، في التفسير وعلوم القرآن، من إعداد الباحث رشيد بوعافية، بإشراف الأستاذ الدكتور منصور كافي، في كليّة العلوم الإسلاميّة، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٩م. ولم تتعرض الدراسة الثانية لإضافة الميداني في المقولة الأولى، حيث إنّها اقتصرت على دراسة جزء من القواعد التدبريّة، أمّا الدراسة الثالثة فاكتفت بعرض المقولة والتمثيل لها من تفسير الميداني "معارج التفكير ودقائق التدبر" دون مناقشتها.

### منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي في عرض تلك الإضافة، والمنهج النقدي في تقييمها، والوصول إلى نتيجة توضّح مدى إسهام الميداني في هذا المجال.

### خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:  
المقدّمة: تتضمن مشكلة البحث، وأهميته، والغرض منه، والمنهج المتبع فيه، وأهم الدراسات السابقة.

المبحث الأول: حول منهج البيان القرآني في التنوع  
وفيه المطلبان الآتيان: المطلب الأول: التنوع في أساليب البيان القرآني  
المطلب الثاني: المناقشة

المبحث الثاني: حول منهج البيان القرآني في التكامل  
وفيه المطلبان الآتيان:

المطلب الأول: التكامل في أساليب البيان القرآن بين الأشباه والنظائر  
المطلب الثاني: المناقشة  
الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

**تمهيد:**

تدعو الدراسات الحديثة إلى الانتقال بالبلاغة العربية من بلاغة الجملة إلى بلاغة النص، وهذا كما يقول أحد الباحثين "مشروع جيل أو أجيال، يستلزم تحقيقه تضافر الجهود وتكاملها وتتابعها"<sup>(١)</sup>، والقرآن الكريم نصٌ إلهيٌّ في أعلى درجات البلاغة والبيان، وقد جاءت دعوة الميداني إلى الاهتمام ببلاغته من خلال تقديمه رؤية بلاغية حول منهج البيان القرآني في التنويع والتكامل، وذلك في المبحثين الآتيين.

**المبحث الأول: حول منهج البيان القرآني في التنويع**

أعرض في هذا المبحث كلام الميداني في ظاهرة التنويع في أساليب البيان القرآني ومناقشته، وذلك في المطلبين الآتيين:

**المطلب الأول: التنويع في أساليب البيان القرآني**

بيّن الميداني أنّ القرآن الكريم عجيب التنويع في أساليب الأداء البياني، وعرض الأقسام التي تدخل في مقسم واحد، أو جنس واحد، أو تدخل تحت عنوان واحد، والغرض الأساسي من التنويع الأسلوبي -غير إيصال المعنى- هو إثارة الجمال الفني<sup>(٢)</sup> الذي يترتب عليه تنبيه الفكر، وتحريك الذهن، أو إثارة التجديد في الإبداع الاختياري، مع كل نوع أو قسم أو صنف.<sup>(٣)</sup>

(١) جميل عبدالمجيد، بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١١.

(٢) صرح الميداني في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" أن: "البلاغة بفنونها الثلاثة المعاني -البيان- البديع" وسائر الفنون الأدبية التي نبّه عليها أباء العرب، وكذلك سائر المذاهب الأدبية المستوردة من الشعوب غير العربية ليست إلا بحوثاً وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام، ومحاولات لتحديد معالمها، ووضع بعض قواعدها". عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، ط٣، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج ١/ص ١١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٢٢.



وأشار إلى أنه قد يقترن مع هذا الغرض الأساسي غرضٌ بيانيٌّ آخر، "كاختيار الأسلوب الأكثر ملاءمةً للقسم أو النوع أو الصنف أو الفرد الذي جرى التنوع في الأسلوب عند ذكره، أو الأسلوب الأكثر مضامين فكريةً يُراد الدلالة عليها مع ذكره، أو الأكثر بلاغةً وإيجازاً واقتصاداً في العبارة بالنسبة إلى مضامينه الفكرية التي يُراد بيانها، إلى غير ذلك من أغراض."<sup>(١)</sup>

كما أن التنبيه لهذا التنوع يجعل متدبر كتاب الله ﷻ أكثر إدراكاً في موضوع النص، وأمّا الغفلة عنه فتجعله يفهم النص "وحدات مجزآت غير مترابطات، وتتبدّ عنه بسبب ذلك روائع مفاهيم، وقد يقع في أغاليط، إذ يحاول أن ينتزع ارتباطاً من قريب أو بعيدٍ لأدنى مناسبة أو شبهة مناسبة، أو يخترع من عنده أموراً لا أصل لها، ولا دليل عليها."<sup>(٢)</sup> فأراد الميداني بذلك التنبيه على أهمية ملاحظة التنوع الأسلوبي، ودوره في فهم النصّ قطعة موضوعية متكاملة.

- ثمّ عرض خمسة أمثلة موضحة<sup>(٣)</sup>، ويكتفى هنا بعرض مثالين منها اختصاراً.

#### المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۖ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۖ وَيَسْتَكْثِرُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ﴾ [الأحزاب]، عرضت الآيات ما كان من المنافقين وضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض، في غزوة الأحزاب، بأساليب متنوعة، ملائمة لكل قسم منهم.

(١) عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٢٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٢٣-٣٣٤.

فقسم جاء أسلوب عرضه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ﴾ إذ الظرفية والفعل المضارع الذي يدل على التجدد والاستمرار. والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على أن المقالة دارت على الألسنة حتى شاعت.

أما القسم الثاني فجاء أسلوب عرضه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ إذ الظرفية والفعل الماضي، والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على أن هذه المقالة قد قيلت من طائفة منهم، ثم لم تتكرر، ولم تدر على الألسنة.

والقسم الثالث جاء أسلوب عرضه: ﴿وَيَسْتَعِزُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ صيغة الفعل المضارع، والغرض من هذا الأسلوب الدلالة على تكرار الاستئذان من أفراد هذا الفريق، أو على الإلحاح به.

وقد جاء أسلوب عرض القسم الرابع مختلفاً اختلافاً كلياً في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨﴾، إذ عرض الله ﷻ فيه التعويق وصفاً ثابتاً لفريق من المنافقين الذين لم يقتصر تعويقهم الناس عن نصرته رسول الله ﷺ على غزوة الأحزاب فقط، بل كان ذلك وصفاً ثابتاً لهم في كل الأوقات.<sup>(١)</sup>

وهكذا وضّح الميداني هذه الأساليب البيانية المتنوعة في الآيات، ثم أشار إلى أنه "مع التنوع في الأسلوب لإكساب التعبير جمالاً فنياً، وإبداعاً معجباً، اختير لعرض

(١) انظر: عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٢٣-٣٢٥، والغرض من التوكيد بحرف التحقيق (قد) الداخلة على المضارع في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾؛ "لأنهم لنفاقهم ومَرَضَ قلوبهم، يشكون في لازم هذا الخبر، وهو إنباء الله ﷻ رسوله عليه الصلاة والسلام بهم، أو لأنهم لجهلهم الناشئ عن الكفر، يظنون أن الله ﷻ لا يعلم خفايا القلوب." محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ج ٢١/ص ٢٩٣.

كل قسم الأسلوب الأكثر ملاءمة له، والأكثر مضامين فكرية يراد الدلالة عليها مع ذكره.<sup>(١)</sup>

المثال الثاني:

- جاء في سورة "الماعون" بيان أربع صفات للمكذّبين بالدين: صفتان جاءتا بأسلوب توجيه النظر إلى رؤية صفاته المنكرة على طريقة الاستفهام الاستهجاني<sup>(٢)</sup>، في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ﴾، وصفتان جاءتا بأسلوب التهديد والوعيد بالعذاب يوم الدين، في قوله الله ﷻ: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۚ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۚ﴾<sup>(٣)</sup>، وختم الميداني حديثه عن هذه الصفات بقوله: "فحصل بهذا الأسلوب التنوع الجمالي الفني، مع التهديد والوعيد بالويل"<sup>(٤)</sup> مبيناً بذلك فنية التنوع الأسلوبية الواردة في الآيات، والغرض منها.

(١) عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٢٤.

(٢) يُشار هنا إلى أن ابن عاشور قد بيّن الغرض من هذا الاستفهام المستعمل في التعجيب من حالهم، وما تفرّع عليه من دَعِ الْيَتِيمَ، وعدم الحَضِّ على طعام المسكين، في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، إذ يقول: "وقد صيغ هذا التعجيب في نظم مشوّق؛ لأنّ الاستفهام عن رؤية من ثبتت له صلة الموصول، يذهب بذهن السامع مذاهب شتى من تعرف المقصد بهذا الاستفهام، فإنّ التكذيب بالدين شائع فيهم، فلا يكون مثاراً للتعجب، فيترقّب السامع ماذا يردّ بعده، وهو قوله: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢)﴾"، وجيء بصيغة المضارع في: ﴿يُكَذِّبُ﴾، ﴿يَدْعُ﴾، ﴿يَحْضُ﴾؛ "لإفادة تكرار ذلك منه ودوامه." محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/٥٦٤-٥٦٥.

(٣) انظر: عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٤) المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٢٦.

## المطلب الثاني: المناقشة

- أنزل الله ﷻ القرآن الكريم في أعلى ضروب الفصاحة والبلاغة، فلا عجب في عدم مجيئه على أسلوب واحد من أساليب البيان؛ حتى أنه ابتكر أساليب جديدة لم يكن العرب يعرفونها، وإن لذلك التنوع في الأساليب -كما يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)- "حكمتين داخلتين في الإعجاز: أولاها ظهور أنه من عند الله... والثانية أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدّين به." (١)

فالقرآن الكريم يفتنّ في الأساليب حتى في الموضوع الواحد، فالتنوع الأسلوبي سمة غالبية فيه، هذا ما بيّنه درّاز (ت ١٩٥٨م)، إذ يقول: "الأعجب أنه مع كونه أكثر الكلام افتناناً وتنوعاً في الموضوعات، هو أكثره افتناناً وتلويناً في الأسلوب في الموضوع الواحد. فهو لا يستمرّ طويلاً على نمط واحد من التعبير، كما أنه لا يستمرّ طويلاً على هدف واحد من المعاني، ألا تراه يتنقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى، وينتقل في المعنى الواحد بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار، واسميّة وفعلية، ومُضيّ وحضور واستقبال، وتكلم وغيبة وخطاب، إلى غير ذلك من طرق الأداء، على نحو من السرعة لا عهد لك بمثله، ولا بما يقرب منه في كلام غيره قط." (٢)

- ولا بدّ من غرض وراء هذا التنوع والتفنّن في أساليب الأداء البياني، هذا ما يؤكّده الطوفي (ت ٧١٦هـ) بقوله: "لا شكّ في ورود الكلام قرآناً كان أو غيره على أنحاء مختلفة، وأحوال متفاوتة، تارة في الوضع، وتارة في العموم والخصوص، وأونة في الزيادة والنقص،... فلو لم يكن اختصاصه ببعض هذه الأحوال دون بعض في

(١) محمّد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢/ص ١٦٨.

(٢) محمّد عبدالله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥م، ص ١٤٤.

بعض الأماكن، لمقتضى وموجب، لكان عبثاً، وترجيحاً من غير مرجح، وهو محال.<sup>(١)</sup>

فكلّ تغيير في الأسلوب أو تلوين أو زيادة أو حذف أو تقديم أو تأخير مقصود لمعنى معين، يقول صاحب كتاب "التعبير القرآني": "التعبير القرآني تعبير فني مقصود، كلّ لفظة بل كلّ حرف فيه وُضع وضعاً فنياً مقصوداً، ولم تُراعَ في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كلّهُ".<sup>(٢)</sup>

- إذاً تبين ممّا سبق أنّ علماء الدراسات القرآنية قد تنبّهوا لهذه الظاهرة البلاغية في القرآن المعجز، وتحدّثوا عنها.

ولكنّ من الملحوظ أنّ الميداني صرّح في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" أنّ التنوع في أساليب الأداء البياني، من الظواهر التي اكتشفها هو في القرآن الكريم، ورأى إضافتها إلى علم البيان<sup>(٣)</sup> كما أشرت في مقدّمة البحث، إذ يقول: "وأعرض في هذا الفصل الظواهر التي اكتشفتها في القرآن المجيد ضمن مقولتين،...

(١) سليمان بن عبد القوي الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٧١.

(٢) فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمّار، ط٤، عمّان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٠.  
(٣) يعرف البيان بأنّه: "علم يُعرّف به إيراد المعنى الواحد بطُرُق مختلفة في وضوح الدلالة عليه". انظر: محمد بن عبد الرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، ط٤، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٠١، عيسى علي العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٣٤٩.

وقد رأى الميداني أنّ هذا التعريف ناقص؛ لأنّ "البيان" يهتمُّ أيضاً "بما في الطرق التي يبحثها من عناصر جمالية وإبداعية، ويهتمُّ بتربية الذوق الفني لإدراك نسب الجمال والإبداع، والتمييز بين مستويات الصور ودرجاتها جمالاً وإبداعاً، وإدراك الصور المبتذلة والصور المزدولة المحرومة من الإبداع أو من الجمال، فأضفت هذه العناصر إلى التعريف". عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ١/ص ١٢٦-١٢٧.

الأولى: حول منهج البيان القرآني في التنويع والتكامل.<sup>(١)</sup> إلا أنّ ظاهرة التنويع في أساليب الأداء البياني من الحقائق البارزة في القرآن الكريم، وقد عبّر عنها البيان الإلهي بعبارة "صرّفنا" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف/٥٤] أي: نوّعنا وغيرنا.<sup>(٢)</sup> كما تعدّ فناً من فنون إعجاز القرآن الأسلوبية<sup>(٣)</sup>.

وقد درّست هذه الظاهرة تحت ألوان من الفنون البلاغية، أهمها: الالتفات<sup>(٤)</sup>، الذي عدّ من محاسن الكلام، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)؛

(١) عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٢١.

(٢) يقول ابن عاشور: التصريف هنا "كناية عن التبيين بمختلف البيان ومتنوّعه". محمّد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٥/ص ١٠٩.

ويقول الميداني في معنى التصريف: "هو تنويع مدّش في القرآن الكريم في بنائه اللفظي، وفي أساليبه البيانية، وفي صوره البديعة، وفي أدلّته وحججه، وفي ترغيبه وترهيبه". عبدالرحمن الميداني، معارج التفكير وبقائك التدبّر، دار القلم، ط ١، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج ٨/ص ٥٢٢.

(٣) محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢/ص ٢٣٢.

(٤) المشهور عند الجمهور أنّه: "هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة [التكلم - والخطاب - والغيبة] بعد التعبير عنه بطريق آخر منها". القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٢، ومثاله الالتفات الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر]، من التكلم إلى الغيبة.

ولقد أضاف ابن الأثير (ت ٦٢٢هـ) قسماً آخر للالتفات وهو الالتفات الفعلي، وذلك في قوله: "أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل... إلخ"، ضياء الدين بن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٢/ص ٣.

وفي كتابه "الجامع الكبير" أضاف نمطاً ثالثاً إلى جانب النمطين السابقين، وهو نمط "العدد" بقوله: "الرجوع من خطاب التنبيه إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد". ضياء الدين ابن الأثير الجزري، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، تحقيق: مصطفى جواد، وغيره، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٥٦م، ص ١٠١.

"لأنّ الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختصّ مواقعته بفوائد." (١) واهتمّ بإظهار مواطنه في تفسيره (٢).

- كما أنّ الميداني في بيانه لظاهرة التنوع الأسلوبي أوضح بأنّه قد يقترن الغرض الأساسي للتنوع بغرض بيانيّ آخر، ربّما كان من الأولى أن يقول بأنّه: لا بدّ من اقتران غرض إثارة الجمال الفنيّ مع غرض بيانيّ آخر؛ فالجمال ليس مقصوداً لذاته بل هو وسيلة لإيصال المعنى وترسيخه في نفس القارئ.

### المبحث الثاني: حول منهج البيان القرآني في التكامل

أعرض في هذا المبحث كلام الميداني في التكامل في أساليب البيان القرآني بين الأشباه والنظائر ومناقشته، وذلك في المطلبين الآتيين:

#### المطلب الأول: التكامل في أساليب البيان القرآني بين الأشباه والنظائر

يذكر الميداني بدايةً أنّ من روائع الإبداع في البيان القرآني ما يمكن أن يطلق عليه اسم "التكامل في الدلالات بين الأشباه والنظائر" وهو: "أسلوب تخصيص كلّ

---

ويُشار إلى أنّ العلوي (ت ٧٤٩هـ) وقف في تعريفه للانتقادات بين مذهبين، إذ يقول: "معناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة، لأنّ الأول يعمّ سائر الانتقادات كلّها، والحدّ الثاني إنّما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير." يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ٢/ص ١٣٢.

(١) محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١/ص ٥٦.

(٢) انظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ١/ص ٥٦، ١٦٩، ج ٢/ص ٧٧، ١٥٨، ج ٣/ص ٤٧، ١٣٤، ج ٤/ص ١٨، ٣٢٧.

من الأشباه والنظائر<sup>(١)</sup> في النصّ بتعبيرٍ يفيد معنىً خاصاً، وهذا التعبير يصلح أطّارده في سائر الأشباه والنظائر، وبتوزيع التعبيرات نوات الدلالات المختلفة على الأشباه والنظائر يحصل الاستغناء عن إعادة كلّ شبيه ونظير عدّة مرّات بعدد هذه التعبيرات، للإتيان به في كلّ مرّة مقترباً بواحد منها حتى استغراقها.<sup>(٢)</sup> ولا ينفي

(١) استعمل الميداني مصطلح "الأشباه والنظائر"، ولكن ما معنى "الأشباه والنظائر"؟  
الأشباه، لغةً: جمع شَبّه، "والشَّبّه والشَّبيه المِثْل، وأشبّه الشيءَ مثله". أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (شبه)، ٥٠٣/١٣.  
والنظائر، لغةً: جمع نظير، والنظير المِثْل، وقيل المِثْل في كلّ شيء، والنظائر في الكلام والأشياء كلّها. انظر: المرجع السابق، ٢١٩/٥.

أمّا في الاصطلاح فقد ورد في مقدّمة كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" تعريف الوجوه والنظائر، إذ يقول: "أن تكون الكلمة الواحدة، ذُكرت في مواضع من القرآن، على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكلّ مكان معنى غير الآخر. فلفظ كلّ كلمة ذُكرت في موضع، نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كلّ كلمة بمعنى غير المعنى الآخر هو الوجوه. فإنّ النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر". عبدالرحمن بن علي، ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٨٣.  
و"الأشباه" هي الاصطلاح الثالث الشائع عند الحديث عن هذا العلم، وأوّل ما أُلّف فيه كتاب "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ). وللباحثة سلوى العوّا رأي في هذه التسمية، إذ تقول: "وضعها -أي الأشباه- مكان كلمة (الوجوه) يوحي بأنّها كلمة أخرى للمعنى نفسه، وهو ما لا يستقيم بالمعنى نفسه، ولا يستقيم كذلك- بالمنطق العقلي؛ لأنّ الوجوه معانٍ أو مفاهيم مختلفة فكيف تسمّى (أشباهاً) وهي كلمة دالّة على الاتفاق والتماثل؟ فهل تكون الأشباه هي الألفاظ المتماثلة، وتكون النظائر هي الآيات التي ترد فيها الأشباه، بحيث لا يكون في هذه التسمية (الأشباه والنظائر) جزء يشير إلى المعاني أو الدلالات. ربّما يكون الأمر هكذا، ولا دليل لدينا على صحّته أو انتقائه!". سلوى العوّا، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٤٧-٤٨.

(٢) عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٣٥.



الميداني موضوع ملاءمة التعبيرات ذوات الدلالات المختلفة للأشباه والنظائر في النص الواحد، إنما يوجّه المتدبر لملاحظة أنه: "قد يلاحظ مع هذا التنوع التكاملي في العبارات ذوات الدلالات المختلفة براعة انتقاء التعبير الأكثر ملاءمة للشبيه الذي يُقرن به، مع صلاحية التعبيرات الأخرى له" (١) وهذا ما سيوضحه في المثال الآتي.

وتتجلى أهمية الاستغناء في هذا الأداء البياني - كما يقول - بأنه "إيجاز رائع من جهة، ومسرة لنباهة الأذكاء، وتخلص من الركاقة التي يجلبها التكرير في طريقة التعبير." (٢)

- وقد عرض ثلاثة أمثلة موضحة (٣)، ونعرض منها مثالا واحداً، وهو المثال

الأول:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ٥٢﴾ [الحجرات]، ينهى الله ﷻ الذين آمنوا عن ست قبائح اجتماعية (السخرية، اللمز، التنابز بالألقاب، اتهام المؤمنين بالظنون الضعيفة التي لا تقوى على الاتهام، التجسس على المؤمنين، الغيبة للمؤمنين المتقين)، وهذه القبائح أشباه فيما بينها ونظائر، كأنواع من جنس واحد - في تصوّر الميداني - انفردت بألوان تعبيرية ذات دلالات خاصة. (٤)

ويبين الميداني أنه يصح في كلّ من هذه المنهيات الست استعمال التعبيرات الأخرى، لتؤدّي دلالاتها، فيصح مثلاً في السخرية أن يقال: (لا تسخروا من أنفسكم -

(١) المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٣٥.

(٢) المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٣٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٣٥-٣٤٥.

(٤) عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٣٦-٣٤٩.

ولا تتساخروا- اجتنبوا السخرية- لا تسخروا- لا يسخر بعضكم من بعض)، بالإضافة إلى ما جاء في النص (لا يسخر قوم من قوم)، فأغنى بذلك أسلوب التعبير الذي جاء في واحدة منها -أي الأسلوب الذي جاء في النص- عن إعادته في سائر المنهيات الأخرى، أي اللمز والتنازع بالألقاب وغيرها؛ فتكاملت التعبيرات في أداء المقصود من دلالاتها المختلفة.<sup>(١)</sup>

وتَمَّ بذلك الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزّعات على الأشباه والنظائر (القبايح الست) للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرّد استعمالها في سائرهما.

وقد بيّن الميداني أيضاً في هذا المثال الدلالات الخاصة وبراعة انتقاء كلّ صيغة تعبيرية لكلّ قبيحة من هذه القبايح الست، نذكرها باختصار:

السخرية تغلب فيها المشاركة الجماعية، فجاء التعبير فيها بأسلوب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾.

واللمز يغلب فيه الطابع الفردي الخفي، فجاء التعبير فيه بأسلوب: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وللدلالة على أنّ من لّمز أخاه المؤمن فكأنما لّمز نفسه.

والنبرز باللقب عمل تغلب فيه المشاركة بين فريقين، ومن أجل ذلك جاء التعبير فيه بأسلوب: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَبَاءَ الْأَلْقَابِ﴾.

وأفضل وسيلة لتترك الظنّ الذي يَأْثُم به صاحبه هو اجتناب كثير من الظنّ، فجاء التعبير فيه بأسلوب: ﴿أَجْتَنِبُوا﴾.<sup>(٢)</sup>

والتجسس يغلب فيه العمل الفردي ضدّ فرد أو جماعة، فجاء التعبير فيه بأسلوب: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: المرجع السابق، ج ٢/ص ٣٣٦.

(٢) ذهب جمهور العلماء إلى أنّ الأمر المطلق يقتضي الوجوب. انظر: بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٢/ص ٨٣.

(٣) لم يتضح للباحثة هنا دلالة هذه الصياغة على ذلك المعنى.

والغيبة ظاهرة يؤذي ويضرُّ بها الناس بعضهم بعضاً، إذ فيها مغتاب وسامع مشارك له أو أكثر، فجاء التعبير في النهي عنها بأسلوب: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾. ودلالة كلِّ تعبير من هذه التعبيرات يصلح تعميمها على سائر القبائح الست، كما أشرت. وهذا من روائع الإعجاز البياني، كما ظهر للميداني رحمه الله، والله أعلم.<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني: المناقشة

يُلاحظ أنَّ الميداني استند في عرض منهج البيان القرآني في التكامل إلى المعنى اللغوي للأشباه والنظائر في المعاني الفكرية، ولكنه لم يوضح ذلك في كلامه، وهو ما يكفل بأن يذهب ذهن القارئ لأوّل وهلة إلى أنّه قصد بكلامه علم الوجوه والنظائر، وهذا يجعل كلامه غير واضح إلّا بعد فهم المثال التطبيقي عليها، والانتباه إلى إشارة الميداني إلى أنّ الأشباه والنظائر أنواع من جنس واحد (ففي المثال السابق مثلاً عدّ القبائح الست أنواعاً تتدرج تحت جنس واحد وهو القبائح). إذاً هذا يتطلب من القارئ مزيداً من الدقّة في الفهم والتدبّر العميق.

أمّا فائدة التخلّص من الركاقة التي يجلبها التكرار في طريقة التعبير، فقد يفهم منها أنّ التكرار بذاته أسلوب فيه ركاقة، ولكنّ واقعه في القرآن الكريم يؤكّد لنا أنّه جاء لإضافة معنى أو لتحقيق غرض بلاغي جديد وهذه هي البلاغة بعينها.

- ولم يظهر هذا المنهج بشكل بيّن مضمونه إلّا في المثال الأوّل الذي تمّ عرضه هنا، أمّا في كلّ من المثالين الآخرين اللذين عرضهما الميداني في كتابه "البلاغة العربية"، فنجد الاضطراب والإيهام والتطبيق غير الواضح فيهما.

(١) انظر: عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٣٦، ولم يشر أحد من المفسرين -حسبما اطلعت عليه الباحثة- إلى هذا البيان في الآية.

ففي المثال الثاني، من قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ <sup>١٠٥</sup> **اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ** <sup>١٠٦</sup> **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا** <sup>١٠٧</sup> **إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** <sup>١٠٨</sup> **أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا** <sup>١٠٩</sup> **إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** <sup>١١٠</sup> **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ** <sup>١١١</sup> **إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ** <sup>١١٢</sup> **أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** <sup>١١٣</sup> **إِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** <sup>١١٤</sup> **أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ فَرُيعِيدُهُ وَمَنْ يَرْفُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** <sup>١١٥</sup> **إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** <sup>١١٦</sup> ﴿[النمل].

يقول الميداني: "إنَّ ختم كلِّ فقرة منها يصلح لأن يكون ختاماً لسائر الفقرات، مع أنَّ كلَّ فقرة منها قد خُتمت بما هو ألصق بها، وأكثر ملاءمةً لها، فاختيار كلِّ ختام ليكون خاتمة الفقرة بعينها فيه مراعاة الأمر المناسب، مع الإشارة بالجمع العام إلى صلاحيته للتعميم على كلِّ الآيات. فيمكن أن نقول في كلِّ منها: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ - بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ - قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ - تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ - هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾".<sup>(١)</sup>

ويلاحظ من كلامه هذا أنه عدَّ صدور الآيات أشباهاً ونظائر، وقد ختمت كلُّ منها بختام ذي دلالة خاصّة، يصلح تعميمه على سائر الآيات، فحصل بذلك استغناء في الأداء البياني عن ذكر خواتيم الآيات الأخرى في ختام كل آية.

(١) انظر: عبدالرحمن الميداني، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، ج ٢/ص ٣٤٢.

ويلحظ أيضاً أنه لم يعمم التعبيرات في الأشباه والنظائر - كما فعل في المثال الأول - إنما عمم خواتيم الآيات التي انفردت بدلالات خاصة على كل عناصر النص القرآني السابق؛ فخالف الميداني بذلك كلامه أثناء بيانه لمنهج القرآن الكريم في التكامل بين الأشباه والنظائر.

وإذا أردنا فرضاً أن نعدّ خواتيم هذه الآيات أشباهاً ونظائر كأنواع من جنس واحد - حسب فهم الميداني هنا للأشباه والنظائر - وقمنا بتعميم الصيغة التعبيرية حسب القاعدة في أيّ منها (مثلاً في العدول: بل هم قوم يعدلون - بل أكثرهم لا يعدلون - قليلاً ما يعدلون - تعالى الله عما تعدلون - هاتوا برهانكم إن كنتم تعدلون، وهكذا في سائرها)، فهذا لن يستقيم، وبالوقوف على دلالات تلك الصيغ ومقارنتها نجد كلاً منها تؤدّي معنى مختلفاً عن الآخر.

ومن جهة أخرى، وإن كان في هذا الاستغناء إيجاز وتكثيف لدلالات المعاني قصد الميداني تعقيده، لكنّه لم يلفت نظرنا إلى مدى تمكّن التعبيرات ذوات الدلالات المختلفة في مكانها عندما تكون فواصل قرآنية كما في هذا المثال، أي تمكّن الفاصلة القرآنية في هذه الحالة في مكانها، ومدى اتساقها مع الفواصل القرآنية الأخرى في نفس السورة، فغيّب بذلك الأثر اللفظي والجمالي للفاصلة القرآنية التي "تحقق للنص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم؛ لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضيف على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعدّ معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع... فينشأ من تضافرهما أثر جمالي".<sup>(١)</sup> ولها دور في "إمتاع النفس البشرية بموسيقا من نوع خاص تصغي لها الأذان ويقع وقعها في القلوب، فهي بقيمتها الإيقاعية والموسيقية تلعب دور المفتاح

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب،

القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٢٧٩.

في اللّحن الموسيقيّ، ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقيّة، إلا لتقريب المثال.<sup>(١)</sup>

### الخاتمة :

تبين من خلال البحث أنّه:

- لم تكن إضافة الميداني فيما يتعلّق بظاهرة التنويع في أساليب البيان القرآني إضافة جديدة، فقد تنبّه علماء الدراسات القرآنية لمنهج البيان القرآني في التنويع، فدرسوا ظاهرة التنويع الأسلوبية تحت ألوان من الفنون البلاغية، أهمها: الالتفات.
- أمّا كلامه فيما يتعلّق بظاهرة التكامل في أساليب البيان القرآني بين الأشباه والنظائر، إذ يستغنى في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزّعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرّد استعمالها في سائرهما؛ فيبقى لفظة بيانية بدیعة منه كان له سبق التنبیه عليها -في سورة الحجرات- وإبداعاً لم يسكبه في مصطلحات ومقاييس منضبطة، لذا يبقى مرتبطاً بتذوّق المفسّر وقدرته الأدبية الخاصة، ولا يمكن تعميمه في القرآن الكريم أو إضافته إلى البلاغة العربية.

(١) محمّد ديب الحاجي، النّسق القرآني دراسة أسلوبية، دار القبلّة للثقافة الإسلامية، جدّة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٨٦.

## المراجع

١. ابن الأثير الجزري، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.
٢. ابن الأثير الجزري، ضياء الدين، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، تحقيق: مصطفى جواد، وغيره، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٥٦م.
٣. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٤. الحاجي، محمد ديب، النسق القرآني دراسة أسلوبية. جدّة دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٥. حسان، تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني. القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٦. دراز، محمد عبدالله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٥م.
٧. الزرقاني، محمد عبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.
٨. الزركشي، بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه. تحقيق: محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.
٩. السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، عمّان، دار عمّار، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الطبعة الرابعة.
١٠. الصعيدي، عبدالمتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مصر، مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، الطبعة السابعة عشرة.
١١. الطوفي، سليمان بن عبدالقوي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبدالقادر حسين، القاهرة، مكتبة الآداب.
١٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
١٣. العاكوب، عيسى علي، المفصل في علوم البلاغة العربية، منشورات جامعة حلب، حلب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٤. عبدالمجيد، جميل، بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٥. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٦. العوا، سلوى، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٧. القزويني، محمد بن عبدالرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٨م، الطبعة الرابعة.
١٨. المجذوب، محمد، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشواف - الرياض - ١٩٩٢م، الطبعة الرابعة.
١٩. منصور، نوال جاسم محمد، جهود المحدثين في تجديد البلاغة العربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في فلسفة اللغة العربية، بإشراف الدكتور عبد الحسين المبارك، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، ٢٠١٣م.
٢٠. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٢١. الميداني، عبدالرحمن، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ تأملات، دار القلم، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، الطبعة الرابعة.
٢٢. الميداني، عبدالرحمن، معارج التفكير ودقائق التدبر، دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الطبعة الأولى.
٢٣. الميداني، عبدالرحمن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. دمشق، دار القلم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، الطبعة الثالثة.



20. **Ibn Manzoor**, Abu Al- Fadl Jamal Al- Din Muhammad Ibn Makram, **Lisan Al- Arab**, Dar Sader, Beirut.
21. **Al- Midani**, Abd Al- Rahman, **Rules for Al- Taddabor Al - Amthal of the Book of Allah**, Meditations, Dar Al- Qalam, Damascus 1430AH.
22. **Al- Midani**, Abd al- Rahman, **Maarij al- Tafakour and the Minutes of Reflection**, **Damascus**, Dar Al-Qalam, 1427AH/ 2006AD, first edition.
23. **Al- Midani**, Abdul Rahman, **the Arabic rhetoric, its foundations, sciences and arts**. Damascus, Dar Al-Qalam, 1431AH.

10. **Al Saidi, Abdel- Mutaal, Bogyat Al- Edah Le Taqles Al-Muftah in the Sciences of rhetoric**, Egypt, Literature Library, 1424 AH.
11. **Al- Toufi, Suleiman Bin Abd Al- Qawi, The Elixir in the Sciences of Exegesis**, edited by: Abdel- Qader Hussein, Cairo, Literature Library.
12. **Ibn Ashour, Muhammad al- Taher, Al- Tahrir wa Tanwir**, Tunis, Sahnoun House for publishing and distribution, 1997AD.
13. **Al- Akoub, Issa Ali, Al- Mufasal of Arab Rhtoric Sciences**, Aleppo University Publications, Aleppo 1421AH/2000AD.
14. **Abdel- Majid, Jamil, Rhetoric of the text, A theoretical introduction and an applied study**, Dar Gharib, Cairo, 1999AD.
15. **Alawite, Yahya bin Hamzah, Al Teraz Al- Mutadmen of Rhetoric and Truths of Miracles**, Beirut, Dar Al- Kutub Al- Illmyyiah.
16. **Awa, Salwa- (Al-Wojuh wa Al Nazar) in the Holy Quran**, Cairo, DarAl-Shorouk 1419 AJ/1998AD.
17. **Al-Qazwini, Muhammad Ibn Abd al-Rahman, The Clarrification in the Sciences of rhetoric**, House of Ehyaa Olum Al- Dien, Beirut,1998, fourth edition.
18. **Al-Majzoub, Muhammad, Scholars and Thinkers You Know**, Dar Al- Shawaf-Riyadh-1992AD, Fourth Edition.
19. **Mansour, Nawal Jassim Muhammad, Efforts of Modern Scholars to renew Arabic Rhetoric**, athesis submitted for ph.D. degree in Philosophy in the Arabic Language, under the supervision of Dr. Abdul Hussein Al- Mubarak, at the collage of Arts, University of Basra, Iraq, 2013AD.

## The Resources

1. **Ibn Al-Atheer Al-Jazari**, Diaa Al- Din, **The Exemplary in The Literature of the Writer and The Poet**, Edited by: Muhammad Muhyiddin Abdel Hamid, Beirut, The Modern Library, 1995AD.
2. **Ibn Al-Atheer Al-Jazari**, Diaa Al- Din, **Al- Jami' Al-Kabeer, Al- Jami' Al- in the Industry of Al- Manzyoum of Al- Kalam**, edited by Mustafa Jawad, and others, The Scientific Complex Press, 1965 AD.
3. **Ibn Al- Jawzi**, Abd al- Rahman bin Ali, **Nuzhat al- Ayn al Nawazir in the Science of the Likes and Equals**, edited by: Muhammad Abd al- Karem Kazem al- Radi, Beirut, The Resala Foundation, 1404 AH/1984AD.
4. **Al- Hajji**, Muhammad Deeb, **Quranic Layout, a stylistic study**, Jaddah, The Qibla House for Islamic study, 1431 AH.
5. Hassan, Tamam, **Al- Bayan in the Masterpieces of the Quran, a linguistic and stylistic study of the Quran text**, Cairo, The world of Books 1413 AH/ 1993 AD.
6. **Diraz**, Muhammad Abdullah, **The Great News, New Views in the Quran**, Doha, House of culture, 1985AD.
7. **Al Zargani** Muhammad Abdul Azim, **Fountains of Irfan in the Sciences of the Quran**, Dar Al- Fikr, 1996 AD first edition.
8. **Al- Zarkashi**, Badr al- Din, **The Sea Ocean in Usul al-Fiqh**. Edited by: Muhammad Tamer, Beirut, Dar Al- Kutub Al- Ilmiyya, 1421 AH.
9. **Al- Samarrai**, Fadel Saleh, **The Quranic Expression**, Amman, Dar Ammar, 1427 AH.



## الدلالة المعجمية والصرفية للعذاب الموصوف

### بألیم وشدید فی القرآن الکریم

بیان أبو الرب

محاضرة غير متفرغة في الجامعة الأردنية

#### الملخص

تناول هذا البحث الدلالة المعجمية والصرفية للعذاب الموصوف بأليم وشديد في القرآن الكريم في مبحثين، عني الأول بدراسة ألفاظ (عذاب، وأليم، وشديد) في القرآن الكريم دراسةً معجميةً، وكيفية تطور كل لفظة وبأي اتجاه، وخُصّ البحث الذي يُعنى بالدلالة إلى أن لفظة عذاب ارتبطت في مراحل تطورها بعذوبة الماء، الذي يعني صفاءه ونقاءه، وخلوّه من الشوائب، كما عني ببيان المشترك اللغوي في المعنى بين الأصل المعجمي (عَذَب) ولفظة (عذاب)، وهو أنّ العذاب يحوي بداخله علّة الألم الخالص كما يحوي الماء العذب النقاء والصفاء الخالص.

وخلص البحث أيضاً إلى أنّ الفرق بين العذاب الأليم والشديد يكمن في أنّ الأليم منه لا يسير على وتيرة واحدة، بل يختلف مقداره وطبيعته وفق العمل، فتتغير درجة الألم فيه. أما الشديد فيسير على وتيرة واحدة منذ بدايته حتى نهايته وبمقدار واحد من الألم، وهو أكثر إيلاماً من العذاب الموصوف بأليم، فكل عذابٍ شديدٍ أليمٌ وليس كلُّ عذابٍ أليمٍ شديداً.

وتضمن المبحث الثاني الدلالة الصرفية لصيغة فعيل في (أليم وشديد) الدالة على الصفة المشبهة أو صيغة المبالغة. والذي يساعد في تحديد الدلالة الصرفية هو السياق العام الذي ترد فيه لفظتا (أليم، وشديد).  
كلمات مفتاحية: عذاب، أليم، شديد، دلالة.

## The Lexical and Morphological Significance of '*Adhāb* in the Holy Qur'ān

### Abstract

This paper provides a two-fold discussion of the significance of the word '*adhāb* (punishment) in the Holy Qur'ān, especially when it is qualified by the adjectives '*alīm* (painful) and '*shadīd* (terrible). The first consists of a lexical survey of the three words; it concludes that '*adhāb* is connected semantically with the purity of water and finds that it is etymologically connected with the verb '*adhuba* (it became pure) due to the fact that '*adhāb* consists basically of pure pain just as pure water signifies untarnished purity. The paper also shows that the difference between painful and terrible '*adhāb* is not uniform; painful '*adhāb* varies in intensity whereas terrible pain maintains the same degree of intensity. It is also more painful than the other variety. Thus, every terrible '*adhāb* is painful, but not every painful '*adhāb* is terrible.

The other task undertaken in the paper concludes that the paradigm '*fa'īl* as illustrated in the words '*alīm* and '*shadīd* are adjectival in meaning and emphatic in function. It is the context that determines which function is being employed.

Key terms: Punishment, painful, Terrible, Significance.

## المبحث الأول

## الدلالة المعجمية لألفاظ (عذاب، وأليم، وشديد)

يقوم هذا المبحث على دراسة الألفاظ (عذاب، وأليم، وشديد) دراسةً معجميةً دلاليةً بالنظر إلى التطور الدلالي الذي حصل لكل لفظ منها، ومدى ارتباط المعنى المتطور دلاليًا بالمعنى الأصلي لكل لفظة. ويُعدُّ علم الدلالة أحد فروع علم اللغة، الذي يبحث في معاني الألفاظ وتطوراتها الدلالية، وقد عرّف أحمد مختار علم الدلالة بأنه "الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"<sup>(١)</sup>.

وسأتناول في هذا المبحث التطور الدلالي للفظ (العذاب) وما وصفت به من (أليم وشديد)، فقد جاءت لفظة (عذاب) مصاحبةً لألفاظٍ عدّة في القرآن الكريم منها هاتان اللفظتان اللتان قامت عليهما الدراسة. وكان اتجاه التطور الدلالي في لفظة (العذاب) نحو التقابل والتضاد، كما سيُتضح من التحليل:

## أولاً: الدلالة اللغوية والمعجمية للفظ عذاب:

إنَّ الجذر الذي أُخذت منه لفظة (العذاب) هو الفعل (عَذَبَ)، وقد بيّن الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) أصل دلالة عذاب بقوله: "عَذَبَ الماءُ عُذْبَةً فهو عَذْبٌ طيب، وأَعَذَّبَهُ إِعْذَاباً، واستعذبتَه، أي: أسقيته وشربته عَذْباً... وتقول: أَعَذَّبْتُهُ إِعْذَاباً، وعَذَّبْتُهُ تَعْذِيباً، كقولك: فَطَمْتُهُ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، وكلُّ من مَنَعْتُهُ شَيْئاً فَقَدْ أَعَذَّبْتُهُ"<sup>(٢)</sup>.

أما ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) فقد ذَكَرَ في كتابه (غريب الحديث) عن النبي -عليه السلام- أنه قد شَيَّعَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشاً فَقَالَ: "أَعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ". يقول: امنعوا

(١) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط٧، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١١.

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، معجم العين، تحقيق: مهدي

المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (عذب)، ج ٢، ص ١٠٢-١٠٣.

أَنفُسُكُمْ عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ وَشَغَلَ الْقُلُوبَ بِهِنَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكْسِرُكُمْ عَنِ الْغَزْوِ. وَكُلٌّ مِنْ مَنَعْتِهِ شَيْئاً فَقَدْ أَعَذِبْتَهُ"<sup>(١)</sup>.

وَيَتَّضِحُ مِنْ خِلَالِ الْقَوْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَنَّ الْعَذْبَ هُوَ كُلُّ طَيِّبٍ مُسْتَسَاغٍ، وَإِذَا عُدِّيَ بِالْهَمْزَةِ دَلَّ عَلَى النَّقِيضِ مِنَ الْمَعْنَى السَّابِقِ، أَلَا وَهُوَ الْإِزَالَةُ (إِزَالَةُ الْعَذْبَةِ) فَنَقُولُ فِي مَصْدَرِ أَعَذِبَ إِعْذَاباً، بِمَعْنَى الْمَنْعِ وَالسَّلْبِ وَالْإِزَالَةَ.

وَأُضَافَ ابْنُ سَلَامٍ قَائِلاً: "الْعَذُوبُ الَّذِي بَاتَ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سِتْرٌ، وَكَذَلِكَ الْعَاذِبُ"<sup>(٢)</sup>، فَالْعَذُوبُ تَمْنَعُ السِتْرَ وَتَزِيلُهُ عَنِ الشَّيْءِ فَتَكْشِفُهُ وَتُظْهِرُهُ. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ (ت ٣٢١هـ): "عَذْبُ الْمَاءِ وَغَيْرِهِ إِذَا اسْتَسَاغَ. وَالْعَذْبُ: ضِدُّ الْمَلْحِ، وَكُلُّ مُسْتَسِغٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ"<sup>(٣)</sup>. وَذَهَبَ الْأَزْهَرِيُّ (ت ٣٧٠هـ) إِلَى أَنَّ الْعَذَابَ مُرْتَبِطٌ بِبِدَايَةِ الشَّيْءِ وَطَرَفِهِ فَيَقُولُ: "وَعَذْبَةُ السَّوْطِ: طَرَفُهُ، وَأَطْرَافُ السِّيُورِ عَذْبُهَا وَعَذَابَاتُهَا. وَعَذْبَةُ قَضِيبِ الْجَمَلِ: أَسْلَتُهُ الْمُسْتَدِيقُ فِي مَقْدَمِهِ"<sup>(٤)</sup>. وَجَاءَ فِي مَقَايِيسِ اللُّغَةِ أَنَّ أَصْلَ الْعَذَابِ الضَّرْبُ مُسْتَشْهِداً بِقَوْلِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلْمَى:

وَحَلَفَهَا سَائِقٌ يَحْدُو إِذَا خَشِيتُ \* \* \* مِنْهُ الْعَذَابُ تَمُدُّ الصَّلْبَ وَالْغُنْفَا<sup>(٥)</sup>

(١) القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي (ت ٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د. ط، القاهرة، ١٩٨٩م، (عذب)، ج ٤، ص ٣٥٩، وقد بحثت في معظم دواوين السنة ولم أجده بهذا اللفظ (أعذبوا أنفسكم).

(٢) المرجع السابق، (عذب)، ص ٣٦٠.

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م، (عذب)، ج ١، ص ٣٠٤.

(٤) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، (عذب)، مج ١، ج ٢، ص ١٩٣.

(٥) زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: محمد حمود، مدار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٥، ص ٧٥.



ويضيف ابن فارس: "ثم استعير ذلك في كل شدة... يقال لطرف السوط عَذْبَة، والجمع عَذَبٌ"<sup>(١)</sup>، فالضرب هو بداية الألم وتكراره يزداد الألم، فكلما ازداد الضرب زاد الألم وكلما زاد الألم زاد العذاب. أمّا ابن منظور (ت ٧١١هـ) فقد أضاف إلى المعاني السابقة معنىً جديداً وهو أنّ العَذْبَة القَذَاة تعلو الماء، والعذابة تُطلق على رحم المرأة، والعذاب يعني النكال والعقوبة<sup>(٢)</sup>. وعلاقة العذب بالرحم تكمن في أنّه يكشف الحمل ويظهره، أما القذاة فتكشف الفاسد من الصالح وتميّزه، فإن ظهورها يبين فساد الشيء، وكلها متعلقة بالكشف ونقيضه الستر. ويُقال: فلانٌ مَفْتونٌ بالأعْدْبِين (وهما الطَّعَامُ والنِّكاحُ أو الرِّيق)، وفي الأساس<sup>(٣)</sup>: (الخمير والرضاب)... وذلك لِعَذْوَبَتِهِمَا<sup>(٤)</sup>.

وقد أُطلق الأعْذَبان على الطَّعَام والنِّكاح؛ لأنَّ شهوة الإنسان وراحته وسكينته تقع فيهما، فجُعِلَ لفظ (العذاب) من جنس ما ترغب به النفس، فكان التهريب من جنس الترغيب موازياً إياه في المقدار باتجاه التقابل؛ وذلك لتقريب الصورة أكثر للإنسان، ولمعرفة ماذا يعني عذاب الله. فأساس الحياة وديمومتها مرتبط بالطعام والتناسل، وأساس الموت الحقيقي هو الامتناع عن مقومات الحياة وشهواتها؛ لذلك كان العذاب من العذب والأعْذْبِين، فالجذر اللغوي اللفظي (العذاب والأعْذَبان) واحد لكنّ معناهما يسير في اتجاهين متضادين.

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩١م، (عذب)، مج ٤، ص ٢٦٠.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (عذب).

(٣) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، دار مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٩٢.

(٤) ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالكريم عزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٧م، (عذب)، ج ٣، ص ٣٢٩.

إنَّ التطور الدلالي للفظَة (العذاب) يدلّ على أنَّها مرّت بعدّة مراحل، ومن خلال ما سبق نجد أن أصل العذاب من (عَذَبَ) وبفعل الزيادة أصبحت (أعذب) واشتقت منهما صيغ أخرى: (عذاباً) من عَذَبَ، و(إعذاباً) من أعذبَ، فكل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى.

وتحمل لفظَة (العذاب) معنى الاستمرار، فشرط العذاب يتمثل في الألم وال مداومة عليه والاستمرار فيه، ثم نَحَت منحى آخر لتدل على معنى الضرب والعقوبة وفي تكرارهما صنف من أصناف العذاب، فيكون مؤلماً أو شديداً أو كبيراً...، فكان العذاب يطلق على كل شدة وألم، وفي هذا تطوّر من التخصيص باتجاه العموم في الدلالة.

أما لفظَة (عَذَبَ) فوردت في القرآن الكريم في موضعين هما: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ تَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ف"الماء العذب، هو الطيب الذي لا ملوحة فيه"<sup>(٣)</sup> والمرغوب به، بدليل مقابلته بالأجاج وهو "الماء المِلْح الشديد الملوحة"<sup>(٤)</sup>.

ومما سبق يتّضح أن المادّة الأساسيّة للفظَة العذاب وتطوراتها الدلالية تحمل عدّة معانٍ كالكشف والمنع، فالماء العذب يمتاز بأنّه يروي النفس ويمنع عنها العطش

(١) سورة الفرقان، ٥٣.

(٢) سورة فاطر، ١٢.

(٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م، (عذب)، ج ١، ص ٥٨٣.

(٤) المرجع السابق، (أجج)، ج ٢، ص ٢٠٧.

إذا أصاب صاحبه، والماء الكدر يظهر عليه بطلان نقائه من خلال قذاته، ويشمل العذاب كبح جماح النفس عما ترغب به، واستبدال ذلك بالعكس والضد، بفعل صاحبها أو بفعل قوة خارجة عن إرادته، فالعذاب كلمة شاملة لكل ما هو مؤلم سواء كان هذا الألم حسيّاً أم معنويّاً.

وردت لفظة (العذاب) في القرآن الكريم بصيغة الماضي أربع مرات كما في قوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا﴾<sup>(١)</sup>، أما بصيغة المضارع فوردت ستاً وثلاثين مرة، كما في قوله تعالى ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ نُرِيدُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾<sup>(٢)</sup> وهذا يبين أنّ استعمال صيغ المضارع أكثر من صيغ الماضي؛ لأنّ الفعل المضارع يدل على التجدد والاستمرارية؛ لذلك كان في سياق العذاب أكثر من الماضي للدلالة على استمرارية العذاب وتجدده، وبخاصة عذاب الآخرة.

وينقسم العذاب إلى نوعين هما: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، أمّا عذاب الدنيا فهو العذاب المحسوس من الآلام النفسية والجسدية، قد ينتهي بعفو الله، فيكشفه عن المعذب أو ينتهي بموته، أما عذاب الآخرة فهو الذي يستحقه صاحبه نتيجة أفعاله. وقد أشار الله سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز إلى أنّ العذاب في الدنيا يكون قبل الآخرة، كما في قوله تعالى في سياق الحديث عن عذاب الدنيا ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فالعذاب الأدنى يقابله العذاب الأقصى، والعذاب الأكبر يقابله الأصغر، فما الحكمة في مقابلة الأدنى بالأكبر؟.

(١) سورة الطلاق، ٨.

(٢) سورة الكهف، ٨٧.

(٣) سورة السجدة، الآية ٢١.

يقول الرازي مجيباً عن هذا السؤال: "حصل في عذاب الدنيا أمران: أحدهما: أنه قريب والآخر أنه قليل صغير، وحصل في عذاب الآخرة أيضاً أمران أحدهما: أنه بعيد والآخر أنه عظيم كثير، لكن القرب في عذاب الدنيا هو الذي يصلح للتخويف به"<sup>(١)</sup>؛ لذا أُرِخَ فالعذاب الدنيوي مؤشر دالٌّ على العذاب الآخروي.

كما أنّ مقابلة العذاب الأكبر بالأدنى وليس الأقصى؛ للإيحاء بأن عذاب الآخرة مهما كان بعيداً فسوف يأتي، ومن ثم فإن النفس تستحضر هذا العذاب أكثر من لو أنه وُصِفَ بالأقصى؛ ولأنّ المدى في كلمة الأقصى من حيث المدة الزمنية تدلّ على أنه شديد البعد، فسيكون انعكاس أثره على المتلقي أقلّ وقعاً من العذاب الأكبر، وذلك أصلح لتحويل عذاب الآخرة والتحذير منه أيضاً.

وقد يصيب الإنسان في الدنيا عذابٌ دون شرط استحقاق؛ فالأنبياء -عليهم السلام- هم أول من واجهوا العذاب والمشاق في حياتهم، بما فيها من صدود وإنكارٍ وابتعادٍ عن دعوتهم واتهامهم بما هو باطل، وعبادة الله تكليف يستلزم تحمّل المشاق في سبيل تبليغها، والأنبياء أكثر من عُذِّبوا على هذه الأرض؛ لأنهم كانوا يأتون بفكرة إصلاحية منافية لما اعتاد عليه أقوامهم، فكان أحدهم يواجه تعنتاً شديداً وإنكاراً من عدد كبير، ويتحمّل الأذى في سبيل رضا الله تعالى.

ويعدّ المرض مثلاً على إنزال العذاب الرباني على عباده؛ لأنه يسبب آلاماً شديدة تصل درجة العذاب، فيكون هذا العذاب بمنزلة ابتلاءٍ لصاحبه، ليس بهدف الجزاء، بل تكفيرٍ للخطايا وللتذكير الدائم بالآخرة.

ف"عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرني أنّه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأنّ الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده

(١) أبو عبدالله محمد بن ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر العربي، دط، بيروت، ١٩٩٥م، مج ١٣، ج ٢٥، ص ١٤٨-١٨٥.

صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله، إلا كان له مثل أجر شهيد<sup>(١)</sup>. فالملاحظ من خلال هذا الحديث أن العذاب كان رحمة للمؤمنين وفي ذلك نوع من المفارقة، باجتماع العذاب مع الرحمة، فكيف جاز هذا الاجتماع؟ إن المقصود بالعذاب في الحديث السابق هو الابتلاء بالمرض، وسمي بالعذاب لأنه يؤلم صاحبه إيلاً شديداً، فكان هذا تسلياً من النبي -عليه السلام- لمن أصابه الطاعون بأنه عذاب في الدنيا ورحمة له في الآخرة، يجزيه الله عليه أحسن الجزاء مقابل صبره واحتسابه عند الله تعالى، فيكون هذا العذاب دون شرط استحقاق؛ لأنه بمقام الابتلاء.

أما العذاب في الآخرة فإنه نتيجة استحقاق، لما قام به فاعله من أعمال سيئة توجب العقوبة كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فكان العذاب نتيجة مستحقة لما فعلوه في الدنيا.

وجاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة ما يدل على معنى العذاب ضمناً وليس تصريحاً، ويبين أن العذاب لا يقتصر على الآخرة، بل قد يكون في الدنيا، وذلك بتعذيب الله للإنسان كما في قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا ابتلاء وامتحان له وليس عقوبة لقوله (بشيء من) ليعلم الصادق من الكاذب، أو تعذيب الإنسان للإنسان كما في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، مكتبة فياض للنشر والتوزيع، د.ط، المنصورة، د.ت، كتاب أحاديث الأنبياء، ٣٤٧٤، ص ٥٤٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup>، إذ توعّد أصحاب القرية الرّسل بالعذاب الأليم إن لم يكفوا عن دعوتهم إياهم البراءة من آلهتهم، أو تعذيب الإنسان للمخلوقات الأدنى بقصد الإيذاء وعاقبته ستكون العذاب من الله جزاءً لمن قام بهذا الفعل كما في قوله -عليه السلام- "عُذِّبَتْ امرأة في هرة حبستها، حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار"<sup>(٢)</sup>، فقد كان تعذيب المرأة للهرة في الدنيا سبباً في دخولها النار.

ولا يمكن معرفة مقدار العذاب دون النّظر إلى السّياق الذي وردت فيه هذه الكلمة ضمن الآيات القرآنية، فالكلمة بذاتها تدلّ على العموم؛ لذلك فهي تتّحد مع العناصر المختلفة الواردة معها في الآيات؛ لإخراج المعنى المراد بالكيفية والمقدار المناسبين، وتتوعدت الألفاظ الدّالة على العذاب في القرآن الكريم، منها (العقاب، والنكال، والرّجز) وكلها تُجمّع على معنى التّوجّع والألم بدرجات متفاوتة، إلا أنّ لكل منها معنى خاصاً يميزه عن غيرها وينفرد به في السّياق القرآني، فيكون مقصوداً بذاته.

وقد غلب ورود لفظ العذاب مع الألفاظ السابقة في القرآن، والسّبب أنّ العذاب يدل في ظاهره على الألم ولكنه أخص من الألم، كما يقول أبو هلال العسكري؛ لأنّ "العذاب هو الألم المستمر، والألم يكون مستمراً وغير مستمر... فكل عذاب ألم وليس كل ألم عذاباً"<sup>(٣)</sup>.

والعذاب أشدّ وقعاً في النفس وترهيباً من الألم؛ لأنّه يشمل الألم بجميع أنواعه، وفي الوقت ذاته أقلّ درجة مقارنة بالعقاب والنكال والرّجز، وهذا ما يجب على النّفس البشريّة استحضاره دائماً على الأقل؛ لذلك كان المقدار الأكبر لمجيء العذاب

(١) سورة يس، الآية ١٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، ٢٣٦٥، ص ٣٥٨.

(٣) أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: جمال عبدالغني مدغمش، مؤسسة الرّسالة، ط١، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٤٢٢.

الموصوف بأليم من بين الموصوفات الأخرى في القرآن الكريم، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، ففرحهم هذا ليس في موضعه الصحيح، والذي جعلهم ينحون بهذا الاتجاه عدم استحضارهم مخافة الله وعذابه.

ويعني العذاب ابتعاد الطمأنينة والاستقرار عن حياة الإنسان المعذب، وقد تنوعت الفئات المعذبة في الدنيا والآخرة، فخصَّ الله فئاتٍ بعينها في الآخرة كالمنافقين والمجرمين والكافرين، وهدد به في أحيان المؤمنين، فكما قلنا عذاب الدنيا لم يخصص للكافرين دون المؤمنين على عكس الآخرة، حيث خصَّص الله تعالى العذاب جزاءً لمن يستحقه، والفئات هذه معروفة، لكن كيف يمكن أن يكون المؤمن مهدداً في دائرة العذاب الآخروي؟ يقول تعالى في سياق تهديد المؤمنين بالعذاب في الآخرة؛ لتحذيرهم من مدى خطورة عدم طاعة الله بما يأمرهم به: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤْخَذَ مِنْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنَّ السَّبب في ذلك يكمن في حرصِ الله تعالى على تنبيه عباده مهما كانت درجة إيمانهم، فأسباب المعصية ميسرة دائماً في طريقهم، لا سيما أن الشيطان قرين للإنسان، يلزمه ويحيا مع حياته، يحاول حرقه عن الطريق، فهو القائل ﴿فَعِزَّزْنَاكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالله تعالى لم يحرم الصيد الحلال على عباده، إلا في فترة محددة وهي فترة الإحرام للاختبار. فاللام في (ليلونكم) "جواب لقسم محذوف"<sup>(٤)</sup>، أي

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٤.

(٣) سورة ص، الآية ٨٢.

(٤) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش النحاس (ت ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط ٤، حمص، ١٤١٥هـ، ج ٣، ص ١٧.

ليخبرن طاعتكم من معصيتكم فيعاملكم معاملة المختبر ب(شيء من الصيد) وهو صيد البر دون البحر "وإنما قال بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزلّ عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعباً شاقاً كالابتلاء ببذل الأموال والأرواح وإنما هو ابتلاء سهل"<sup>(١)</sup>، وهو سبحانه لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكونوا مخالفين لأمره فيحق عليهم العذاب؛ لذا جاءت الآية محذرة من الوقوع في ذلك الأمر، فهذه الآية المبدوءة بالنهي والمختومة بالتهديد المؤكد بنون التوكيد الثقيلة، تؤسس قاعدة تبنى عليها العقيدة وهي مخافة الله، فمن تعدى بعد ذلك وجب وقوع العذاب عليه.

### ثانياً: الدلالة اللغوية والمعجمية لـ(أليم):

جاء العذاب في كتاب الله - عز وجل - على أنواع، تشترك جميعها بإحداث الألم، واقترن العذاب بوصف (أليم) في سبعين موضعاً<sup>(٢)</sup>، ويعني الأليم "المؤلم

(١) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق وتصحيح: عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٢٠.

(٢) المواضع التي اقترن فيها العذاب بوصف الأليم في القرآن الكريم في السور التالية: البقرة (١٠) (١٠٤) (١٧٤) (١٧٨)، النحل (١١٧)، الجاثية (٨)، التوبة (٣) (٣٤) (٣٩) (٧٤) (٧٩) (٩٠) (٦١)، النور (١٩) (٦٣)، لقمان (٧)، آل عمران (٢١) (٧٧) (٩١) (١٧٧) (١٨٨)، الأنعام (٧٠)، الدخان (١١)، الفتح (١٦) (١٧) (٢٥)، إبراهيم (٢٢)، الشورى (٢١) (٤٢)، المائدة (٧٣) (٣٦) (٩٤)، الحجر (٥٠) (٤٩)، الصف (١٠)، الذاريات (٣٧)، النساء (١٨) (١٣٨) (١٧٣) (١٦١)، يونس (٤) (٨٨) (٩٦) (٩٧)، الأنفال (٣٢)، الحج (٢٥)، العنكبوت (٢٣)، الصافات (٣٨)، النحل (٦٣) (١٠٤)، الإسراء (١٠)، الانشقاق (٢٤)، إبراهيم (٢٢)، الفرقان (٣٧)، الإنسان (٣١)، الأنعام (٧٠)، الأعراف (٧٣)، هود (٤٨)، الشعراء (٢٠١)، التغابن (٥)، الملك (٢٨)، نوح (١)، الأحقاف (٣١) (٢٤)، يوسف (٢٥)، يس (١٨)، المجادلة (٤)، الحشر (١٥)، الأحزاب (٨)، المزمل (١٣).



الموجع...والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ<sup>(١)</sup>، وقيل: ما سمعت له أليمة أي صوتاً، وما وجدت أليمةً ولا ألماً أي وجعاً، والأليمة الحركة<sup>(٢)</sup>.

إنَّ العلاقة بين الألم والمعاني السابقة (الصوت والحركة) تتمثل في الدلالة على استنزاف الجهد و طاقة الإنسان، مع وجود فارق لغوي، فالحركة تحتاج إلى جهد نابع من داخل الإنسان وكذلك الصوت، فإذا كان الجهد الناتج قد أتعب صاحبه نقول: أصابه الوجع، أما الألم فيكون ناتجاً عن قوة خارجية تقوم بإحداثه، يقول أبو هلال العسكري في ذلك: "الوجع أعم من الألم، تقول: ألمني زيد بضربه إياي وأوجعني بذلك، وتقول: أوجعني ضربني ولا تقول ألمني ضربني، وكل ألم هو ما يلحقه بك غيرك والوجع ما يلحقك من قبل نفسك ومن قبل غيرك ثم استعمل أحدهما في موضع الآخر"<sup>(٣)</sup>.

أما العلاقة بين الألم والعذاب فتتمثل في أنَّ الألم يكون متقطعاً على عكس العذاب، يقول أبو هلال العسكري: "العذاب أخص من الألم، وذلك أن العذاب هو الألم المستمر، يكون مستمراً وغير مستمر، ألا ترى أن قرصة البعوض ألم وليس بعذاب، فإن استمر ذلك قلت: عذمني البعوض الليلة، فكل عذاب ألم وليس كل ألم عذاباً"<sup>(٤)</sup>، فإذا كان العذاب يحوي الألم في مضمونه، لماذا جاء في سبعين موضعاً موصوفاً بأليم؟

(١) ابن منظور، لسان العرب، (ألم)، ج ١٢، ص ٢٢.

(٢) ينظر، المرجع السابق، (ألم)، ج ١٢، ص ٢٢.

(٣) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ج ١، ص ٤٢٢.

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢٢.

لعل سبب ذلك أنّ العذاب يكون مستمراً، لكن درجة الألم ومقداره لا تسير على وتيرة واحدة<sup>(١)</sup>، فقد تزداد وتنقص بحسب العمل، ولتأكيد أنّ الألم من صفات العذاب وُصِفَ بـ(أليم)، فالألم الناتج عن العذاب يزداد وينقص ويتباين بتباين العذاب وسببه، وكلما زاد الألم دلّ على أنّ العذاب بازدياد؛ فمقدار العذاب يُقاس بالألم الذي يحدثه؛ لذلك كان التأكيد على العذاب بوصفه بـ(أليم)، زيادةً إلى أنّ الله تعالى أعلم بما في النفوس، فيحاسب الناس على ما في قلوبهم، وتكون درجة عذابهم متفاوتة؛ لأنّهم يتفاوتون في نواياهم وذنوبهم.

ووصف العذاب بأليم في هذه المواضع لا بصفة أخرى؛ لأن الله أراد تقريب الصورة للإنسان الذي لم يجرب عذاب الآخرة ولم يشاهده فهو في علم الغيب، لكن أحداً لم ينفذ من ألم الدنيا أو على الأقل من مشاهدة هذا الألم، الذي يتجسد بأدواته الدنيوية لقوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(٢)</sup> وهذا من سنن الحياة، فمن منا لا يعرف ألم الحريق أو مشهد إضرار النار وإحراق ما حولها، فإذا كانت الحياة بهذه الصورة وبهذا المشهد المخيف، فكيف سيكون الحال في الآخرة؟ فيستحضر الإنسان ما شاهده عيناه من آلام معنوية غير حسية، تكون رادعةً له عن فعل المعاصي ومخالفة أمر الله؛ لذلك كان وصف (أليم) أقلّ ما يوصف به عذاب الآخرة.

وكان التذكير في لفظة أليم هو الغالب في الآيات الكريمة؛ لما تفيده هذه النكرة من شمول وعموم في العذاب وتنوع أساليبه، كما قصد بالنكرة التهويل والتعظيم للعذاب كما سيوضح من التحليل.

أمّا التعريف فقد جاء في سياق ذكر المؤمنين والكافرين؛ وذلك لتخصيص الفئة المقصودة بالعذاب، واستبعاد الفئة الملتزمة بشرع الله من هذا الكلام، كما في

(١) ينظر: يوسف حسن يوسف حماد، العذاب وصفاته صور من الإعجاز البلاغي في القرآن

الكريم، رسالة ماجستير، إشراف محمد حور، ٢٠٠٩م، ص ٩٤.

(٢) سورة البلد، الآية ٤.

قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وَيَقُولُونَ آيَاتُ الْهَتَانَا إِشَاعِرٌ مِثْنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ فالعذاب الأليم في قوله تعالى بصيغة المعرفة ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ معرّف لأن الله تعالى ذكر كلمة التوحيد صراحة في الآيات، وهو عائدٌ على ما قبلها من الآيات وهم الكافرون المستكبرون عن عبادة الله - عزّ وجلّ -، منزّهة المرسلين وأتباعهم عن ذلك العذاب، وفي العذاب الأليم - أيضاً - في هذه الآية إشارةٌ إلى اختصاص فئة محدّدة تحيطها دائرة العذاب دون غيرها، مستوحى هذا المعنى من لفظة العذاب في سياق الآية، وحدّدت طبيعته بالأليم؛ لأنّ درجات الكفر والاستكبار تختلف من أحدٍ لآخر، فكانت درجة العذاب متغيّرة بقوله (أليم).

ومن ذلك أيضاً قوله - عليه السلام -: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم"<sup>(٣)</sup>، ثم بدأ - عليه السلام - بتعداد هذه الفئات، فكان التّكثير مناسباً لسياق الحديث وهو تنوّع الفئات التي لا يكلمها الله يوم القيامة، وعدم الاختصار على فئة واحدة، ومن ثم عدم الاختصار على نوعٍ واحدٍ من العذاب.

وفي لفظة (أليم) دلالة على عدل الله في حكمه على المذنبين وحسابه لهم بناءً على مقدار ذنبهم، فكما جعل الجنّة منازل ودرجات؛ ليتفاضل المؤمنون بعضهم عن بعض، جعل العذاب في النار كذلك، قال - عليه السلام - في الجنّة: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ

(١) سورة الصافات، الآيات: ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٢) سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود، ط ١، ١٩٩٩م، دار المعرفة - بيروت، د. ط، د. ت، ج ١، الحديث ٤٦٧، ص ٦٣. ورواه أحمد في المسند ٣١٩/٣٥ رقم ٣١٤٠٤، ومسلم في صحيحه ١٠٢/١ رقم ١٠٦ كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار. وأبو داود في سننه ٥٧/٤ رقم ٤٠٨٧، كتاب اللباس، كتاب ما جاء في إسبال الإزار. والترمذي في سننه ٥٠٧/٢ رقم ١٢١١ كتاب أبواب البيوع، باب فيمن حلف على سلعة كاذباً. ورواه غيره كذلك وسنده صحيح.

مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض"<sup>(١)</sup>، وقال في أقلّ عذابٍ في نار جهنم: "إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخص قدميه جمرة يغلي منها دماغه"<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الدلالة اللغوية والمعجمية لـ(شديد):

وُصِفَ العذاب بـ(شديد) في القرآن الكريم في المرتبة الثانية بعد (أليم) من بين أوصاف العذاب، وجاءت لفظة (شديد) وصفاً للعذاب في اثنين وعشرين موضعاً<sup>(٣)</sup>، وتعني "الصلابة، وهي نقيض اللين، تكون في الجواهر والأعراض"<sup>(٤)</sup>، والجمع شِدْدٌ...وشيء شديد: بَيَّنَّ الشدة. وشيء شديد: مشدّد قوي...والتشديد خلاف التخفيف...وشأده مشادة وشداداً غالبه"<sup>(٥)</sup>. ويقول ابن فارس: "الشين والداد أصل واحد يدل على قوة الشيء، وفروعه ترجع إليه"<sup>(٦)</sup>، وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، ٢٧٩٠، ص ٤٣٦.

(٢) المرجع السابق، كتاب الرقاق، ٦٥٦١، ص ١٠٤٢، ورواه البخاري في صحيحه ١١٥/٨ رقم ٦٥٦١، كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار، ورواه مسلم في صحيحه ١٩٦/١ رقم ٢١٣ كتاب الإيمان/ باب أهون أهل النار عذاباً.

(٣) المواضع التي وردت فيها لفظة شديد في القرآن الكريم في السور التالية: البقرة (١٦٥)، آل عمران (٤) (٥٦)، الأنعام (١٢٤)، يونس (٧٠)، إبراهيم (٧)، الحج (٢)، المؤمنون (٧)، سبأ (٤٦)، فاطر (٧) (١٠)، ص (٢٦)، الشورى (١٦) (٢٦)، ق (٢٦)، الحديد (٢٠)، الأعراف (١٦٤)، الإسراء (٥٨)، النحل (٢١)، فصلت (٢٧)، المجادلة (١٥)، الطلاق (١٠).

(٤) الأعراض من معاريض الكلام كما يقول ابن فارس، أي أنها تخرج في معرض غير لفظها الظاهر؛ فقد تطلق على الجبال والأودية، وهي أشياء ظاهرة للعيان، ودلّ هذان اللفطان على الموجودات الظاهرة والخفية. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٢٧٤.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، (شدد)، ج ٣، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، (شدّ)، ج ٣، ص ١٧٩.

"الشّد العَقْد القوي... والشّدّة تستعمل في العَقْد، وفي البدن وفي قُوَى النّفس وفي العذاب"<sup>(١)</sup>، أي قدرة الجسم على تحمل المجهود البدني، والعوامل الخارجيّة التي قد تصيبه.

إنّ التطور اللغوي في لفظة شديد بدأ بفكرة التماسك وعدم الانفصال بين الجزيئات، ثمّ خصّصت هذه الفكرة؛ لتدلّ على القوّة التي ينتج عنها رد فعل متساوٍ لا يزداد ولا ينقص ما دامت هذه القوّة موجودة. فالشّدّة تعني وصف الشيء الذي فيه قوّة ومثانة على وجه الكثرة، ويفرق أبو هلال العسكري بين الشّدّة والقوّة فيقول: "الشّدّة في الأصل هي مبالغة في وصف الشيء في صلابة وليس هو من قبيل القدرة، ولهذا لا يقال: الله شديد، والقوّة من قبيل القدرة"<sup>(٢)</sup>، فالشّدّة لا تحتاج إلى قدرة خارجة لإحداثها، أما القوّة فتحتاج قدرةً لإيجادها، فالعذاب يوصف بأنّه شديدٌ نتيجة قوّة، وهذه القوّة مستمدة من قدرة الله تعالى على إحداث العذاب فهو المتحكم في الكمية والمقدار.

وقد تعني الشّدّة الصلابّة لكن على وجه الاستعارة لا الحقيقة، أمّا الفرق بين الشدة والصلابة فيكمن في أنّ "الصلابة هي التّنام الأجزاء بعضها إلى بعض، من غير خلل مع يبوسة فيها، والشّدّة هي التصاق الأجزاء بعضها ببعض سواء كان الموصوف بها ملتئمًا أو متحللاً، والشّدّة مبالغة في وصف الشيء، واستعمالها في موضع الصلابّة استعارة"<sup>(٣)</sup>، ومن ثم فإنّ نوع الشّدّة المستخدمة في العذاب غير مستقر على وجه واحد، فقد تكون أدواتها صلبة ملتئمة الأجزاء أو غير ذلك، لكنّ درجة الألم في العذاب الشديد تسير على قوّة ومقدارٍ واحدٍ، وفي هذا المعنى تطوّر باتجاه العموم في الدّلالة، فقد اقترن تعريفها سابقاً بالأجزاء الصّلبة ثمّ تطوّر ليشمل

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد

خليل عيتاني، دار المعرفة، ط ٣، بيروت، ٢٠٠٢م، (شد)، ص ٢٥٩.

(٢) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ١٦٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٨.

غير الصلبة أو المتماسكة، على سبيل الاستعارة بشرط أن يكون المقدار في الشدة متساوياً على اختلاف مصدره وأدواته، والعذاب الشديد الواقع على مستحقه "مشدود إليهم لا ينفك عنهم أبداً"<sup>(١)</sup> وتعني الشدة "صعوبة الزمن...والشدة بالفتح: الحملة الواحدة. والشد: الحمل"<sup>(٢)</sup>.

والجامع المشترك بين المعاني السابقة هو القدرة على التحمل، فصعوبة الزمن تتمثل في الكبد الذي يواجهه الإنسان في مراحل حياته من نوائب الدهر، وتفيد الشدة الغلبة، وبما أن العذاب هو الذي وصف بالشدة فإن الغلبة له، بمعنى أن المعذب لن يستطيع احتماله وسيضعف أمامه مهما بلغ من القوة.

والشدة من الغلظ، نقيض التخفيف، لكن الشدة قد تكون في الدنيا والآخرة، أما الغلظ ففي الآخرة فقط، بدليل قوله تعالى ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فقد ورد العذاب الغليظ في أربعة مواضع في القرآن الكريم وجميعها في سياق الحديث عن عذاب الآخرة<sup>(٤)</sup>، أما الشدة فقد تكون في الدنيا، كما في قوله تعالى على لسان سليمان -عليه السلام- ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾<sup>(٥)</sup> "وكان تعذيبه الطير

(١) حماد، العذاب وصفاته صور من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص ٩٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) سورة لقمان، الآية ٢٤.

(٤) وردت لفظة العذاب الغليظ في القرآن الكريم في السور التالية: لقمان (٢٤)، هود (٥٨)،

إبراهيم (١٧)، فصلت (٥٠).

(٥) سورة النمل، الآية ٢١.

فيما ذكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها<sup>(١)</sup> أو في الآخرة كما في قوله تعالى ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالعذاب الموصوف بـ(شديد) يدل على ثقله وقسوته وكثافته، ويسير على وتيرة واحدة فلا ينقص، ويبقى بالقوة نفسها التي بدأ بها وينتهي إليها، والفرق بين العذاب الشديد والأليم هو التفاوت في الدرجة، ومن ثم فإن العذاب الموصوف بأليم يكون أقل إيلاماً من العذاب الشديد.

### المبحث الثاني: الدلالة الصرفية لصيغة فعيل في (أليم، وشديد)

يقوم هذا المبحث على دراسة الصيغة الصرفية (فعيل) للفظتي (أليم، وشديد) المقرونتين بالعذاب، وذلك من خلال تحليل بعض الآيات التي تضمنت هذه الألفاظ تحليلاً صرفياً، وتحديد الصفات المشبهة وصيغ المبالغة في كلٍ منها بناءً على المعنى المستوحى من سياق الآية المراد بيانها.

#### أولاً: الصيغة الصرفية للفظ (أليم)

إن لفظ (أليم) مشتقة من الجذر اللغوي الثلاثي (أَلِمَ) على وزن (فَعِل)، وهو فعل ثلاثي صحيح لازم، ومعروف أن وزن (فَعِل - فَعِيل) من أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل، وكما هو معلوم فإن الصفة المشبهة لا تصاغ إلا من الفعل اللازم، فإذا تمت الصياغة من الفعل الرباعي المزيد فإنه يصبح متعدياً يدل على معنى جديد. وأشبهت الصفة المشبهة اسم الفاعل من وجهين: الأول: أن كلا منهما يدل على الحدث ومن قام به، والثاني: أن كلا منهما يقبل التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: بشار عواد

معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٤م، ج ١٩، ص ٤٤٢.

(٢) سورة يونس، الآية ٧٠.

والجمع، ولما كانت الصفة المشبهة لا تدل على الحدوث الذي يدل عليه اسم الفاعل خالفته نوع مخالفة في أحد الوجهين<sup>(١)</sup>.

إنَّ الزيادة في المبنى يقتضيها زيادة في المعنى، وصيغة المبالغة تحمل دلالة الصفة المشبهة وزيادة عليها (إفادة التكثير)، فالصَّيغ الصَّرْفِيَّة في دلالاتها قابلة للتَّطوُّر الدَّلَالِي تبعاً للسياق الواردة فيه، لكنَّها لا تخرج عن الأصل الذي وُضعت له بل تزيد عليه في ذلك، وتسمَّى هذه الظاهرة بظاهرة (تبادل الصيغ الصرفية)، وُعرفت عند القدماء (بالعوض) وقد تحدَّث عنها ابن جني في كتابه الخصائص مفرقاً بين العوض والبدل بقوله: "جماع ما في هذا أن البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض منه، وإنَّما يقع البدل في موضع المبدل منه، والعوض لا يلزم فيه ذلك، ألا تراك تقول في الألف من قام إنَّها بدل من الواو التي هي عين الفعل، ولا تقول فيها إنها عوض منها... وتقول في العوض إنَّ التاء في عِدَّةٍ وَزِنَةٍ عَوْضٌ من فاء الفعل ولا تقول إنها بدل منها"<sup>(٢)</sup>، فكلمة (عِدَّة) و(زِنَة) على وزن عِلَة، هي من الفعل (وَعَد) و(وَزَن) على وزن فَعَل، حُذفت فاء الفعل وعَوَّض عنها بالتاء في آخر الكلمة.

وتدلَّ صيغة (فَعِيل) في (أَلِيم) على معنى القوَّة في أصلها، كما تدلَّ على الصَّفة أو التحوُّل في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، فألِيم صفةٌ ثابتةٌ للعذاب ومتجددةٌ في آنٍ معاً، وهي ملازمةٌ لمن يستحقها، ومتغيِّرةٌ في مقدار ألمها، أمَّا العذاب فمتغيِّر بطبيعته مع ملازمة الألم، فكلَّ عذاب أليم وليس كل أليم عذاباً كما اتَّضح فيما مضى. وتحمل صيغة فَعِيل الدَّلالات التالية:

(١) بهاء الدين عبدالله العقيلي بن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار

الطلانغ، د.ط، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص١١٦.

(٢) ابن جني، الخصائص، ج١، ص٢٦٥.



• **الصفة المشبهة باسم الفاعل:** ذهب ابن القيم إلى أنّ صيغة (فعل) تكون من بناء الأوصاف الثابتة اللازمة<sup>(١)</sup>، أي وصفاً في المعاني التي لا تزول نحو قصير وجميل، فتكون هذه الصفة سجيّة في صاحبها لا تتفصل عنه أو مكتسبة تصبح مع مرور الوقت كالسجية. واسم الفاعل هو "ما اشتق من فعل لما قام به على معنى الحدوث...أو وصف لم يعمل"<sup>(٢)</sup>، فإذا جاء بالمعنى الدائم يخرج إلى الصفة المشبهة الدالة على الثبوت.

ومن الآيات التي تضمّنت الصّفة المشبّهة باسم الفاعل قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفَوا وَسَتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> مبيناً جزاء المؤمنين والكافرين فيخبر الله تعالى عن جزاء أصحاب الفئة الأولى بأنّ لهم الجزاء الحسن على ما فعلوه وزيادة في الأجر فضلاً من الله، فلا يبخس أحداً قليلاً ولا كثيراً، والزيادة يحتمل أن يكون في أنّ الحسنه بعشر إلى سبعمئة<sup>(٤)</sup>، أمّا الفئة الثانية فلها العذاب الأليم جزاءً على ما فعلته من المعصية، وقد جاء جزاء المؤمنين على قدر أعمالهم وزيادة فيه؛ سعة من الله وكرم منه عز وجل؛ لذلك قال الله (ويزيدهم من فضله) أمّا المستكبرون وهم الفئة الضالة "فيعذبهم عذاباً مؤلماً كما يستحقون بحسب سنته تعالى أيضاً، ولكن لا يزيدهم على ما يستحقون

(١) ينظر: أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٤١٣.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧٣.

(٤) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٤٢٠.

شيئاً؛ لأنَّ الرَّحمة سبقت الغضب، فهو -تعالى- يجازي المحسن بالعدل والفضل، ويجازي المسيء بالعدل فقط<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت (عذاباً أليماً) بمعنى مؤلماً، صفة مشبَّهة من اسم الفاعل وليس على سبيل المبالغة، فالعذاب الذي سيناله مستحقوه سيكون بمقدار عملهم لا يتجاوزه، فكان التأكيد على أن العذاب من صفته الألم مهما صغر أو كبر.

وكانت الرَّحمة واسعةً مطلقةً، أمّا الغضب فمحدود بحدود الذَّنْب، ومما يدلّ على ذلك قول النبي -عليه السلام- "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"<sup>(٢)</sup>، وأظهرت المقابلة في الآية الكريمة المطابقة بين العمل والجزاء على النحو التالي:

| الكافرة                                         | المؤمنة              |         |
|-------------------------------------------------|----------------------|---------|
| استكفرت، واستكبرت                               | آمنت، وعملت الصالحات | *العمل  |
| عُذِّبَتْ عَذَاباً أَلِيماً، ولا تجد لها نصيراً | وفيت أجرها، وزيادة   | *الجزاء |

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ زيادة في العذاب على ما سبق ذكره لأنهم "لا يجدون أحداً من الخلق يتولاهم، فيحصل لهم المطلوب،

(١) محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٢، بيروت، د.ت، ج ٦، ص ٩٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، ٣١٩٤، ص ٥٠٠.

وَلَا مَنْ يَنْصُرُهُمْ، فَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْمَرْهُوبُ، بَلْ قَدْ تَخَلَّى عَنْهُمْ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَتَرَكَهُمْ فِي عَذَابِهِمْ خَالِدِينَ، وَمَا حَكَمَ بِهِ تَعَالَى، فَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَلَا مَغْيِرَ لِقَضَائِهِ"<sup>(١)</sup>.

• **أليم صيغة مبالغة:** تدلّ صيغة المبالغة على شدة الفعل وكثرته أو تكراره، قال سيبويه: "وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعل؛ لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة"<sup>(٢)</sup>، وهذا يدلّ على أنّ سيبويه قد لاحظ أنّ صيغة المبالغة قد تأتي بمعنى اسم الفاعل كما في قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ تكشف الآية الكريمة عن المنافقين ونفاقهم الناجم عن المرض المسيطر على قلوبهم، وأنّ هذا المرض سيزداد فلن يحصلوا على منافع شخصية أرادوا ابتغاءها، وسيرتدّ سوءهم ونواياهم على أنفسهم في الدنيا وليس هذا حسب، بل سيعذبون العذاب الأليم على ما فعلوه في الآخرة على وجه المبالغة وهم بذلك قد خسروا الدنيا والآخرة.

وقد جاء في البحر المحيط: "فعل من الألم بمعنى مُفْعِل كالمسمع بمعنى المسمع، أو للمبالغة وأصله أَلَمٌ"<sup>(٤)</sup>، فالخلاف كما هو جلي في أن أليم هل جاءت في

(١) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تفسير السعدي، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.ط، عمان، د.ت، ص ١٤٨.

(٢) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٠.

(٤) الأندلسي، البحر المحيط، ج ١، ص ١٨١.

هذا الموضع بمعنى المبالغة أم صفة مشبهة؟ وهل دلت هذه اللفظة على اسم الفاعل أم المفعول؟

لمعرفة ذلك لا بد من النظر إلى فعل التّكذيب في الآية الكريمة لقوله تعالى (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) ف(التكذيب) من المصدر كَذَبَ على وزن فَعَلَ ولها أربعة عشر معنى، ما يعيننا منها إفادة معنى الرّمي أي رميته بالكذب<sup>(١)</sup> على وجه التّكثير.

ومن خلال هذا الكلام وبناءً على التحليل السابق في هذا الموضع فإنّ (أليماً) تحمل الدّالّتين: الأولى أن الكذب صفة دائمة فيهم فاستحقوا العذاب عليها، وأنّ من صفة هذا العذاب أنّه أليم على وجه الثّبوت والكثرة، الثّبوت لثبات صفة التّكذيب فيهم، أمّا دلالة الكثرة فتتمثّل بزيادة المرض في قلوبهم، فالتكذيب ليس مجرد صفة فيهم بل تزداد مع الزمن بازدياد ضعفهم المرتبط بنفاقهم. فكان الكذب بدايةً صفتهم، ولأنّ مرضهم يزداد فإنّ تكذيبهم يزداد.

• **أليم بمعنى اسم المفعول:** فعيل بمعنى مفعول يدلّ على أنّ "الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح له سجية أو كالسجية أو ثابتاً أو كالثّابت"<sup>(٢)</sup>. قال ابن عاشور: "والأليم فعيل بمعنى مفعول لأن الأكثر في هذه الصيغة أن الرباعي بمعنى مفعّل وأصله عذاب مؤلّم بصيغة اسم المفعول أي مؤلّم من يعذب به على طريقة المجاز العقلي لأن المؤلّم هو المعذب دون العذاب كما قالوا جَدَّ جِدّه، أو هو فعيل بمعنى فاعل من أَلِمَ بمعنى صار ذا أَلَم"<sup>(٣)</sup>.

فيكون الألم صفةً للمعذب بمعنى اسم المفعول بعكس اسم الفاعل الذي هو صفةً للعذاب، على سبيل المجاز العقلي وعلاقته سببية، فلشدة تسبب العذاب في

(١) ينظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨١.

(٢) خديجة زبار الحمداني، أبحاث صرفية، دار صفاء، ط ١، عمان، ٢٠١٠م، ص ٩٧.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٨٢.

الألم وقوته جعل كأنه متألم لشدة إيلامه؛ لأن حقيقة اسم المفعول هو ما وقع عليه الفعل، أما إذا لم يقع عليه فالظاهر أن اسم المفعول فيه مجاز.

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُسْلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ذكرت الآية نوعاً من أنواع العذاب وهو الشراب الحميم والعذاب المؤلم به صاحبه، وفي ذلك ذكر للعام بعد الخاص على سبيل المبالغة "إن هذا الشراب وهذا العذاب الأليم هما من الجزاء، والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره، وكل مسخن عند العرب فهو حميم، وتغيير الأسلوب للمبالغة في استحقاقهم للعقاب"<sup>(٢)</sup>، فشراب الحميم من أشد أنواع العذاب الذي لا يمكن للجسم أن يتحملة، ولم تقتصر الآية على ذلك بل جاءت بإضافة (عذاب أليم) للتأكيد على أن هذا النوع من العذاب الذي يلزمه الألم، وإشارة إلى أن الألم سيكون مستمراً ومتزايداً. وعذاب أليم يبلغ أقصى درجاته عندما يعطشون فيشربون ماءً يغلي، يزيد عطشهم وألمهم، فالماء في وضعه الطبيعي يجلو العطش لكن الماء في الآية الكريمة يزيد الكافر عطشاً إلى عطشه ويزيده حرارة على حرارة العطش، فيكون العذاب مؤثراً تأثيراً نفسياً وجسدياً. وقوله (عذاب أليم) عطف على (شراب من حميم) بمعنى (عذاب من أليم)، فكان الشراب وقع عليه فعل الإحماء والعذاب وقع عليه فعل الإيلام، فكانا بمعنى اسم المفعول (محموم ومؤلم)، وجيء بذكر (من) صراحة في الشراب الحميم ولم يؤت بها في العذاب الأليم؛ لأن الشراب قد يكون محموماً وقد لا يكون، أما العذاب فلا بد أن يكون مؤلماً -كما قلنا سابقاً فكل عذاب أليم- ومتناسباً مع العمل الذي يستوجب مثل هذا العذاب.

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٠.

(٢) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٦، ص ١٥.

وفي قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ وبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(١)</sup>. فأذان تعني الإعلام، وتعدّ هذه الآية إخباراً بوجود الإعلام لما ثبت، فجعل الله تعالى العذاب الأليم بمنزلة البشارة للكافرين الذين من سجيّتهم التكذيب والعناد ومخالفة الحق، والبشارة تظهر على وجه صاحبها، وهذا يوحي بالمبالغة لأنها تؤثر بصاحبها فإذا كان الأثر حزناً تكون هذه الكلمة قد أطلقت على ما هو عكس السرور على سبيل التهكم. فأثر الخبر يظهر على وجه صاحبه، ويكون ظهوره على الوجه نتيجة المبالغة في حالة الشعور تبعاً للموقف الوارد فيه، وبما أن الآية جاءت في سياق العذاب فسيكون فيه مبالغة في الوجد والألم.

### ثانياً: الصيغة الصرفية للفظ (شديد):

تُؤخذ لفظ (شديد) من الجذر اللغوي شَدَّ على وزن (فَعَلَ)، وهو مشتق من الجذر الثلاثي (شدد) لفعلٍ صحيحٍ متعدٍّ، ومن المعلوم أنّ هذا الوزن هو أحد أوزان الصفة المشبهة وصيغة المبالغة، "ووصف شديد للعذاب، كأنه يُشَدُّ إليهم فلا يفلتون، فهو دائم الالتصاق بهم لا ينفك عن مستحقّيه أبداً"<sup>(٢)</sup>، كما في قوله تعالى ﴿فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> افتتحت الآية الكريمة بالفعل المؤكد باللام ونون التوكيد الثقيلة (فلنذيقن)؛ لتأكيد وقوع العذاب على الكافرين يوم بدر، وزيادة في التحذير والتخويف، يقول ابن عطية: "والعذاب الشديد:

(١) سورة التوبة، الآية ٣.

(٢) حماد، العذاب وصفاته صور من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص ٩٧.

(٣) سورة فصلت، الآية ٢٧.

هو عذاب الدنيا في بدر وغيرها. والجزاء بأسوأ أعمالهم: هو عذاب الآخرة<sup>(١)</sup>. إذ توعّد الله تعالى الذين كفروا بذوق العذاب جزاءً لهم على كفرهم، وفي هذا الفعل إشارة إلى أن أقل ما سيجزون به العذاب الشديد، يقول الرازي في تعليل السبب وراء اختيار الفعل (ذاق) دون غيره من الأفعال في هذه الآية: "لأنّ لَفَظَ الذُّوقِ إِنَّمَا يُذَكِّرُ فِي الْقَدْرِ الْقَلِيلِ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ لِأَجْلِ التَّجَرُّبَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ الذُّوقَ عَذَابُ الشَّدِيدِ، فَإِذَا كَانَ الْقَلِيلُ مِنْهُ عَذَابًا شَدِيدًا فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْكَثِيرِ مِنْهُ"<sup>(٢)</sup>، فشديد في هذه الآية صفة مشبهة باسم المفعول، وأقل ما يوصف به هذا العذاب أنه مشدود، فأصبح هذا العذاب كأنه سجيّة خاصة بالمعذّبين.

• **شديد صيغة مبالغة:** جاء وصف العذاب بشديد للدلالة على المبالغة في عدد من المواضع منها قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤﴾ أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون<sup>(٣)</sup> تتحدث الآية عن المنافقين الذين اتخذوا اليهود أولياء لهم، وقالوا لرسول الله "تشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدّقين به، ولا مؤمنين بها"<sup>(٤)</sup>، فهؤلاء ليسوا من أهل الإيمان لذلك أعد الله لهم عذاباً وجعل من صفاته الشدة فهو عذاب مشدود عليهم لا يفارقهم، واللافت في هذه الآية أن شديد جاءت بمعنى مشدود للدلالة على المبالغة، إلا أن الأصل في المبالغة لا يكون للشيء الواقع، كما يقول السامرائي "لا

(١) أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٥، ص ١٣.

(٢) أبو عبدالله محمد بن ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر العربي، د. ط، بيروت، ١٩٩٥م، مج ١٤، ج ٢٧، ص ١٢١.

(٣) سورة المجادلة، الآيتان ١٤، ١٥.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٧، ص ٢٤٨.

يطلق وصف فعيل إلا إذا اتصف به صاحبه فلا يقال أسير إلا إذا أسر ولا جريح إلا إذا جرح، في حين أنّ اسم المفعول قد يطلق على ما اتصف به صاحبه أو لم يتصف به بمعنى أنّه سيَتَّصف به، فقد تطلق كلمة مأسور على من لم يؤسر بمعنى أنّه سيؤسر..<sup>(١)</sup>، فقرب العذاب وجعل كأنه حاصل مع أنّ حصوله سيؤخر إلى يوم القيامة للدلالة على أن هذا العذاب واقع لا محالة بدليل قوله تعالى (أعدنا) الذي يفيد المستقبل لكن بصيغة الماضي لتقريب المشهد من الأذهان، واستشعار مدى خطورة هذا العذاب، وللدلالة على تحقيقه فكأنّه حدث وتم.

---

(١) فاضل صالح السامرائي، معاني الأنبياء في العربية، دار عمار، ط٢، عمان، ٢٠٠٧ م،



## المراجع

١. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط٧، ٢٠٠٩م، عالم الكتب- القاهرة.
٢. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٣، ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي- القاهرة.
٣. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، (عذب).
٤. بهاء الدين عبدالله العقيلي (ابن عقيل)، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، ٢٠٠٤م، دار الطلائع- القاهرة.
٥. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط١، ١٩٩١م، دار الجيل- بيروت.
٦. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبدال موجود وعلي محمد معوض، ط١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية- بيروت.
٧. خديجة زبار الحمداني، أبحاث صرفية، ط١، ٢٠١٠م، دار صفاء- عمان.
٨. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ):  
- أساس البلاغة، ط١، ١٩٩٦م، دار مكتبة لبنان ناشرون- بيروت.  
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي- بيروت.
٩. زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: محمد حمود، ط١، ١٩٩٥م، دار الفكر اللبناني.
١٠. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، (ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تفسير السعدي، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، د.ط، د.ت، بيت الأفكار الدولية- عمان.
١١. سليمان بن داود بن الجارود الطياليسي (ت ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود، ط١، ١٩٩٩م، دار المعرفة- بيروت، د.ط، د.ت.

١٢. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، د.ط، ١٩٩٢م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
١٣. أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٤. عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: حنا الفاخوري، ط ١، ١٩٨٨م، دار الجيل - بيروت.
١٥. أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، مكتبة فياض للنشر والتوزيع - المنصورة، د.ط، د.ت.
١٦. أبو عبدالله محمد بن ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، مفاتيح الغيب، د.ط، ١٩٩٥م، دار الفكر العربي - بيروت.
١٧. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق وتصحيح: عبدالسلام محمد علي شاهين، ط ١، ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٨. فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ط ٢، ٢٠٠٧م، دار عمار - عمان.
١٩. أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ١، ١٩٩٢م، دار صادر - بيروت.
٢٠. أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط ٣، ٢٠٠٢م، دار المعرفة - بيروت.
٢١. القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي (ت ٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، د.ط، ١٩٨٩م.
٢٢. محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، ط ١، ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة.

٢٣. محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (ت ١٣٥٤هـ)، ط ٢، د.ت، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
٢٤. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، ١٩٩٧م، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.
٢٥. أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، ط ١، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٦. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالكريم عزباوي، ط ٢، ١٩٨٧م، مطبعة حكومة الكويت.
٢٧. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش النحاس (ت ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن وبيانه، ط ٤، ١٤١٥هـ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص.
٢٨. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٩. أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ٢٠٠٢م، الفروق اللغوية، تحقيق: جمال عبدالغنى مدغمش، ط ١، ٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٣٠. يوسف حسن يوسف حماد، العذاب وصفاته صور من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف محمد حور، ٢٠٠٩م.

29. Abu Hilal AL-Hasan Bin Abdullah Bin Sahl ALaskari (T395H), AL-Furook AL-Lughawiyyah, Tahqeek: Jamal Abdulghani Madghamsh, T1, 2002, moassasat ARrisalah-Bayrut.
30. Yousef Hasan Hammad, AL-Athab Wa Sifatuh Suwar Min AL-Ijaz AL-Balaghy Fee AL-Quraan AL-Kareem, Risalat Majestair, Eshraf Mohamad Hawwar, 2009.

19. Abu AL-Fadil, Jamaal Addeen Mohammad Bin Ali Bin Manduor (T711H), Lisan AL-Arab, T1, 1992, Dar Sader -Bayrut.
20. Abu AL-Qasim AL-Husain Bin Mohamad AL-Asfahani (T502H), AL-Mufradat Fee Ghareeb AL-Quraan, Thqeek: Mohamad Khaleel Aytani, T3, 2002, Dar AL-Marifa -Bayrut.
21. AL-Qasim Bin Sallam Bin Abdullah AL-Harawi (T224H), Ghareeb AL-Hadeeth, Tahqeek: Hsain Mohamad Sharaf, AL-Hayaa AL-Aamma Lishuon AL-Matabie AL-Ameriyya -AL-Qahira, D.T, 1989.
22. Mohamad Bin Jareer Bin Yazeed Attabari (T310H), Jamee AL-bayan Fee Taweel AL-Quraan, Tahqeek: Bashshar Awwad Maroof Wa Iesam Faris AL-Haristane, T1, 1994, Moassasat Arrisalah.
23. Mohamad Rasheed Bin Ali Rida AL-Husayni, Tafseer AL-Quraan AL-Hakeem (T1354H), T2, D.T, Dar AL-Marifa Littibaa Wa Annasher-Bayrut.
24. Mohammad Attaher Bin Mohammad Attaher Bin Ashuor (T1393H), Attahreer Wa Attanweer, 1997, Dar Sahnoun Linnasher Wa Attawzee-Tunis.
25. Abu Mohamad Abdulhaq Bin Ateyyah AL-Andalusi (546H), AL-Muharrar AL-Wajeez Fee Tafseer AL-Kitab AL-Azeez, Tahqeek: Abdussalam Abdushshafee Mohamad, T1, 1993, Dar AL-Kutub AL-Ilmiyya – Bayrut.
26. Mohammad Murtada AL-Husayni Azzubaydi (T1205H), Taj AL-Aroos Min Jawahir AL-Qamoos, Tahqeek: Abd AL-Kareem Azbawi, T2, 1987, Matbat Hukoomat AL-Kuwayt.
27. Muhye Addeen Bin Ahmad Mustafa Darweesh Annahhas (T338H), Ierab AL-Quraan Wa Bayanuh, Dar AL-Irshad Lishshuwn AL-Jamiyya-Hims.
28. Abu Mansour Mohamad Bin Ahmad AL-Azhari (T370H), Tahtheeb AL-Lughaa, Tahqeek: Mohamad Awad Mureeb, Dar Ihyya Atturath AL-Arabi-Bayrut.

10. AL-Sadi, Abdulrahman Bin Nasir Bin Abdullah (T1376H), Tayseer AL-Kareem Fee Tafseer Kalam AL-Mannan: Tafseer AL-Sadi, Ietana Bihi: Abu Suhaib AL-karmi, D.T ,D.T, Bayt AL-Afkar AL-Dawliyya-Amman.
11. Solaiman Bin Dawood Bin AL-Jarod Attayalysi (T204H), Masnad Abe Dawood, T1, 1999, Dar AL-Marefa- Bayrut, D.T, D.T.
12. Abu AL-Tayyeb Mohammad Siddeek Khan Bin Ali AL-Qkwaje (t1307H), Fath AL-Bayan Fee Maqasid AL-Quraan, Uniya Bi Tabihe Wa Qaddama Laho WRajaho: Abdullah Bin Ibraheem AL-Ansarry, D.T, 1992, AL-Maktaba AL-Asryya Littibaa Wa Annasher ,Bayrut.
13. Abu Abdurrahman AL-Khaleel Bin Ahmad Bin Amr AL-Faraheedi (T175H), Mojam AL-Een, Tahqeeq: Mahdee AL-Makhzoomi, Ibraheem AL-Samerray, Dar Wa Maktabat AL-Hilal.
14. Abdullah Jamal Addeen Bin AL-Ansarry, SHarh Shshothor Athehab Fee Marifat Kalam AL-Arab, Tahqeeq: Hanna AL-Fakhori, T1, 1988, DarAL-Jeel-Bayrut.
15. Abu Abdullah Mohamad Bin Ismaiel AL-Bukharri (T604H), Saheeh AL-Bukharri, Tarqeeq: Mohamad Fuaad Abdulbaqi, Maktabat Fayyad Linnasher Wa Attawzee- AL-Mansoura,D.T, DT.
16. Abu Abdullah Mohamad Bin Diyaa Addeen, Omar Arrazi (T604H), Mafateeh AL-Ghayb, D.T, 1995, DarAL-Fikir AL-Arabi, Bayrut.
17. AlaAL-Deen Ali Bin Mohamad Bin Ibraheem AL-Bghdadi AL-Khazin (T741H), Lubab Attawiel Fee Maani Attanzeel, Tahqeeq Wa Tasheeh: Abdussalam Mohamad Ali Shaheen, T1, 1995, Dar AL-Kutub AL-Ilmiyya- Bayrut.
18. Fadeel Salih ASsamirraye, Maani AL-Abniya Fee AL-Arabiyya, T2, 2007, Dar Ammar – Amman .

## References

1. Ahmad Mokhtar Omar, Ilm AL -Dilala, T7,2009, Alam AL-Kutub, AL-Qahira.
2. Abu Bisher Amr Bin Othman Bin Qunbur Sebawaih (T180H), AL-Kitab, Tahqeeq: Abd AL-Salam Mohamed Haroon, T3, Maktabat AL-KHanji – ALQahira.
3. Abu Baker Mohamed Bin Duraid (T321), Jamharit AL-Lugha, Tahqeeq: Ramzi Muneer Balabiki, Dar AL-Ilm Lil malayeen, Bayrut – Lebnan.
4. Bahaa AL-Deen Abdullah AL-Okayli Bin Aqeel, Tahqeeq: Mohamed Mohie AL-Deen Abd AL-Hameed, D.T, 2004, Dar AL-Talaie – AL-Qahira.
5. Abu AL-Husain Ahmad Bin Faris Bin Zakariya (T395H), Maqayees AL-Lugha, Tahqeeq: Abd AL-Salam Mohamed Haroon, T1, 1991, Dar AL-Jeel – Bayrut.
6. Abu Hayyan Mohamed Bin Yousef AL-Andalusi (T745H), AL-Bahr AL-Muheet, Tahqeeq: Adil Ahmad Abd AL-Mawjood w Ali Mohamad Muawad, T1, 2010, Dar AL-Kutub AL-Ilmeyya- Bayrut.
7. Khadeja Zubar AL-Hamadani, Abhath Sarfiyya, T1, 2010, Dar Dar Safaa-Amman.
8. AL-Zamakhshari, Abu AL-Qasem Mahmood Bin Amr Bin Ahmad (T538H):
  - Asaas AL-Balaghaa, T1, 1996, Dar Maktabat Libnan Nasheroon -Bayrut.
  - AL-Kashshaf An Ghawamid Attanzeel, T3, 1987, Dar AL-Kitab AL-Arabi-Bayrut.
9. Zuhair Bin Abe Sulma, Diwan of Zuhair bin Abe Sulma, Tahqeeq: Mohammad Hamoud, T1, 1995, Madar AL-Fiker AL-Lobnani.





# الْقَوْلُ الْفَصْلُ فِي أَسْرَارِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبدالفتاح المجيري الملوّي

(ت ١١٨١هـ)

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور أحمد غالب الخريشة

أستاذ البلاغة والنقد

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمر ماجد السنوي

باحث في اللغة العربية وآدابها

## الملخص

يتضمن هذا البحث دراسة وتحقيقاً لمخطوطة شهاب الدين الملوّي (ت ١١٨١هـ) الموسومة بـ (القول الفصل في أسرار الفصل والوصل)، وهي منظومة بلاغية يعكس محتواها جانباً من جوانب تطور الفكر البلاغي العربي، وقد جاءت نسخها الأم في اثنتي عشرة صفحة ضمن مخطوطات مكتبة آيا صوفيا في تركيا. وانقسم عمل المحققين إلى قسمين، الأول: قسم الدراسة، وفيه مبحثان: تناول أولهما ترجمة المؤلف من حيث اسمه ونسبه، وحياته، وأساتذته، وتلامذته، ومكانته العلمية، ومؤلفاته، وعنايته بعلم البلاغة، وتضمن ثانيهما دراسة المخطوطة، ووصف نسخها الخطية، وتحقيق عنوانها ونسبها إلى صاحبها، وموضوعها، ومنهج مؤلفها، وأسلوبه، ومنهج التحقيق، أمّا القسم الثاني، فقد تضمن تحقيق نص المخطوطة. الكلمات الدالة: الفصل، الوصل، الملوّي، المخطوطة، التحقيق.

**Al-qawl Al-fassil Fe Asrar Al-fassil Wa Al-wassel  
(The Decisive Saying in the Secrets of Separation and  
Connection)**

**Written by**

**Shehab Addin Ahmed Bin Abdelfatah Al- Mujairi Al-  
mallawi**

**Study and Investigation**

**Abstract**

This article includes a critical edition of a manuscript by Shihāb al-Dīn al-Mallawī (d. 1181 a.h.) entitled "The Final Word on the Secrets of Connection and Disconnection," which consists of a versified treatise on rhetoric reflecting part of the development of thinking on rhetoric in Arabic. The manuscript is twelve pages long and is kept at Aya Sophia Library in Turkey. The authors' work on this article was divided into two parts:

- (1) Providing a biography of al-Mallawi: his name, ancestry, his life and teachers, his students, and his status in the scholarly world.
- (2) Studying the manuscript: title, attribution, subject matter, author's methodology, his style, and the editing procedure.

**Key words:** Connection, Disconnection.

## المُقَدِّمَةُ

مرّت البلاغة العربيّة بمسيرةٍ تاريخيّةٍ طويلةٍ بدأت بنشأتها، ثمّ نموّها وازدهارها، ووصولاً إلى جُمودها وتّعقيدها، ثمّ بعثها ونهضتها من جديد، وقد حظيت خلال هذه المسيرة باهتمام علماء البلاغة الذين صنّفوا فيها مصنّفاتٍ عديدةً تنوّعت مناهجها، واختلفت طرائق تأليفها، إذ اهتمّت المرحلة الأولى من التّأليف البلاغيّ بتدوين الملاحظات الجزئية المبنوثة في تضاعيف الكتب كما هو الحال عند الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، وجاءت المرحلة الثّانية التي عُنيّت بوضع المؤلّفات والمصنّفات البلاغيّة كما ظهر عند عبد الله بن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، وقدامة ابن جعفر (ت: ٣٣٧هـ)، وأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، ثم جاءت مرحلة النّضج والازدهار التي حمل رايّتها شيخُ البلاغيّين عبد القاهر الجرجانيّ (ت: ٤٧١هـ)، لنصل بعد ذلك إلى مرحلة التّعقيد والجمود على يد أبي يعقوب السّكاكيّ (ت: ٦٢٦هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" الذي مثّل نقطة تحوّل في تاريخ البلاغة العربيّة؛ لما تضمّنّه من اهتمامٍ بالمقاييس الفلسفيّة والقواعد المنطقيّة التي تركّز على التّعريفات والتّقسيمات، مع الإقلال من الشّواهد الأدبيّة؛ لهذا تقاطرت عليه الشّروح والتّلخيصات، وكان من أهمّها "تلخيص المفتاح" للخطيب القزوينيّ (ت: ٧٣٩هـ)، الذي حاز شهرةً كبيرةً، ونال من العناية والاهتمام ما لم ينلّه مفتاحُ السّكاكيّ نفسه، إذ ألّف البلاغيّون حوله شروحاً وحواشي كثيرةً، ولم تقف عنايتهم بتلخيص القزوينيّ عند شرحه ووضع الحواشي عليه، بل نجد من بينهم من نظّمه في منظومةٍ بلاغيّةٍ تبرز بين البناء الشّعريّ وقواعد البلاغة العربيّة، ومثال ذلك: السيّوطيّ (ت: ٩١١هـ) الذي وضع منظومةً في ألف بيت ضمّنها "تلخيص المفتاح" وسماها: "عقود الجُمان"، ثمّ رأى أنّها

تحتاجُ إلى شرحٍ وتعليقٍ فشرحها في كتابٍ سمَّاهُ "شرح عقود الجُمَان في المعاني والبيان"، ومثله كثيرٌ من البلاغيين، فهذا شهاب الدِّين المَلَوِّي (ت: ١١٨١هـ) يضعُ منظومةً أَلْفِيَّةً -أيضاً- ينظُمُ فيها كتاب "تلخيص المفتاح" للقرطبي بصورته الكاملة، وكان قد اختار قبلها باب "الفصل والوصل" من الكتاب ذاته، ونظمه في أرجوزة تكوّنت من مئةٍ وتسعةٍ وخمسين بيتاً -ما زالت مخطوطةً- سمَّاهَا: "القول الفصل في أسرار الفصل والوصل"، جاءت نسخُها الأُمُّ في اثنتي عشرة صفحةً ضمن مخطوطات مكتبة آيا صوفيا في تركيا، وقد رغب الباحثان في تحقيقها ونشرها لأسبابٍ عدَّة:

أولها: قلّة الدّراسات التي تناولت المنظومات البلاغية<sup>(١)</sup>، ولعلّ ذلك يعود إلى أنّها في نظر كثيرٍ من الدّارسين تمثّل عصورَ جمودِ البلاغة وجفافها وانحطاطها، وهذا حكمٌ غيرُ دقيقٍ؛ لأنّ هذه المنظومات البلاغية لها قيمةٌ تاريخيةٌ، فضلاً عن قيمتها التعليمية، إذ إنّها تُعين الطُّلاب على حفظ مصطلحات البلاغة وفهمها؛ نظراً لعنايتها بالشواهد البلاغية والإكثار منها، كما هو الحال في منظومة "التّرصيع في صناعة البديع" لبرهان الدِّين الجَعْبَرِي (ت: ٧٣٢هـ).

وثانيها: أنّ هذا الاتجاه من التّأليف البلاغيّ بدأ في القرن السّادس الهجريّ، وامتدّ إلى القرن الرّابع عشر الهجريّ، وهذه فترةٌ زمنيّةٌ طويلةٌ تضمّنت منظوماتٍ

(١) نذكر من هذه الدّراسات: دراسة الدكتور أسامة البحيري: المنظومات البلاغية في التّراث العربيّ، جامعة طنطا، ٢٠٠٤م، ودراسة مراد مزعاش: المنظومات البلاغية وسؤال القراءة، مجلة المدوّنة، جامعة البليدة، الجزائر، ٢٠١٤، ع ١، ودراسة سليمان العميرات: منظومة ابن الشّحنة في علوم البلاغة العربيّة (عرض وتحليل ونقد)، مجلة أنساق، دار نشر جامعة قطر، ٢٠١٩م، مج ٣، ع ٢-١.

بلاغية كثيرة تستحق تسليط الضوء عليها ودراسة ما جاء في متونها من قضايا البلاغة ومسائله.

وثالثها: أنَّ هذه المنظومات -بِغَضِّ النَّظَرِ عن قيمتها الفنية والعلمية- جديرة بإعادة النَّظَرِ فيها؛ لأنها تكشف عن مرحلة من مراحل تطوُّر الفكر البلاغي العربي، وتمثِّل اتجاهاً من اتجاهات التصنيف البلاغي الذي ظهر لغاية تعليمية في المقام الأول، بحيث يُوضَع المضمون العلمي في شكل شعري مُحَبَّبٍ للنَّفس، يسهل عليها حفظه.

وقد جاء هذا البحث في قسمين، الأول: قسم الدِّراسة، وفيه مبحثان: تناول أولهما ترجمة المؤلف من حيث اسمه ونسبه، وحياته، وأساتذته، وتلامذته، ومكانته العلمية، ومؤلفاته، وعنايته بعلم البلاغة، وتضمَّن ثانيهما دراسة المخطوطة، ووَصَفَ نُسخها الخطية، وتحقيقَ عناونها ونسبتها إلى صاحبها، وموضوعها، ومنهج مؤلفها، وأسلوبه، ومنهج التحقيق، ونماذج النسخ المعتمدة. أمَّا القسم الثاني، فقد تضمَّن تحقيق نصِّ المخطوطة.

آملين أن نكون قد أسهمنا -مع غيرنا من الدَّارسين- في كشف النقاب عن جزء من تراثنا البلاغي العربي، ولفت انتباه الباحثين إلى ضرورة العودة إلى هذه المنظومات البلاغية، ودراستها دراسةً علمية جادة؛ لتأخذ مكانتها الحقيقية في التراث البلاغي العربي.

ونتوجَّه بخالص الشُّكر لِمَن مدَّ لنا يدَ العون في تحصيل المخطوطات، وتقديم الملحوظات؛ فلولاهم ما كان لهذا البحث أن يتم.

## القسم الأول: قسم الدراسة المبحث الأول: ترجمة المؤلف

### المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن عبدالفتاح بن يوسف بن عمر المجيري، الشافعي، الأزهري، القاهري، الشهير بالملوي<sup>(١)</sup>، وأمّه الشريفة: آمنة بنت عامر بن حسن، من نسل الشيخ علي المغراوي الحسني بالملوي<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: حياته

وُلِدَ الملوي فجرَ يوم الخميس، الثاني من شهر رمضان المبارك سنة (١٠٨٨هـ)<sup>(٣)</sup>، واعتنى بطلب العلم في سن مبكرة، ودخل الأزهر، وأخذ عن جملة من الشيوخ الأكابر من الشافعية والمالكية والأحناف<sup>(٤)</sup>، ورحل بعد ذلك إلى الحرمين الشريفين سنة (١١٢٢هـ)، وسمع على عددٍ من الشيوخ هناك وأجازوه، ثم عاد إلى

(١) انظر مصادر ترجمته:

محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار ابن حزم، ط٣، لبنان، ١٩٨٨م، (١١٧/١)، وعبدالله بن حجازي الشرقاوي: الثحفة البهية في طبقات الشافعية، مخطوط برقم (١١٥)، مكتبة الدولة، برلين، (اللوحتان: ٢٥٢-٢٥٣)، وعبدالرحمن بن حسن الجبزي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م، (٣٣٥/١)، وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين في أسماء الكتب والمؤلفين، وكالة المعارف، إستانبول، ١٩٥١م، (١٧٨/١)، وعبدالحق الكتاني: فهرس الفهارس، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٢م، (٥٥٩/٢)، وخير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م، (١٥٢/١)، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ١٩٥٧م، (٢٧٨/١).

(٢) انظر: الجبزي: عجائب الآثار، (٣٣٥/١). والشرقاوي: الثحفة البهية، (اللوحة: ٢٥٢).

(٣) انظر: الجبزي: عجائب الآثار، (٣٣٥/١). ونذكر أنّ هذا ما أخبر به الملوي عن نفسه.

(٤) انظر: المرادي: سلك الدرر، (١١٧/١). والجبزي: عجائب الآثار، (٣٣٥/١). والشرقاوي: الثحفة البهية، (اللوحة: ٢٥٢).

مصر<sup>(١)</sup>، واشتهر صيته، وعلا ذكره<sup>(٢)</sup>، وتخرَّج به تلاميذ صاروا بعدُ من جُملة العلماء المُشار إليهم بالبنان.

وكان قد أصابه مَرَضٌ ألزمه الفراش سنواتٍ طويلاً، فانقطع لذلك في منزله، ورغم ذلك كان يُقرأ عليه في كلِّ يومٍ في أوقاتٍ مختلفة أنواع العلوم، وتردُّ عليه النَّاسُ من الآفاق يقرؤون عليه، ويستجيزونه، فيجيزهم، ويُملي عليهم، ويفيدهم، ومنهم من يأتيه للزيارة، والتَّبرُّك، وطلب الدَّعاء<sup>(٣)</sup>.

وبقي المَلُوي في مرضه نحو الثلاثين سنةً ملازماً بيته، حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول من سنة (١١٨١هـ)، عن عمرٍ ناهز الثلاثة والتسعين عاماً، ودُفِن في المشهد الحُسَيْنِيَّ في مَوْضِعٍ أُعِدَّ له<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثالث: أساتذته

تتلمذ المَلُوي لعددٍ من العلماء، بلغوا نحو الثلاثين شيخاً، من أُبْرَزهم:

١. الشَّيخ عبدالله بن محمَّد القَصْرِيَّ الكِنْدِسِيَّ<sup>(٥)</sup>.

٢. الشَّيخ محمد بن عبد الباقي الزَّرْقَانِيَّ (ت: ١١٢٢هـ)<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الجبرتي: عجائب الآثار، (٣٣٥/١). والشرقاوي: النُّحفة البهيَّة، (اللوحة: ٢٥٣).

(٢) انظر: المرادي: سلك الدُّرر، (١١٧/١).

(٣) انظر: الجبرتي: عجائب الآثار، (٣٣٥/١). والشرقاوي: النُّحفة البهيَّة، (اللوحة: ٢٥٣).

(٤) انظر: الشرقاوي: التحفة البهيَّة، (اللوحة: ٢٥٣).

(٥) هكذا ضبط المَلُوي اسمَ شيخه، كما هو بخطه في إجازته لتلميذه علي البيروتي، المحفوظة في مكتبة جامعة لايبزيك الألمانية، برقم (06 - 729 Vollers). والكِنْدِسِيَّ هذا لم نَقف على ترجمة له، ولم نجد من نصَّ على سنة مولده أو وفاته.

(٦) انظر في ترجمته: الجبرتي: عجائب الآثار، (١٢٢/١).

٣. الشَّيخ شهاب الدين أحمد النَّقراوي (ت: ١١٢٦هـ) <sup>(١)</sup>.
٤. الشَّيخ محمد بن أحمد بن العجمي الوفاي (ت: ١١٣٠هـ) <sup>(٢)</sup>.
٥. الشَّيخ إلياس بن إبراهيم الكوراني (ت: ١١٣٨هـ) <sup>(٣)</sup>.

### المطلب الرابع: تلامذته

تتلمذَ لِلْمَلُوي خلقٌ كثيرٌ مِنْهُمْ:

١. الشَّيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي الكبير (ت: ١١٨٧هـ)، والد المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي <sup>(٤)</sup>.
٢. العلامة مرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، صاحب "تاج العروس" <sup>(٥)</sup>، وهو والجبرتي الكبير من أعلام النهضة العربيَّة الإسلاميَّة في القرن الثَّاني عشر الهجري <sup>(٦)</sup>.
٣. الشَّيخ أبو العرفان محمَّد بن علي الصَّبان (ت: ١٢٠٦هـ)، له شرحٌ على بعض كتبه <sup>(٧)</sup>.
٤. الشَّيخ علي بن عبدالله الطَّحان (ت: ١٢٠٧هـ)، له شرحٌ على بعض كتبه <sup>(٨)</sup>.
٥. الإمام أحمد بن موسى العروسي (ت: ١٢٠٨هـ)، شيخ الجامع الأزهر، له

(١) انظر في ترجمته: المرادي: سلك الدُّرر، (١/١٤٨).

(٢) انظر في ترجمته: الجبرتي: عجائب الآثار، (١/٩٨).

(٣) انظر في ترجمته: المرادي: سلك الدُّرر، (١/٢٧٢).

(٤) وقد أطل في ترجمة أبيه في تاريخه: عجائب الآثار، (١/٣٨٥).

(٥) ترجمَ لنفسه في إجازته للسويدي المطبوعة مع كتابه: المعجم المختص، تحقيق نظام يعقوبي ومحمَّد العجمي، دار البشائر الإسلاميَّة، ط١، بيروت، ٢٠٠٦م، (ص ٧٨٩-٨١٠). كما ترجمَ له المحققان في صدر الكتاب ترجمةً حافلة.

(٦) انظر حول هذا الموضوع المهم: محمود محمَّد شاكر: رسالة في الطَّريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٧م، (ص ٨٠ وما بعدها).

(٧) انظر في ترجمته: الجبرتي: عجائب الآثار، (٢/٩٦).

(٨) انظر في ترجمته: المرجع السابق، (٢/١٠٨).



شرح على بعض كتبه<sup>(١)</sup>.

٦. الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّنْبَاوِيُّ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ (ت: ١٢٣٢هـ)، له شرح على بعض كتبه<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الخامس: مكانته العلميّة:

تَبَوُّأَ الْمَلَوِيِّ مَكَانَةً عَالِيَةً فِي زَمَانِهِ، وَذَاعَ صِيَّتُهُ فِي الْبُلْدَانِ، وَلُقِّبَ بِشَيْخِ الشَّيُوخِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ طَالَعَ تَرْجُمَتَهُ، أَوْ قَرَأَ فِي كَلَامِ تَلَامِذَتِهِ، وَمَعَاصِرِيهِ؛ فَقَدْ قَالَ عَنْهُ الْمُرَادِيُّ (ت: ١٢٠٦هـ): "الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْمُعَمَّرُ، مُسْنَدُ الْوَقْتِ، شَيْخُ الشَّيُوخِ، وَأُسْتَاذُ أَهْلِ الرَّسُوخِ، النَّحْرِيرُ الْمُفَنِّينَ الْأَوْحَدُ، صَاحِبُ التَّأْلِيفِ النَّافِعَةِ"<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ عَنْهُ الشَّرْقَاوِيُّ (ت: ١٢٢٧هـ): "هُوَ إِمَامُ وَقْتِهِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي حَلِّ الْمَشْكَلاتِ، الْمَعْوَلُ عَلَيْهِ فِي الْمَعْقُولَاتِ، وَالْمَنْقُولَاتِ"<sup>(٤)</sup>، كَمَا قَالَ عَنْهُ الْجَبَرْتِيُّ (ت: ١٢٤٠هـ): "الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْمُتَّقِنُ الْمُعَمَّرُ، مُسْنَدُ الْوَقْتِ، وَشَيْخُ الشَّيُوخِ... إِمَامُ وَقْتِهِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي حَلِّ الْمَشْكَلاتِ،... قَرَأَ الْمَنْهَجَ مَرَارًا، وَكَذَا غَالِبَ الْكُتُبِ، وَانْتَقَعَ بِهِ النَّاسُ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَكَانَ تَحْرِيرُهُ أَقْوَى مِنْ تَقْرِيرِهِ"<sup>(٥)</sup>، أَيْ أَنَّ تَصْنِيفَهُ أَقْوَى مِنْ شَرْحِهِ وَمُنَاطَرَتِهِ.

### المطلب السادس: مؤلفاته:

لِلْمَلَوِيِّ مَوْلاَفَاتٌ، وَرَسَائِلُ تَرَبُّو عَلَى السَّنَيْنِ، مِنْهَا الْمَطْبُوعُ، وَمِنْهَا الْمَخْطُوطُ، الَّذِي لَمْ يَرَ النُّورَ بَعْدَ، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ آثَارُهُ بَيْنَ الْمَنْثُورِ، وَالْمَنْظُومِ، وَشَمِلَتْ عِدَّةَ عُلُومٍ، كَالْعَرَبِيَّةِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْعَقِيدَةِ، وَالْفِقْهِ، وَالنَّصُوفِ، وَغَيْرِهَا؛ قَالَ عَنْهَا الْجَبَرْتِيُّ: "مَوْلاَفَاتُهُ

(١) انظر في ترجمته: الْجَبَرْتِيُّ: عجائب الآثار، (٢/٢١٤).

(٢) انظر في ترجمته: السَّابِقُ، (٣/٤٠٢).

(٣) انظر: الْمُرَادِيُّ: سلك الدرر، (١/١١٧).

(٤) التحفة البهية، (اللوحة: ٢٥٣).

(٥) عجائب الآثار، (١/٣٣٥).

مشهورة مقبولة متداولة بأيدي الطلبة ويُدرّسها الأشياخ<sup>(١)</sup>، وأكّد هذا الشّرّقاويّ بقوله: "مؤلفاته متداولة بأيدي الطلبة وقرئت في حياته"<sup>(٢)</sup>، ونذكرُ منها -هنا- ما يتعلق باللغة العربية وآدابها:

١. الأنوار البهية في ترتيب الرّضي على الألفيّة (في النّحو)<sup>(٣)</sup>.
٢. حاشية على شرح المكوديّ على ألفيّة ابن مالك (في النّحو)<sup>(٤)</sup>.
٣. ديوان الخطب الجمعيّة<sup>(٥)</sup>.
٤. رسالة المجاز، وأقسامه<sup>(٦)</sup>.
٥. شرح الآجرومية (في النّحو)<sup>(٧)</sup>.
٦. شرح أم القرى في مدح خير الورى (وهو شرح البُرّة الهمزيّة للبوصيريّ)<sup>(٨)</sup>.
٧. شرح ديباجة الإيضاح (شَرَحَ فيه مقدّمة كتاب "الإيضاح في البلاغة" للخطيب القزويني)<sup>(٩)</sup>.
٨. شرح المقدّمة المسماة "لباب الإعراب" للشيخ عبدالوهاب الشّعراييّ (في

---

(١) عجائب الآثار، (١/٣٣٥).

(٢) التحفة البهية، (اللوحة: ٢٥٣).

(٣) منه نسخة في دار الكتب المصريّة، مرقم ب-(٥٣٤ نحو تيمور)، وحَقَّقَ قسَمٌ منه في رسالة ماجستير في كلية الدراسات الإسلاميّة والعربيّة للبنين في دسوق، التّابعة لجامعة الأزهر، (١٤٣٩هـ).

(٤) طُبعت عدّة طبعات، أولها في القاهرة طباعة حجرية سنة (١٢٧٩هـ).

(٥) طُبِعَ قديماً في مصر بمطبعة شاهين سنة (١٢٨٢هـ).

(٦) لها نسخة في الأحمدية بتونس مرقمة ب-(٤٤٣٦).

(٧) انظر: البغداديّ: هديّة العارفين، (١/١٧٨).

(٨) منه نسخة في الأزهرية تحت رقم (٣٨٧٦ عروسي - ٤٢٦٧٥).

(٩) مخطوط في المكتبة الظاهرية في دمشق، برقم (١٠٢٨٣).

النَّحْوُ<sup>(١)</sup>.

٩. شرح نظم التَّلْخِص، وهو كتابٌ كبيرٌ شَرَحَ فيه أَلْفِيَّتَه المذكورة آنفاً<sup>(٢)</sup>.
١٠. شرح نظم الرِّسالة السَّمرقنديَّة<sup>(٣)</sup>.
١١. عقد الدُّرر البهية في شرح الرِّسالة السَّمرقنديَّة، (وهو المعروف بالشرح الكبير، أو المطوَّل في الاستعارات)<sup>(٤)</sup>.
١٢. عقود الدُّرر على شرح ديباجة المُختصر (وهو شَرْحُ مَقْدِمة "الشرح المُختصر" للسَّعد التَّفَازانيّ في علم البلاغة الذي شرح فيه كتاب "التَّلْخِص" للخطيب القزويني)<sup>(٥)</sup>.
١٣. القول الفصل في أسرار الفصل والوصل (وهي هذه المنظومة التي بين أيدينا).

١٤. القول الوجيه في المنسوب ذي التَّشبيه (في النَّحْو)<sup>(٦)</sup>.
١٥. مُختصر عقد الدُّرر البهية في شرح الرِّسالة السَّمرقنديَّة، (وهو شرحه الصَّغير على الرِّسالة السَّمرقنديَّة)<sup>(٧)</sup>. ويسميه بعضهم: (اختصار لطائف

---

(١) مخطوط في دار الكتب المصريَّة، برقم (١١٣٥).

(٢) سيأتي الكلام عنه، وعن النِّظم في المبحث الثَّاني/ المطلب الأوَّل.

(٣) النِّظم والشرح مطبوعان قديماً، بحسب ما ذُكر في هامش (١٤٧/٨) من فهرس المخطوطات

العربيَّة، والتركيَّة، والفارسيَّة في مكتبة راغب باشا، لمحمود الدغيم.

(٤) طُبِعَ بتحقيق عدنان عمر الخطيب، دار النقوى، دمشق (٢٠٠٦م). ولتلميذ المُلَوِّي الأمير الكبير حاشيةٌ عليه طُبِعَت في مصر (١٣٠٨هـ)، وكذا تلميذه أحمد العروسيّ له حاشية عليه، ولتلميذه عليّ الطَّحان حاشية عليه أيضاً، كما كَتَبَ عليه الشَّيخ مُحَمَّدُ الخُضريّ (ت: ١٢٨٩هـ) حاشيةً، طُبِعَت في بولاق سنة (١٢٨٧هـ).

(٥) مطبوع طبعة حجرية ضمن مجموعة، في القاهرة، سنة (١٢٩٧هـ).

(٦) منه نسخة في الأُزهريَّة تحت رقم (٧٦١٠ نحو - ١٠٨٤١٨).

(٧) طُبِعَ قديماً، بالمطبعة الأُزهريَّة، بمصر، سنة (١٢٩٩هـ)، وحديثاً بتحقيق عدنان عمر الخطيب، الخطيب، دار العصماء، دمشق، (٢٠٠٥م).

الطرائف، وعوارف المعارف، بنفائس العبارات، ودقائق الاعتبار)،  
والحقيقة أنّ هذا وصفٌ، ذكره المؤلّف في مقدّمته، وليس اسماً للشرح.  
١٦. نظم التلخيص (وهي ألفيّة ضمّنها كتاب "التلخيص" في البلاغة للخطيب  
القزويني).

١٧. نظم الرسالة السمرقندية.

ونُسِبَ إليه تعريب الرسالة الفارسيّة في المجاز للملا عظام<sup>(١)</sup>. وهو وهمٌ على  
ما يبدو، فهذه الرسالة من تعريب أحمد المولوي الشهير بـ(منجم باشا)<sup>(٢)</sup>.

### المطلب السابع: عنايته بعلم البلاغة:

نلاحظ من خلال المؤلفات المذكورة أنّ الملوّي غنيّ بالبلاغة العربيّة عنايةً  
واضحّة، وتوسّع في شرح مسائلها، وخبرَ فنونها؛ فقد بلغ عدد مؤلفاته التي اتصلت  
بعلم البلاغة نحو عشرة مؤلفات، ما بين نظمٍ ونثرٍ، اختصاراً، أو شرحاً، أو تحشيةً.  
وليس غريباً عليه ذلك، فهو يرى أنّ علم البلاغة قد ارتفع شأنه، وعلا؛ لكونه  
يُتَوَصَّلُ به إلى معرفة أساليب القرآن؛ ووصفه بأنه: "به تُدرَك مشكلات كلام الله،  
وكلام نبيه، والفُصحاء، ويُذَلُّ صَعْب المعاني... وهو يَتَوَقَّف عليه كمال الإيمان، إذ  
يَتَوَقَّف عليه إدراك وجه إعجاز نظم القرآن"<sup>(٣)</sup>، ونقلَ عن بعض الأئمة الأعيان  
-بحسب وصفه- أنهم قالوا: "يجب تعلُّمه على سبيل فرض الكفاية"<sup>(٤)</sup>.

بل إنّ المؤلّف يَعتقد أنّ مَنْ عَرَفَ عِلْمَ البلاغة وتمكّن منه، فقد مَلَكَ أَرْمَة  
العلوم، ويقول: "لئن كان المنطقُ ميزانَ العلوم، فهذا معيارُ لطائف الإشارات والفهوم؛

(١) انظر: الجبرتي: عجائب الآثار، (١/٣٣٥).

(٢) له عدّة نسخٍ خطيّة، منها نسخة في جامعة الرياض مُرقّمة بـ(١٤١٤-فك).

(٣) شهاب الدين أحمد عبدالفتاح الملوّي: شرح نظم التلخيص، مخطوط برقم (٤٠٦)، مجمع اللغة  
اللغة العربيّة، دمشق، (اللوحة: ١).

(٤) المصدر السابق، (اللوحة: ٢).

وَلَنْتُنْ كَانَ النَّحْوُ صِلَاحَ الْأَلْسِنَةِ، فَهَذَا صِلَاحُ الْأَبَابِ، وَمَوْقُظُهَا فِي الْأَسَالِيِبِ مِنْ السِّنَّةِ؛ عَلَا عَلَى عِلْمِ الْأُصُولِ بَكُونِهِ كَبِيرُ الْفَائِدَةِ لِمَنْ اعْتَنَى بِهِ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَعِلْمِ الْأُصُولِ لَا يَظْهَرُ بِهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ إِلَّا لِلْمَجْتَهِدِ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ الْمَلُوي يَرَى أَنَّ عِلْمَ الْبَلَاغَةِ قَدْ آلَتْ حَالُهُ إِلَى جِدَالٍ وَسَفْسَطَةٍ، دُونَ عَظِيمٍ أَثَرٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، ثُمَّ صَارَتْ أَحْوَالُهُ إِلَى التَّرْكِ وَالْإِهْمَالِ؛ فَقَالَ: "ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ كَانَ [عِلْمُ الْبَلَاغَةِ] زَمَنَ السَّعْدِ [التَّفْتَازَانِي] صَارَ جِدَالًا بَلَا أَثَرَ، فَهُوَ الْآنَ لَا تَجِدُ اثْنَيْنِ يَتَذَاكِرَانِ فِيهِ بِالْجِدَالِ، وَلَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْتَبَرِ، وَذَلِكَ لِمَا فَشِيَ مِنَ الْجَهْلِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ، وَأَذَنَ كُلِّ عِلْمٍ بِالرَّحِيلِ مِنْ كُلِّ وَادٍ، كَمَا أَنَّ التَّوْفِيقَ قَدْ عُدِمَ مِنْ طَلِبَةِ الْعِلْمِ، لِأَنْطِمَاسِ الْبَصَائِرِ، وَغَلْبَةِ حُبِّهِمُ الشَّهْرَةِ، وَالْمَحْمَدَةِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ، فَلَا تَجِدُ أَحَدًا يَهْتَدِي إِلَى شَيْخٍ مُحَقِّقٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْعِلْمِ، وَإِنْ اهْتَدَى عَلَيْهِ لَمْ يَلْتَقِ إِلَيْهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ"<sup>(٢)</sup>. وَمِمَّا سَبَقَ يَظْهَرُ أَنَّ اهْتِمَامَ الْمَلُوي بِهَذَا الْفَنِّ سَبَبُهُ: عُلُوُّ شَأْنِ هَذَا الْعِلْمِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَقَلَّةُ مَنْ يَشْتَغِلُ بِهِ فِي الْأَزْمَنَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ، وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالُ الْبَلَاغَةِ مِنْ جِدَلٍ وَخُرُوجٍ عَنِ الْمَقْصُودِ.

(١) الْمَلُوي: شرح نظم التَّلْخِيصِ، (اللوحة: ١).

(٢) السَّابِقِ، (اللوحة: ٢).

## المبحث الثاني: دراسة المنظومة

### المطلب الأول: وصف النسخ الخطية:

#### ١. النسخة الأم:

وهي من محفوظات مكتبة آيا صوفيا الملحقة بالمكتبة السلیمانیة بتركيا، المرقمة بـ(٧٦٦٢). وهي نسخة المؤلف، إذ تظهر عليها تعديلاته من حذف، وإضافة، وإعادة صياغة، وكتب على طرتها بعد العنوان: (للفقير إلى الله القوي: أحمد بن عبدالفتاح الشافعي المجيري الملوّي، أماته الله على صريح الإيمان، أمين)، وتتكون من اثنتي عشرة صفحة، وفي كل صفحة نحو ستة عشر سطرًا. وخطها نسخ معتاد، وقد اعتنى المؤلف بضبطها بالشكل في كثير من المواضع.

#### ٢. نسخة المكتبة الأزهرية:

وهي من محفوظات المكتبة الأزهرية في مصر، المرقمة بـ(٨٦٣/٤٢١١٦ مجاميع) ضمن مجموعة قصائد ومنظومات للملوّي، تبدأ هذه المنظومة من اللوحة الخامسة، وعدد صفحاتها تسع، وهي بخط نسخ معتاد، ويبدو أنها منقولة عن نسخة المؤلف، فقد اعتمدت فيها تصحيحاته، ولم تختلف عنها في شيء يُذكر، ولا يظهر عليها اسم الناسخ، وقد كُتب في طرتها بعد العنوان: (تأليف الشيخ الإمام العلامة البحر الفهامة الشيخ أحمد بن عبدالفتاح الشافعي المجيري الملوّي، نفعنا بعلمه في الدارين، وأعاد علينا من صالح دعواته، أمين، والحمد لله وحده)؛ فالظاهر أنها منسوخة في حياة المؤلف.

#### ٣. نُسخَتَا شرح نظم التلخيص:

حرصاً من المحققين على زيادة ضبط النص، والإفادة من شرح المؤلف على نظمه؛ اعتمدا على نُسخَتَيْن خطيّتين لـ"شرح نظم التلخيص" يسّر الله لنا الوقوف عليهما لاحقاً، وهذا الشرح ما زال في حيّز المخطوطات، ولم نعر على نسخة

مطبوعة منه، وهو شرحٌ على الألفية التي نَظَمَ المَلَوِيُّ -نفسه- فيها مسائلَ كتاب "التلخيص" في البلاغة للخطيب القزويني. وقد ضمَّنها باب (الفصل والوصل) الذي كان قد أفرده في المنظومة التي نحنُ بصدد تحقيقها.

وكلتا النُسخَتَيْنِ الخطيَّتينِ من محفوظات مجمع اللغة العربيَّة في دمشق:

أ. أولاهما مرقَّمة برقم (٤٠٦)، وتقع في ثلاثمئة لوحة، ولا يظهر عليها اسم النَّاسِخ، ولا تاريخ النَّسخ. ولكن وجدنا لها وصفاً في مجلَّة المجمع نفسه بقلم عبدالقادر المغربي، حيث قال: "إن ناسخ المخطوطة قد... أنقن بالحبر الأسود، والأحمر نَسَخها، وأنعم غَزَلها ونَسَجها، وجوَّد خطَّها، وأكثر من التَّصحيح والمقابلة حَظَّها... واسمه هو [أي النَّاسِخ]: أبو بكر بن الحاج مصطفى بن الحاج حسن الكرديَّ العمادي... وأَنَّهُ كَتَبَها سنة (١١٦٩هـ)... فتكون المخطوطة نُسخَتْ في حياة المؤلِّف"<sup>(١)</sup>؛ فيبدو من هذا الوصف أنَّ هناك ورقة كتَبَ عليها النَّاسِخ هذه التفاصيل، وكان الباحثُ قد اطَّلَعَ عليها، ولكنَّها لم تكن ضمن النِّسخة المصوَّرة التي أُتِيحت لنا. وهذه النِّسخة ستكون المُعتمَدة عند الإحالة على الشرح في حواشي التحقيق، وذلك بِذِكر رقم اللوحة، ورمز جهة الوجه بالرمز (و)، وجهة الظَّهر بالرمز (ظ).

ب. وأمَّا النسخة الثانية فهي المُرَقَّمة برقم (٥٧٦)، وتقع في مئتين وثمانٍ وتسعين لوحةً. بخطِ ناسخها: محمَّد بن السيد حسين، المؤرَّخة في سنة (١١٧٦هـ)، أي قبل وفاة المؤلِّف بخمس سنين.

(١) انظر: مجلة مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، (١٧/٢٦٣-٢٦٤).

### المطلب الثاني: تحقيق عنوان المنظومة ونسبتها إلى صاحبها:

صرّح المؤلف في نُسخته بالعنوان الذي عنون به منظومته، وأثبتته على طرّتها، وهو: (الْقَوْلُ الْفَصْلُ فِي أَسْرَارِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ)، ولم نقف على مَنْ ذكره في ترجمته، ولكن نسبة هذه المنظومة إليه قطعية الثبوت؛ لأنّ إحدى النسخ التي بين أيدينا هي بخطّه، وعليها تعديلاته، وقد أشار إليها في "نظم التلخيص" بقوله:

هذا ولمّا أنْ نَظُمْتُ باباً (فصلٍ ووصلٍ) شافياً ألباباً  
أعطيتُهِ الشيخَ فإيَّايَ أَمَرُ أنْ أنظِمَ الأبوابَ كُلاً كالدُّرَرِ<sup>(١)</sup>

وهذا يؤكّد للقارئ أنّ المؤلف أطلع شيخه الكينسيّ على منظومته هذه التي نظم فيها باب (الفصل والوصل) من كتاب "التلخيص"، فحتّه على أن ينظم أبواب هذا الكتاب كلّها.

### المطلب الثالث: موضوع المنظومة

تناولت هذه المنظومة مبحث (الفصل والوصل) أحد مباحث علم المعاني، وبحسب ما اطلعنا عليه لم نجد مَنْ سبقه إلى تأليفٍ مستقلٍّ في هذا الموضوع، على الرّغم من أنّه قال: "لم أجِدْ أحداً نظّمه نظماً يبلّغ المقصود"<sup>(٢)</sup>، فكانه يشير إلى معرفته بوجود منظومات، أو منشورات خاصّة بهذا الموضوع، لكنها لم تبلّغ المقصود؛ فلعلّها مما لم يبلّغنا خبره.

وعن موضوع الفصل والوصل قال الملوّي في شرحه على منظومته: "هو مَطْمَحُ أَنْظَارِ الْأَفَاضِلِ، وفيه تتباين الرُّتَبُ، ويُسَبَّرُ غَوْرُ الْعَقْلِ، وفيه يقع النِّقَاضُ، ويظهر النِّقَاضُ، حتّى حَكَمَ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ -شيخ الإمام ابن جنّي- بأنّ البلاغة محصورة في معرفته، وقال بعضهم: هو بابٌ تُشْكَبُ فِيهِ الْعِبَرَاتُ. وبالجملّة فأصعب العلوم الثلاثة: علم المعاني، وأصعبه: باب الفصل والوصل، وأصعبه:

(١) الملوّي، شرح نظم التلخيص، (اللوحة: ٦ ظ) و(اللوحة: ٧ و).

(٢) المصدر السابق، (اللوحة: ٧ و).



مسائل الجامع، وأصعبها: الجامع الخيالي. قال صاحب المفتاح: "وما قصر بعضهم البلاغة على الفصل والوصل لأنَّ الأمر كذلك، وإنَّما حاول بذلك التَّنبيه على مزيد غموض هذا الفنَّ، وأنَّ أحداً لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة إلا كان خَلَفَ عَقَبَاتِهَا خَلْفَهُ"<sup>(١)</sup>، فالمَلُوي يُفصح هنا عن أهمية موضوعه، وسبب إفراده إياه بمنظومةٍ مستقلةٍ.

#### المطلب الرابع: منهج المؤلف

انتهج المَلُوي في هذا التأليف سبيلَ النظم، والمُرَاد به: تأليف الكلمات على ميزانٍ معلوم، مرتبةً المعاني، متناسقةً الدلالات"<sup>(٢)</sup>، وقد جعلها على بحر الرجز المزدوج، حيث تختلف القوافي من بيت إلى آخر، بينما تتفق القافية في شطري البيت الواحد، "وقد يدخل في الرجز شيءٌ من السريع"، فهو يرى أنَّ ذلك جائز؛ لأنَّه "قد جاء في نظم العرب - وإن كان قليلاً - مزدوج الرجز مع مزدوج السريع"<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن نظمُه هذا مبنياً على مادَّة مؤلَّفة من عنده، وإنَّما بناه على ما ألَّفَه الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) في كتابه "التلخيص"، الذي لَخَّص فيه القسم الثالث من كتاب "المفتاح"، للسكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، وهو القسم الخاص بعلم البلاغة؛ فقام المَلُوي بنظم باب (الفصل والوصل) منه، والتزم فيه تقسيماته، وتعريفاته، وأمثلته، وترتيبه، وكان في غاية الأمانة العلميَّة في نقل ألفاظ صاحب "التلخيص"، فإذا خالفه في شيءٍ نبَّه إليه.

وقد صرَّح المَلُوي<sup>(٤)</sup> أنَّ منظومته "القول الفصل في أسرار الفصل والوصل" سَبَقَتْ منظومته الألفية التي نظمَ فيها كتاب "التلخيص" كاملاً، ثم شرحها شرحاً وافياً. وقد راجعنا شرح الألفية، فرأينا المؤلف قد ضمَّنَه منظومة (الفصل والوصل) كاملةً عدا المقدِّمة، والخاتمة، التي شغلت منه نحو إحدى وثلاثين لوحةً، من ظهر اللوحة (١٩١) إلى وجه اللوحة (٢٢٣).

(١) المَلُوي، شرح نظم التلخيص، (اللوحة: ٧ و).

(٢) نفسه، (اللوحة: ٦ ظ).

(٣) نفسه، (اللوحة: ٧ ظ).

(٤) سبق ذكر تصريحه آنفاً في المطلب الثاني من هذا المبحث.

## المطلب الخامس: أسلوب المؤلّف

إنَّ أبرزَ هدفٍ يرومه أصحابُ المنظومات هو تقريب المادّة، وتسهيلها للطلاب من أجل الحفظ، والاستظهار، ولذلك نلمسُ في كثيرٍ من المنظومات انغلاق بعض المعاني، كما نلمس فيها كثرة الإشارات، والإحالات؛ لأنها ليست موضوعاً للبسّط والإيضاح، وقد وجدنا في هذه المنظومة من ذلك الكثير؛ ففي بعض المواضع تكون عبارة القزوينيّ صاحب "التلخيص" أوضح من عبارة المَلَوّي في نظمه، وأكثرَ منها بياناً، وأسرعَ منها إلى العقل وصولاً.

ولئن كان المؤلّف صرّح بأنّ منظومته الألفية "تضمّنّت مسائل التلخيص بالتصريح، لا بالإشارة والتلويح"<sup>(١)</sup>، فإنّه قد استعمل أسلوب الإشارة والتلويح في كثيرٍ من الأمثلة التي أوردها صاحب "التلخيص"، من ذلك -مثلاً- قوله:

كقوله: {قَالَ سَلَامٌ} أي: فما ذا قال؟ أو كـ (صَدَقُوا) مُنْتَظَمًا

وهو يشير بقوله (صَدَقُوا) إلى البيت الذي أورده صاحب "التلخيص":

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ (صَدَقُوا) وَلَكِنْ غَمَرْتِي لَا تَنْجَلِي

وهذا في غاية الإبهام، ومثله مواضع أخرى يلحظها القارئ في هذه المنظومة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه المنظومة قد تخللتها بعضُ عيوب القافية، وكان النّاظم على إدراك لهذا؛ فقال: "اعلم أنه يجوز للمولدين استعمال ثمانية أشياء من عيوب القافية: التّضمين، والإيطاء، وسناد الإشباع، وسناد التّأسيس، وسناد الحدو، وسناد الرّدف، وسناد التّوجيه، والإقعاد"<sup>(٢)</sup>.

ويُذكر أنّ الوقوع في الضّرورات الشعريّة قد وقع فيه المؤلّف، مثل: تخفيف المشدّد، وتسكين المتحرّك، وتحريك الساكن، وقصر الممدود، ووصل همزة القطع، لا على وجه الاطراد بل على وجه الاضطراب، حرصاً منه على الالتزام بالوزن أو القافية، وعدم مخالفتها.

(١) المَلَوّي: شرح نظم التلخيص، (اللوحة: ٧ ظ).

(٢) نفسه، (اللوحة: ٧ و).

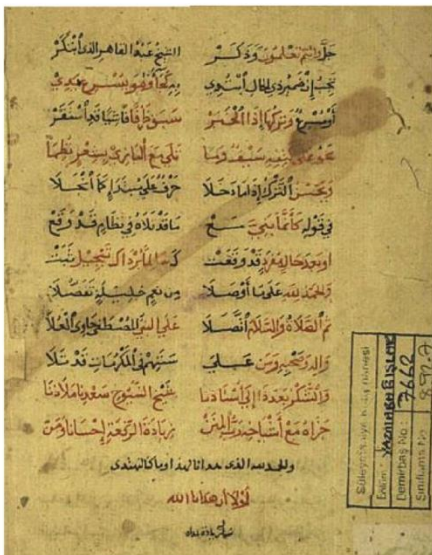
## المطلب السادس: منهج التَّحْقِيقِ:

إنَّ المنهج المتَّبَع في هذا البحث هو منهجُ تحقيق التراث وفق الأسس العلميَّة التي قرَّرها رَوَّادُ هذه الصَّنعة، إذ تتلخَّص أسس هذا المنهج في أن يقوم المحقِّق بجمع النسخ المتَّاحة، ويباشر قراءتها، وكتابتها بنفسه، ليعايش روح النِّصِّ، ويهضم مُراد صاحبه؛ ليُخرِجه على نحو ما وضعه عليه المؤلِّف، بعد أن يتم توثيق النِّصِّ وتحقيق نسبته إلى مؤلِّفه. كما أنَّ من أسس هذا المنهج عدم نفخ نصوص التراث، فلا يُوضَع في مقدِّماتها، وحواشيها، وفهارسها إلا ما يُحتاج إليه خدمةً للنِّصِّ وقارئه. ولهذا فقد تلخَّص عملنا في هذا البحث في النقاط الآتية:

١. تفرِغ نَصِّ النسخة الأمِّ المحفوظة بمكتبة آيا صوفيا، وهي نسخة المؤلِّف، ثُمَّ مقابلة التفرِغ عليها، وعلى النسخة الخطيَّة الأخرى المحفوظة بالمكتبة الأزهرية، ولم نجد فروقا تُذكر بين النسختين.
٢. الاستعانة بالنسختين الخطيَّتين المتضمَّنتين "شرح نظم التلخيص" للمؤلِّف نفسه، بغية ضبط النِّصِّ بِدِقَّةٍ أكبر، وإيضاح بعض ما أشكل من عبارته بشرحه إياها بنفسه.
٣. ضبط نَصِّ المنظومة، وترقيمه، وتشكيله بالشكل التَّام، مع وضع عناوين فرعية بين قوسين معقوفين لتقريب النِّصِّ إلى قارئه.
٤. تخريج الآيات القرآنيَّة، والأبيات الشعريَّة، والأقوال، والاكتفاء غالباً بمصدر واحد، إلا إذا دعت الحاجة إلى الزيادة. مع التعريف بالأعلام المذكورة، على نحو موجز.
٥. تقديم دراسةٍ بين يدي التَّحقيق، تناولت الكلام عن حياة المؤلِّف، وعنايته بالبلاغة العربيَّة، وعن منظومته محلَّ التَّحقيق.

## المطلب السابع: نماذج النسخ المُعتمَدة

## ١- نماذج النسخة الأم:

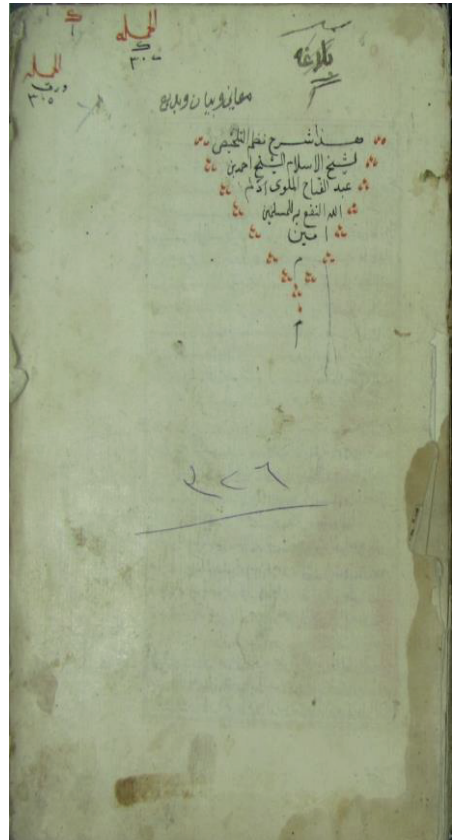
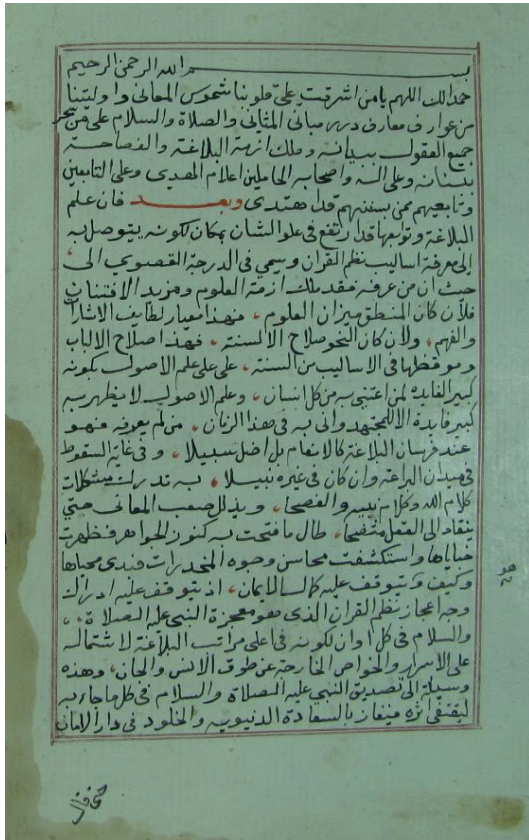


٢- نماذج نسخة الأهرية:





## ٣- نماذج النسخة المعتمدة من شرح نظم التلخيص:



[illegible]

عصم والوئل

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

۲۴

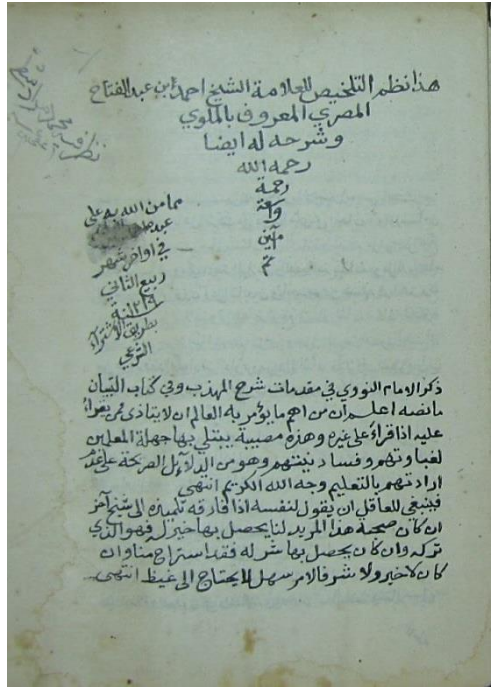
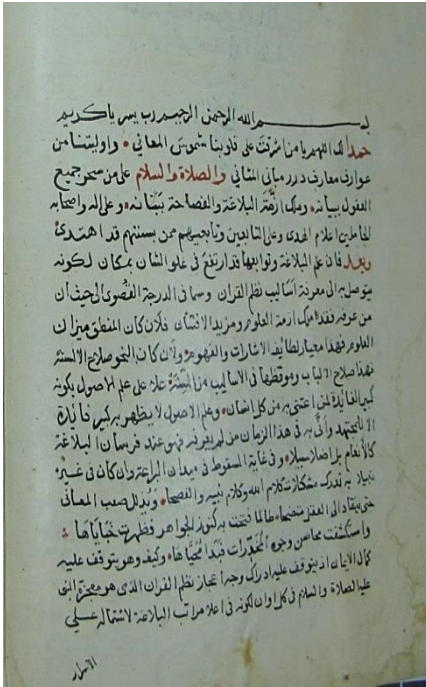
مثل هذا الشا في صدر الكتاب وفي ذلك حصه الوصايا  
المستقدم

- ثم الكتاب بجدد ما وجدته
- وحسن نق منيته وصلى الله
- على سيدنا محمد وعلى
- اله وصحبه وسلم
- آمين

[illegible]

مثلاً

٤- نماذج النسخة الأخرى من الشرح:





القسم الثاني:

قسم التحقيق

الْقَوْلُ الْفَصْلُ

فِي أَسْرَارِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ

للفقيه إلى الله القوي

أحمد بن عبد الفتاح الشافعي المجيري الملوّي

أما تله الله على صريح الإيمان

آمين

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

١. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ وَصَّلَا
٢. ثُمَّ الصَّلَاةُ لِلَّذِي قَدْ فَصَّلَا
٣. وَالشُّكْرُ بَعْدَ ذَا لَوَاسِطَتِنَا
٤. فَهُوَ الَّذِي قَدْ مَهَّدَ الْمَسَائِلَا
٥. جَزَاهُ عَنَّا رَبُّنَا أَضْعَافَ مَا
٦. وَبَعْدَ ذَا فَأَعْظَمَ الْأَبْوَابِ
٧. مِنَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ
٨. الْفَضْلِ وَالْوَصْلِ إِلَى أَنْ حَكَمَا
٩. أَنَّ الْبَلَاغَةَ غَدَتْ مَحْصُورَةً
١٠. فَرُمْتُ أَنْ أَنْظِمَ هَذَا الْبَابَا
١١. لِكَيْ يُعَيِّنَهَا عَلَى فَهْمِ الصِّعَابِ
١٢. وَاللَّهُ حَسْبِي غَايَتِي وَسُؤْلِي
١٣. وَإِنْ تَجَدَّ عَيْبًا فَمِنْ نَفْسِي الَّتِي
١٤. وَإِنْ صَوَابًا تُلَفَّ فَهُوَ مُسْتَمَدٌّ
١٥. جَزَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَضْعَافَ الْأَجُورِ
١٦. وَمَعَهُ أَقْرَنَا فِي ذَلِكَ

(١) تقدّم في ترجمة المؤلف دكتور شيخه (الكِنْدَسِي)، وضبط آخره في البيت على هذا النحو الوزن.

(٢) المعضلات: أي التي تُعْيِي الطّالِب، فلا يستطيعون بلوغها. انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م، (٥/١٧٦٦).

(٣) ذكر المَلُوي في شرحه (اللوحة: ٧ و) أقوال العلماء التي تشير إلى أَنَّ البلاغة محصورة في معرفة الفصل والوصل، انظر المطلب الثالث من المبحث الثاني.

## الوصلُ والفصلُ

١٧. الوصلُ عَطْفٌ مُفْرَدٍ أَوْ جُمْلَةٌ  
 ١٨. فَإِنْ تَكُ الْأَوَّلَى لَهَا مَحَلٌّ  
 ١٩. كَمُفْرَدٍ بِشَرْطِ جَامِعٍ لَدَى  
 ٢٠. فِي قَوْلِ رَبِّي جَلَّ: {إِنَّا مَعَكُمْ}  
 ٢١. مِنْ أَجْلِ ذَا عَلَى أَبِي تَمَامٍ  
 ٢٢. أَوْ لَا مَحَلٍّ، وَسَوَى الْوَاوِ قُصِدَ  
 ٢٣. كـ(صَادَ زَيْدٌ ثُمَّ جَاءَ) أَوْ (فَظَهَرَ  
 ٢٤. إِنْ لَا، فَإِنْ يَكُنْ يَرَى لِمَا تُلِي
- عَلَيْهِمَا، وَتَرَكُهُ الْفَصْلُ اثْبَتَ<sup>(١)</sup>  
 وَقُصِدَ التَّشْرِيكُ يُلْزَمُ وَصْلُ  
 وَاوٍ، وَإِلَّا فُصِّلَتْ كَمَا بَدَا  
 {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ} فَلِأَسْرَارٍ أَمْ<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ عِيبَ جَمْعِ الصَّبْرِ وَالْإِكْرَامِ<sup>(٣)</sup>  
 بِهِ ارْتِبَاطٌ فِيهِ أَلْعَطْفُ اعْتَمِدَ<sup>(٤)</sup>  
 عَمَرُو لِمُهْلَةٍ وَتَعْقِيبُ ظَهَرَ<sup>(٥)</sup>  
 حُكْمٌ لَدَى ثَانِيَةٍ لَمْ يُقْبَلِ

(١) أي الوصل هو عطف مفرد على مفرد، أو عطف جملة على جملة، والفصل هو ترك العطف. يقول المؤلف في شرحه (اللوحة: ١٩٢ و): "فلا يختص الوصل، وكذا الفصل بالجملة كما يوهمه كلام [صاحب] التلخيص وغيره، بل يكونان في المفردات أيضاً".

(٢) قال في شرحه (اللوحة: ١٩٣ و): "فالأسرار التي لكلام الله تعالى أَمْ، أي: أقصدها بعقلٍ كامل، وذهنٍ مجموعٍ حاضر"، والمؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(١٤)</sup> {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٤]؛ فلم يعطف {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} على {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ...}.

(٣) قال في شرحه (اللوحة: ١٩٣ و): "الصَّبْرُ: بإسكان الباء للضرورة الشعرية وهو جائز لها، وإلا فهو بكسرها وهو الدواء المرّ المعروف"، وفي البيت إشارة إلى قول أبي تمام -من الكامل- (ديوانه: ص٢٦٦):

لا والذي هو عالمٌ أنَّ النوى \*\*\* صَبِرَ وأنَّ أبا الحسين كريمٌ

(٤) (العطف) تُقرأ بقطع الهمزة للضرورة.

(٥) الفعل (جاء) مُخَفَّفُ الهمزة لاستقامة الوزن، وقال المؤلف في شرحه (اللوحة: ١٩٣ ظ): "كقولك (صَادَ زَيْدٌ الْغَزَالُ ثُمَّ جَاءَ عَمْرُو) أَوْ كقولك (صَادَ زَيْدٌ فَظَهَرَ عَمْرُو)... فَيَحْسُنُ الْعَطْفُ فِي كِلَا الْمَثَالَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ فِيهِمَا جَامِعٌ، وَذَلِكَ لِمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ غَيْرَ الْوَاوِ مِنْ سَائِرِ حُرُوفِ الْعَطْفِ الْمَشْتَرَكَةِ تَقِيدُ أَمْرًا زَائِدًا عَلَى الْإِشَارَةِ".

٢٥. فَالْفَصْلُ نَحْوُ: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ} مَعَ {قَالُوا} فَالْاِخْتِصَاصُ بِالظَّرْفِ امْتِنَاعٌ<sup>(١)</sup>

### [مَوَاضِعُ الْفَصْلِ]

٢٦. إِنْ لَا، فَإِنْ يَكُنْ يَرَى بَيْنَهُمَا  
 ٢٧. أَوْ الْاِتِّصَالُ، أَوْ شَبِيهَهُ كَمَا  
 ٢٨. أَمَّا كَمَالُ الْاِنْقِطَاعِ فَيَرَدُّ  
 ٢٩. لَفْظاً وَمَعْنَى نَحْوِ قَوْلٍ مَنْ بَسَطُ  
 ٣٠. كَقَوْلِنَا: (مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ  
 ٣١. أَوْ فَقَدْ جَامِعٌ كَمَا يُفَصِّلُ  
 ٣٢. فَإِنْ تَرَى ثَانِيَةً لِمَا تَلَتْ  
 ٣٣. فَذَاتُ تَوْكِيدٍ لِدَفْعِ مَا وَهُمْ  
 ٣٤. كـ {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ} فَقَدْ  
 ٣٥. مُعْرِفًا بِاللَّامِ مُسْنَدًا إِلَى  
 ٣٦. فَجَازَ وَهُمْ أَنَّهُ مِمَّا بِهِ
- كَمَالُ الْاِنْقِطَاعِ إِذْ لَا مُوْهِمًا  
 فَالْفَصْلُ أَوْجِبُهُ وَإِلَّا الْوَصْلُ<sup>(٢)</sup>  
 لِلْاِخْتِلَافِ خَبَرًا ضِدًّا عُمْدَ  
 (أَرْسَوْا نِزَاوِلَ) وَمَعْنَى أَيْ فَقَطُ<sup>(٣)</sup>  
 رَبُّ الْعُلَا، وَبِالنَّعِيمِ عَمَّةُ  
 بَعْدُ، وَأَمَّا الْاِتِّصَالُ الْمُكْمَلُ  
 تَوْكِيدًا أَوْ بَيَانًا أَوْ مَا أُبْدِلَتْ<sup>(٤)</sup>  
 مِنْ غَلَطٍ تَجَوُّزٍ فَلَا تَهْمُ  
 بَوْلُغٍ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ إِذْ وَرَدَ<sup>(٥)</sup>  
 {ذَلِكَ} فَالذَّرَجَةُ الْقُصْوَى عَلا  
 رَمَى جُزَافًا قَبْلَمَا تَنَبَّهَ

(١) قوله: (فالفصل) أي: فالفصل واجب في هذه الحال. انظر: شرحه (اللوحة: ١٩٤ و).

(٢) قال في شرحه (اللوحة: ١٩٥ و) ذاكراً مواضع الفصل بين الجملتين المترادفتين: "لا تخلو الجملتان من ستة أقسام: الأول كمال الانقطاع بلا إيهام، الثاني كمال الاتصال، الثالث شبه كمال الانقطاع، الرابع شبه كمال الاتصال، الخامس كمال الانقطاع مع إيهام، السادس التوسط بين الكمالين".

(٣) يشير إلى قول الأخطل -من البسيط- (عبدالرحيم العباسي: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب، بيروت، ١/٢٧١):

وقال رائدهم أرسوا نزاولها\*\*\* فكلُّ حتفٍ امرئٍ يجري بمقدار

والشاهد: ترك العطف بين "أرسوا" و"نزاولها"؛ لأنَّ الأولى إنشاء لفظاً، ومعنى، والثانية خبر لفظاً، ومعنى.

(٤) يُقْرَأُ بِوَصْلِ هَمْزَةٍ (أَوْ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ لَاسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ.

(٥) تمام الآية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٣٧. فَأَتْبَعَهُ نَفِيًّا لِذَلِكَ الْوَهْمِ  
 ٣٨. وَنَحْوُ قَوْلِهِ: {هُدًى} فَالْمَعْنَى  
 ٣٩. حَتَّى كَأَنَّهُ هُدًى مَخْضٌ وَذَا  
 ٤٠. لِأَنَّ مَعْنَاهُ: الْكِتَابُ الَّتِي فِي  
 ٤١. تَقَاوُتًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُظْمَى  
 ٤٢. وَبَدَلٌ لِأَنَّ الْأُولَى لَمْ تَفِ  
 ٤٣. مَعَ أَنَّهُ مَقَامٌ مَا قَدْ طُلِبَا  
 ٤٤. كَكُونِهِ فِي نَفْسِهِ مَطْلُوبَا  
 ٤٥. كـ {وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا}  
 ٤٦. وَالثَّانِ أَوْفَى إِذْ عَلَى النِّعَمِ قَدْ  
 ٤٧. فَهُوَ وَزَانٌ (وَجْهُهُ) فِي قَوْلِنَا:  
 ٤٨. فَالثَّانِ فِي الْأَوَّلِ قَطْعًا دَخَلَا  
 ٤٩. كَمَالٍ إِظْهَارِ الْكِرَاهَةِ وَدَلَّ  
 ٥٠. عُرْفًا مَعَ التَّكْيِيدِ بِالمُطَابَقَةِ  
 ٥١. فِي نَحْوِ: (أَشْرَقَتْ هُنَيْدُ حُسْنُهَا  
 ٥٢. إِذْ لَا إِتْحَادَ فِيهِمَا، وَالْأَوَّلُ
- فَهُوَ وَزَانٌ (نَفْسُهُ) بَعْدَ عِلْمِ<sup>(١)</sup>  
 بُلُوغُهُ دَرَجَةً لَا تُدْنَى  
 مَعْنَى لِـ {ذَلِكَ الْكِتَابُ} يُحْتَدَى  
 هُدًى إِذِ الْكُتُبُ بِقَدْرِ تَقْيِ  
 فَهُوَ كَثَانِي (زَيْدٌ زَيْدٌ أَوْمَى)  
 بِمَا يُرَادُ وَأَنْفٍ مَا كَلَّمَ يَفِ<sup>(٢)</sup>  
 أَلَا عَتَبَا بِشَأْنِهِ قَدْ طُلِبَا  
 لَطِيفًا أَوْ فَظِيْعًا أَوْ عَجِيبًا<sup>(٣)</sup>  
 فَالْقَصْدُ تَنْبِيْهُ بِذِكْرِ أَنْعُمَا<sup>(٤)</sup>  
 دَلَّ، وَمَا عَلَى الْإِحَالَةِ اعْتَمَدَ<sup>(٥)</sup>  
 (أَشْرَقَ زَيْدٌ وَجْهُهُ حِينَ دَنَا)  
 وَنَحْوُ قَوْلِهِ (لَهُ ارْحَلْ) إِذْ جَلَا<sup>(٦)</sup>  
 وَ (لَا تُقِيمَنَّ) مِنْهُ أَوْفَى حَيْثُ دَلَّ  
 فَهُوَ كـ (حُسْنُهَا) مِثَالًا طَابَقَهُ  
 فَأَخَذَتْ قُلُوبَنَا مَعَ النُّهَى  
 الثَّانِ لَيْسَ فِيهِ مِمَّا يَدْخُلُ<sup>(٧)</sup>

(١) (فَأَتْبَعَهُ) بِإِسْكَانِ الْهَاءِ، لاسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ.

(٢) (الْأُولَى) تُقْرَأُ بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ، لاسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ.

(٣) يُقْرَأُ بِوَصْلِ هَمْزَةٍ (أَوْ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ لاسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ.

(٤) تَمَامُ الْآيَةِ: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِالتَّعْمِيرِ وَتَزِينِ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

(٥) قَالَ فِي شَرْحِهِ (اللوحة: ١٩٩ ظ): "وَالثَّانِي أَعْنِي قَوْلَهُ ﴿أَمَدَّكُمْ بِالتَّعْمِيرِ﴾ إِلَى آخِرِهِ".

(٦) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ -مِنْ الطَّوِيلِ- (العباسي: معاهد التنصيص، ٢٧٨/١):

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا \*\*\* وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

(٧) قَالَ فِي شَرْحِهِ (اللوحة: ٢٠٠ و): "الْأَوَّلُ وَهُوَ (ارْحَلْ)، الثَّانِ -بِحَذْفِ الْبَاءِ تَخْفِيفًا- وَهُوَ (لَا تَقِيمَنَّ)".

٥٣. مَعَ أَنَّهُ بَيَّنَّهُمَا مُلَابَسَةً  
 ٥٤. ذَاتَ الْبَيَانِ لِحَفَا الْأُولَى اجْعَلَا  
 ٥٥. (عُمَرَ) فِي قَوْلٍ: (الَّذِي جَاءَ عُمَرَ)  
 ٥٦. وَشَبَّهُ الْانْقِطَاعِ أَنَّ الْعُطْفَ قَدْ  
 ٥٧. ذَا الْفَصْلِ قَطْعاً سَمِّهِ وَيَضِحُ  
 ٥٨. وَجَارَ الْاسْتِثْنَاءِ فِي ذَا وَيَرِدُ  
 ٥٩. ثَانِيَةً جَوَابُ سُؤْلِ اقْتَضَتْ  
 ٦٠. فَفَصِلَتْ عَنْهَا كَمَا قَدْ فُصِّلَا  
 ٦١. وَالْحَقُّ أَنَّ كَوْنَ الْأُولَى تَقْتَضِي
- إِذْ كُلُّ لَازِمٍ لَّهُ مُلَابَسَةٌ  
 كـ {قَالَ يَا آدَمُ! فَهَوَ مَاثِلًا<sup>(١)</sup>  
 (أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرَ)  
 يَوْهُمْ عَطْفُهَا عَلَى غَيْرِ وَرَدَ  
 بـ {أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَسْبِجُ<sup>(٢)</sup>  
 شَبَّهُ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ إِذْ تَرِدُ  
 أُولَى فَمَنْزِلَتُهُ قَدْ نَزَلَتْ  
 جَوَابُ جُمْلَةٍ بِهَا قَدْ سُئِلَا  
 سُؤَالَهَا يَكْفِي كَمَا قَدْ ارْتَضَى<sup>(٣)</sup>

### [الفصل بالاستئناف]<sup>(٤)</sup>

٦٢. يُنَزَّلُ السُّؤَالُ عَمَّا عُقِلَا  
 ٦٣. لِنُكْتَةٍ كَمِثْلِ إِغْنَا الْمُسْتَمِعِ  
 ٦٤. وَذَلِكَ الْفَصْلُ بِالْإِسْتِثْنَاءِ سَمِ  
 ٦٥. وَهُوَ ثَلَاثُ<sup>(٦)</sup> أَضْرِبٍ إِذْ هُوَ عَنْ
- مَنْزِلٍ وَاقِعٍ حَقِيقاً حَصَلَا  
 أَنْ يَسْأَلَ، أَوْ يُجِبَّ أَلَا يَسْتَمِعِ<sup>(٥)</sup>  
 وَجُمْلَةً ثَانِيَةً بِذَلِكَ سَمِ  
 سَبَبِ حُكْمٍ مُطْلَقاً كَقَوْلِ مَنْ

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَدْعَاكُمْ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].  
 وَخَفَّتْ هَمْزَةٌ (خفاء) لمناسبة الوزن، والفعل (اجعلا) أصله متصل بنون التوكيد (اجعلن)، وبُني على الفتح،  
 فُخِذَتْ النون، وبقيت اللام محرّكة بالفتح.

(٢) يشير إلى قول الشاعر -من الكامل- (العباسي: معاهد التنصيص، ٢٧٩/١):

وَتَطْنُ سَلْمَى أَنْنِي أَبْغِي بِهَا \*\*\* بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهْمِي

(٣) (الأولى) همزتها هَمْزَةٌ وَصَلٍ لمناسبة الوزن.

(٤) في الأصل بدل هذا العنوان كتب المؤلف: (السكاكي)، ويقصد إيراد قول السكاكي كما أورده القزويني في "التلخيص"، انظر: جلال الدين القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوق، دار الفكر العربي، ط٢، بيروت، (ص ١٨٦)، وينظر: أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، (ص ٢٥٩).

(٥) قال في شرحه (اللوحة: ٢٠١ ط): "إغنا: بالقصر، للضرورة". ومثله وصل هَمْزَةٌ (أو).

(٦) كذا.

٦٦. قال: (عَلِيلٌ سَهْرٌ) أَي: ما السَّبَبُ  
 ٦٧. كَقَوْلِ رَبِّي: {إِنَّ النَّفْسَ} إِذْ  
 ٦٨. مُقَدَّرٌ عَنْ كَوْنِهَا أَمَّارَةٌ  
 ٦٩. لِذَلِكَ هَذَا الصَّرْبُ تَأْكِيداً طَلَبُ  
 ٧٠. كَقَوْلِهِ: {قَالَ سَلَامٌ} أَي: فما  
 ٧١. تَقْدِيرُهُ: أَصَدَقُوا؟ وَمِنْهُ مَا  
 ٧٢. لَهُ الْحَدِيثُ، نَحْوُ: (أَحْسَنْتُ إِلَى  
 ٧٣. وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى صِفَةٍ ذَا  
 ٧٤. وَهُوَ أَبْلَغُ، وَقَدْ يُخَدَفُ مِنْ  
 ٧٥. كَقَوْلِهِ جَلٌّ: {رِجَالٌ} قَدْ تَلَّى
- فِي عِلَّةٍ بِكَ؟ وَعَنْ خَاصٍ سَبَبٌ<sup>(١)</sup>  
 هُوَ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ قَدْ نُبِّذَ<sup>(٢)</sup>  
 بِالسُّوءِ مَعَ شَكِّ حَوِيٍّ إِظْهَارُهُ  
 أَوْ عَنْ سِوَى هَذَيْنِ قَدْ جَاءَ الطَّلَبُ  
 ذَا قَالَ؟ أَوْ كَـ (صَدَقُوا) مُنْتَظَمًا<sup>(٣)</sup>  
 يَأْتِيكَ مَعَ إِعَادَةٍ لِمَا انْتَمَى  
 أَحْمَدُ أَحْمَدَ حَقِيقٌ بِالْإِلَى  
 نَحْوُ: (صَدِيقُكَ الْوَفِيُّ أَهْلٌ لِيذَا)<sup>(٤)</sup>  
 مُسْتَأْنَفِ الْجُمْلَةِ صَدَّرَ قَدْ زَكِنَ<sup>(٥)</sup>  
 بَعْدَ {يُسَبِّحُ} بِفَتْحٍ يَغْتَلِي<sup>(٦)</sup>

(١) يشير إلى قول الشاعر -من الخفيف- (العباسي: معاهد التنصيص، ١/١٠٠):

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليلٌ \*\*\* سهرٌ دائمٌ وحرٌّ طويلٌ

وقال المؤلف في شرحه (اللوحة: ٢٠١ ظ): "خاص: بتخفيف الصاد، للوزن".

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْبَرُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَعَرْتُ إِنْ رَّبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[يوسف: ٥٣].

(٣) في البيت إشارتان، الأولى: إلى قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥].

والثانية: إلى قول الشاعر -من الكامل- (العباسي: معاهد التنصيص، ١/٢٨١):

زعمَ العوادلُ أنني في غمرةٍ \*\*\* صدقوا ولكن غمرتي لا تتجلي

(٤) (الوفي) بإسكان الباء لاستقامة الوزن.

(٥) قال في شرحه (اللوحة: ٢٠١ ظ): "زَكِنَ: أي عَلِمَ".

(٦) يقصد قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]. وقراءة (يُسَبِّحُ)

بفتح الباء الموحدة هي قراءة ابن عامر وشعبة عن عاصم، يُنظر: شمس الدين أبو الخير محمد ابن

محمد الدمشقي، ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع، المطبعة التجارية

الكبرى، مصر، (٣٣٢/٢).

٧٦. وَمِنْهُ: (نَعَمْ رَجُلًا زَيْدٌ) عَلَى  
 ٧٧. مَعَ قِيَامٍ قَائِمٍ مَقَامَهُ  
 ٧٨. أَوْ لَا كَـ{نَعَمْ الْمَاهِدُونَ} أَي: هُمْ
- قَوْلٍ، وَكُلٌّ قَدْ يَجِي مُحْتَزلاً  
 نَحْوُ: (لَهُمِ الْفُ) وَقُلْ نِظَامَهُ<sup>(١)</sup>  
 نَحْنُ عَلَى قَوْلٍ، وَلَيْسَ يَلْزَمُ<sup>(٢)</sup>

## [مَوَاضِعُ الْوَصْلِ]

٧٩. وَوَضَّلَهَا لِدَفْعِ إِبْهَامٍ كـ(لا  
 ٨٠. وَلِلنَّوْطِ إِذَا مَا اتَّقَا  
 ٨١. نَحْوُ: {يُخَادِعُونَ} مَعَ مَا بَعْدَهُ  
 ٨٢. وَقَوْلُهُ: {كُلُوا} وَمَا بَعْدُ يَلِي  
 ٨٣. تَقْدِيرُهُ: لَا تَعْبُدُوا، وَتُحْسِنُونَ  
 ٨٤. وَجَامِعٌ مُغْتَبَرٌ بَيْنَهُمَا  
 ٨٥. كـ(هَذَا تَشْعُرُ وَتَكْتُبُ) كَذَا:  
 ٨٦. وَ(زَيْدٌ شَاعِرٌ، وَعَمْرُو كَاتِبٌ)
- وَأَيَّدَ اللَّهُ الْأَمِيرَ) مَثَلًا  
 مَعْنَى بِجَامِعٍ وَفَاقًا مُطْلَقًا  
 وَ{إِنَّ الْأَبْرَارَ} مَعَ اللَّذْ بَعْدَهُ<sup>(٣)</sup>  
 وَنَحْوُ: {إِحْسَانًا} مَعَ الَّذِي وَلِي<sup>(٤)</sup>  
 أَي: أَحْسِنُوا أَوْ أَحْسِنُوا يُقَدِّرُونَ  
 فِي مُسْنَدٍ لَهُ وَمُسْنَدَيْهِمَا  
 (تُعْطِي وَتَمْنَحُ) مَثَلًا يُحْتَذَى  
 (قَصِيرٌ أَطْوَلُ) إِذَا يُنَاسِبُ

(١) يشير إلى قول مساور بن هند -من الوافر- (العباسي: معاهد التنصيص، ٢٨٢/١):

رَعِمْتُ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ \*\*\* لَهُمِ الْفُ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا الْفُ

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ فَرْشَتُهَا فَنِعْمَ الْمِهْدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

(٣) في البيت إشارة إلى آيتين، الأولى: قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].  
 والثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [وَالْأَنْجَارَ لَفِي حِمِيمٍ] [الانفطار: ١٣-١٤]. وقال المؤلف في  
 شرحه (اللوحة ٢٠٤ و): "الَّذُ: بإسكان الذال، لغة في الذي".

(٤) في البيت إشارة إلى آيتين، الأولى: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].  
 والثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ  
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].



٨٧. عُمَيْرُ زِيدًا، لَا بَدُونَهَا وَلَا (شَعْرٌ طَوِيلٌ) مُطْلَقًا فَلْيُحْظَلَا<sup>(١)</sup>

### [أنواع الجامع بين الجملتين]<sup>(٢)</sup>

٨٨. وَجَامِعٌ بَيْنَهُمَا عَقْلِيٌّ  
٨٩. فَأَوَّلُ بِأَنْ يُرَى بَيْنَهُمَا  
٩٠. أَوْ التَّمَاثُلُ لِأَنَّ الْعَقْلَ قَدْ  
٩١. بِأَنْ يُجَرَّدَا عَنِ التَّشْخِصِ  
٩٢. أَوْ التَّضَايُفُ كَمَا بَيْنَ الْعِلَلِ  
٩٣. وَالْأَكْثَرِ الْأَقْلَ وَالْوَهْمِيَّ إِذَا  
٩٤. كَالصُّفْرَةِ الْبَيَاضِ إِذْ يُبْدِيهِمَا  
٩٥. مِنْ أَجْلِ ذَا قَدْ حَسُنَ الْجَمْعُ لَدَى  
٩٦. أَوْ التَّضَادُّ كَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ  
٩٧. مَوْصُوفُهَا كَذَا وَشَبْهُهُ كَمَا  
٩٨. إِذْ قَدْ يُنَزِّلُهُمَا بِمَنْزِلِ  
٩٩. بِالضِدِّ إِذْ كَانَ حُطُورًا أَقْرَبَا
- أَوْ الْحَيَالِيَّ أَوْ الْوَهْمِيَّ  
الْأَتِّحَادُ فِي تَصَوُّرَيْهِمَا  
يَرْفَعُ عَنْ مِثْلَيْنِ تَعْدَادًا وَرَدَّ  
فِي خَارِجٍ لَا مُطْلَقًا فَلْيَتَقَحَّصِ  
وَبَيْنَ مَا هِيَ غَدَتْ لَهَا عَلَلٌ  
شَبْهُ تَمَاثُلٍ يُرَى بِذَا وَذَا  
فِي مَعْرِضِ الْمِثْلَيْنِ وَهَمٌّ وَهَمَّا  
(ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ) فِي شَعْرِ بَدَا<sup>(٣)</sup>  
لِيْمَانٍ وَالْكَفْرِ لِأَنَّهُ الْعِنَادُ<sup>(٤)</sup>  
فِي الْأَوَّلِ الثَّانِي وَأَرْضٍ وَسَمًا<sup>(٥)</sup>  
تَضَايُفٌ لِذَا كُضِدَ يَنْجَلِي  
بِالْبَالِ مَعَ ضِدِّ لَهُ قَدْ قَرَّبَا

(١) قال في شرحه (اللوحة: ٢٠٥ و): "يُحْظَلُ، أَي: يُمْنَعُ".

(٢) في الأصل بدل هذا العنوان كَتَبَ الْمُؤَلِّفُ: (السَّكَاكِي)، ويقصد إيراد قول السَّكَاكِي كما أوردَه

القزويني في "التلخيص" (ص ١٩٢). وَيُنْظَرُ: السَّكَاكِي: مفتاح العلوم، (ص ٢٥٣).

(٣) يشير إلى قول محمد بن وهيب في مدح المعتصم -من البسيط- (العباسي: معاهد التنصيص،

التنصيص، ٢١٥/١):

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا \*\*\* شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

(٤) قال في شرحه (اللوحة: ٢٠٨ و): "الإيمان: بنقل كسرة الهمزة إلى اللام قبلها، وحذف همزة

الوصل".

(٥) (الأول): بهمزة وصل، لاستقامة الوزن.

تَقَارُنُ يَسْبِقُ فِي الْخِيَالِ  
لَدَى الْخِيَالِ صُورٌ قَدْ تَبَيَّنَتْ  
وَلِلْمَعَانِي احتِياجٌ قَدْ كُمِلَ<sup>(١)</sup>  
فَهُوَ عَلَى الْعَادَةِ وَالْإِلْفِ اعْتَمَدَ  
فِعْلِيَّةً وَأَسْمِيَّةً أَوْ وَجِداً  
أَوْ فِي الْمَضِيِّ إِنْ خَلَا مِنْ مَانِعٍ

تذنيب<sup>(٢)</sup>

### [الجُمْلُ الحَالِيَّة]

أَلَا تُرَى بِالْوَاوِ إِذْ تُثَامِلُ  
وَالنَّعْتِ فِي وَصْفِيَّةٍ وَالْفَرْقِ قَرِ  
إِذْ هِيَ مِنْ حَيْثُ هِيَ اسْتَقَلَّتْ  
رَبَطَ بِوَاوٍ أَوْ ضَمِيرٍ حَصَلاً  
وَحَبَرًا نَعْتاً بِهِ مُنْفَرِدةً  
هِيَ لَهُ، فَالْوَاوُ قَدْ تَحَنَّنَا  
إِثْنَانُ حَالٍ مِنْهُ بِالْوَاوِ تَصِخُ  
بِمُنْبَبَتٍ مُضَارِعٍ فَمُنْعَعَتٌ  
بِهِ، فَإِنَّ الْوَاوَ فِيهِ امْتَنَعَتْ  
إِذْ ذَاتُ الْأَفْرَادِ بِهَا يُقْتَصَرُ<sup>(٣)</sup>

١٠٠. وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْجَامِعَ الْخِيَالِي  
١٠١. وَاخْتَلَفَتْ أَسْبَابُهُ فَاخْتَلَفَتْ  
١٠٢. تَرْتُباً أَوْ اتِّصَاحاً قَدْ حَصَلَ  
١٠٣. لِجَامِعٍ وَلِلْخِيَالِي أَشَدُّ  
١٠٤. وَحَسَنَ الْوَصْلَ تَنَاسُبٌ لَدَى  
١٠٥. أَيْضاً لَدَى الْفِعْلَيْنِ فِي التَّضَارُعِ

١٠٦. الْأَصْلُ فِي الْحَالِ الَّتِي تَنْتَقِلُ  
١٠٧. فِي كَوْنِهَا حُكْماً عَلَى ذِيهَا الْخَبَرُ  
١٠٨. لَكِنَّهُ مُخَالَفٌ فِي الْجُمْلَةِ  
١٠٩. أَيْ بِالْإِفَادَةِ فَتَحْتَاجُ إِلَى  
١١٠. وَالْمُضْمَرُ الْأَصْلُ لِأَنَّ الْمُفْرَدَةَ  
١١١. فَإِنْ تَكُنْ قَدْ فَقَدَتْ ضَمِيرَ مَا  
١١٢. وَمَا خَلَّتْ عَنْ مُضْمَرٍ لِمَا يَصِخُ  
١١٣. حَالاً لَهُ إِلَّا الَّتِي قَدْ صُدِّرَتْ  
١١٤. إِلَّا فَإِنَّ فِعْلِيَّةً وَصُدِّرَتْ  
١١٥. كَقَوْلِهِ جَلَّ عَلا: {تَسْتَكْثِرُ}

(١) قال في شرحه (اللوحة: ٢١٠ و): "المعاني: بتشديد الياء للنسب، أي صاحب علم المعاني".

(٢) قال في شرحه (اللوحة: ٢١٢ ظ): "هو جعل الشيء ذنابة، بالضم والكسر، أي: آخر الشيء".

شُبِّهَ بِهِ ذِكْرُ بَحْثِ (الجملة الحالية) وكونها بالواو تارة، وبدونها أخرى عَقِبَ بَحْثِ (الفصل والوصل)... فَنَاسَبَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي بَابِهِ كَالذَّنَابَةِ لِمَا قَبْلَهُ.

(٣) يقصد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ سَتَكُنُ﴾ [المدثر: ٦].

حُصُولِ مَعْنَى قَدْ أَتَى مُنْتَقِلًا  
قِيْدًا لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ قَدْ نَبَتْ  
فِي الْحَالِ، وَالْجَمْلُ هِيَ الْفَرْعِيَّةُ<sup>(١)</sup>  
لِكَوْنِهِ قَدْ جَاءَ فِعْلًا مُثْبَتًا  
لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا قَدْ اخْتَمَلَ  
وَزْنَ اسْمِ فَاعِلٍ بِلَفْظِ عَقْلًا  
(أَصْلُكَ وَجْهَهُ) وَمَا جَا نَظْمًا<sup>(٢)</sup>  
لَهُ الْمُضَارِعُ اجْعَلَنَّ مُسْنَدًا  
ضَرُورَةً، وَخَالَفَ الْجُرْجَانِي<sup>(٣)</sup>  
عَدَلَ لِلْمُضَارِعِ الَّذِي وَرَدَ  
وَهَكَذَا نَجَوْتُ مَعَ رَهْنُتْ  
تُلِي: {وَلَا تَتَّبِعَانِ} عَادَ مَا<sup>(٤)</sup>  
إِلَى ابْنِ ذَكْوَانَ النَّقِيِّ الْأَعْجُوبَةِ<sup>(٥)</sup>

١١٦. عَلَى الضَّمِيرِ وَهِيَ قَدْ دَلَّتْ عَلَى  
١١٧. مُقَارِنِ لِعَامِلٍ قَدْ جُعِلَتْ  
١١٨. وَذَاتُ إِفْرَادٍ هِيَ الْأَصْلِيَّةُ  
١١٩. فَكَوْنُهُ إِلَى الْحُصُولِ قَدْ أَتَى  
١٢٠. وَكَوْنُهُ عَلَى الْمُقَارَنَةِ دَلَّ  
١٢١. وَالْحَقُّ فِي التَّغْلِيلِ أَنَّهُ عَلَى  
١٢٢. وَهُوَ مُقَدَّرٌ بِهِ وَأَمَّا  
١٢٣. مِنْ قَوْلِهِ (أَرْهَنُهُمْ) فَالْمُبْتَدَأُ  
١٢٤. وَقِيلَ: شَدَّ أَوَّلُ، وَالثَّانِي  
١٢٥. فَقَالَ: إِنَّ الْوَاوَ لِلْعُطْفِ وَقَدْ  
١٢٦. حِكَايَةً لِلْحَالِ، أَيْ: صَكَّكَتْ  
١٢٧. وَإِنْ نُفِيَّ يَجُوزُ الْأَمْرَانِ كَمَا  
١٢٨. شَدَّ عَلَى الْقِرَاءَةِ الْمُنْسُوبَةِ

(١) قال في شرحه (اللوحة: ٢١٦ و): "هي [الثانية]: بإسكان الياء". وذلك لاستقامة الوزن.

(٢) فيه إشارتان، الأولى: إشارة إلى ما جاء من قول بعض العرب (التلخيص: ص ٢٠٠): "قامتْ وأصلُك وجهه". والثانية: إشارة إلى قول عبدالله بن همام السَّلُولِيّ -من المتقارب- (العباسي: معاهد التنصيص، ٢٨٥/١):

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفِيرَهُمْ \*\*\* نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا

(٣) هو عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، صاحب كتابي "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز". ويُنظر قوله المشار إليه في كتابه: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط ٣، جدة، ١٩٩٢م، (ص ١٣٩).

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ [يونس: ٨٩]. بتخفيف النون، وهي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر، يُنظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، (٢/ ٢٨٦).

(٥) ابن ذكوان (ت: ٢٤٢هـ)، هو عبدالله بن أحمد المقرئ، أحد رواة قراءة ابن عامر الشَّامِي. انظر ترجمته في: شمس الدين الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، (ص ١١٨).

١٢٩. {وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ} ائْتِلْ وَاجْعَلَا  
 ١٣٠. بِأَنَّهُ تَقَارُنًا قَطْعًا جَلَا  
 ١٣١. دُونَ الْحُصُولِ إِذْ أَتَى مَنْفِيًّا  
 ١٣٢. لَفْظًا أَوْ الْمَعْنَى كَمَا فِي {حَصِرَتْ}  
 ١٣٣. وَقَوْلُهُ جَلَّ: {وَلَمْ يَمَسِّنِي}  
 ١٣٤. وَكَـ {وَلَمَّا يَأْتِكُمْ} فَإِنْ ثَبَّتْ  
 ١٣٥. إِذْ هُوَ فِعْلٌ مُثَبَّتٌ وَمَا جَلَا  
 ١٣٦. لِذَاكَ أُوجِبُوا بِهِ (قَدْ) ظَاهِرَةٌ  
 ١٣٧. وَفِيهِ بَحْثٌ قَدْ أَتَى مُجَابَا  
 ١٣٨. وَمَا نُفِي لِكُونِهِ دَلٌّ عَلَى  
 ١٣٩. فَأَوَّلُ لَأَنَّ (لَمَّا) اسْتَعْرَقَا  
 ١٤٠. مَعَ أَنَّ الْاسْتِمْرَارَ أَصْلُهُ فَدَلَّ  
 ١٤١. فَخَالَفَ الْمُثَبَّتَ إِذْ فِعْلٌ وَضِعَ  
 ١٤٢. تَحْقِيقُهُ أَنَّ امْتِدَادَ الْعَدَمِ  
 ١٤٣. خِلَافَ الْاسْتِمْرَارِ لِلْوُجُودِ ثُمَّ
- جَوَّازَ الْأَمْرَيْنِ بِهِ مُعَلَّلًا<sup>(١)</sup>  
 لِكُونِهِ مُضَارِعًا مُحْتَمَلًا  
 كَذَا إِذَا الْفِعْلُ جَلَا الْمَضِيًّا  
 وَفِي {وَقَدْ بَلَّغَنِي} الْوَاوُ ثَبَّتْ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا يَلِي {فَانْقَلَبُوا} فَلَتَجَنِّي<sup>(٣)</sup>  
 لِكُونِهِ جَلَا حُصُولَ مَا ثَبَّتْ<sup>(٤)</sup>  
 تَقَارُبًا إِذَا الْمَضِيُّ قَدْ جَلَا  
 فِي اللَّفْظِ أَوْ فِي نِيَّةٍ مُقَدَّرَةٍ  
 عَنْهُ، هَذَا رُبُّنَا الصَّوَابَا  
 تَقَارُنِ دُونَ حُصُولِ عُقْلَا  
 وَالْعَيْرِ يَأْتِي لِانْتِفَاءِ سَبْقَا  
 بِهِ عَلَيْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ حَصَلِ  
 عَلَى حَدُوثٍ وَمَعَ النَّفْيِ مُنْعِ  
 لَمْ يَقْتَضِرْ لِسَبَبٍ لَمْ يُعْدَمِ  
 الثَّانِ لِلنَّفْيِ الَّذِي بِهِ عُلِمَ<sup>(٥)</sup>

(١) يقصد قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤].

(٢) في البيت إشارة إلى آيتين، الأولى: قوله تعالى: ﴿أَوْجَاءُ وَكُفْرٌ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

والثانية: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَمٌ وَقَدْ بَلَّغَنِي الْكِبَرَ﴾ [آل عمران: ٤٠].

(٣) فيه إشارة إلى آيتين، الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠].

والثانية: قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ فَفَضَّلَ اللَّهُ فَوْضَلَهُمْ سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١٧٤].

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(٥) قال المؤلف في شرحه (اللوحة: ٢٢٠ و): "الثان: بحذف الياء تخفيفاً".

١٤٤. وَإِنْ أَتَيْتَكَ اسْمِيَّةٌ قَدْ اشْتَهَرَ
١٤٥. فِي الْمُنْتَبِتِ الْمَاضِ كَـ (كَلَّمْتُ حَسَنَ
١٤٦. بِهَا عَلَى الْمَشْهُورِ إِذْ لَمْ تُظْهِرَا
١٤٧. أَيْضاً مِنْ اسْتِثْنَائِهَا فَلْنُحْسِنِ
١٤٨. جَلَّ: {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وَذَكَرَ
١٤٩. تَجِبُ إِنْ ضَمِيرُ ذِي الْحَالِ ابْتَدَى
١٥٠. أَوْ (مُسْرَعٌ) وَتَرْكُهَا إِذَا الْخَبَرُ
١٥١. نَحْوُ: (عَلَى كَتِفِهِ سَيْفٌ) وَمَا
١٥٢. وَيَحْسُنُ التَّرْكُ إِذَا مَا دَخَلَ
١٥٣. فِي قَوْلِهِ: (كَأَنَّمَا بَنِي) مَعَ
١٥٤. أَوْ بَعْدَ حَالٍ مُفْرَدٍ قَدْ وَقَعَتْ
١٥٥. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْصَلَ
١٥٦. ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْصَلَا
١٥٧. وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ عَلَى
- جَوَازُ تَرْكِهَا لِعَكْسِ مَا ظَهَرَ
- فُوهُ إِلَى فِيٍّ) وَرَجَّحَ مَا اقْتَرَنَ
- نَفْيِ الثَّبُوتِ مَعَ ظُهُورِ مَا يُرَى
- زِيَادَةُ الرِّبْطِ كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ<sup>(١)</sup>
- الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الَّذِي ابْتَكَرَ<sup>(٢)</sup>
- بِهِ كـ (جَاءَ وَهُوَ يُسْرِعُ يَدِي)<sup>(٣)</sup>
- سَبَقَ ظَرْفًا فَاشْيَاءً قَدْ اسْتَقَرَّ
- تَلَى (مَعَ الْبَازِي) بِشِعْرِ نُظْمًا<sup>(٤)</sup>
- حَرَفَ عَلَى مُبْتَدَأٍ كَمَا انْجَلَا
- مَا قَدْ تَلَاةٌ فِي نِظَامٍ قَدْ وَقَعَ<sup>(٥)</sup>
- كـ (سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ) ثَبَّتَ<sup>(٦)</sup>
- مِنْ نِعَمٍ جَلِيلَةٍ تَقَضَّيَا
- عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى حَاوِي الْعُلَا
- سَنَنْهُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ قَدْ تَلَا

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

(٢) يُنْظَرُ: الْجَرَجَانِي، عَبْدِ الْقَاهِر: دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ، (ص ٢٠٢).

(٣) قَالَ فِي شَرْحِهِ (اللوحة ٢٢٠ ظ): "يَدِي: أَيِ يَعْطِي الدِّيةَ".

(٤) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ -مِنَ الطَّوِيلِ- (العباسي: معاهد التنصيص، ٢٨٧/١):

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَةٍ أَوْ نَكَرْتَهَا \*\*\* خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ

(٥) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ -مِنَ الطَّوِيلِ- (هَمَامُ بْنُ غَالِبِ التَّمِيمِيِّ، الْفَرَزْدَقُ، دِيْوَانُ الْفَرَزْدَقِ، دَارُ

دَارِ صَادِر، بَيْرُوت، ١٩٦٠م، ١/١٤٦):

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبْصِرَنِي كَأَنَّمَا \*\*\* بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدِ اللَّوَابِدُ

(٦) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ -مِنَ السَّرِيعِ- (العباسي: معاهد التنصيص، ٣٠٥/١):

وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا \*\*\* بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

١٥٨. وَالشُّكْرُ بَعْدَ ذَا إِلَى أَسْتَاذِنَا  
١٥٩. جَزَاهُ مَعَ أَشْيَاخِهِ رَبُّ الْمِنَّنِ  
شَيْخِ الشُّيُوخِ سَاعِدِنَا مَلَانَا  
زِيَادَةَ الرَّفْعَةِ إِحْسَانًا وَمَنْ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، نَسْأَلُهُ زِيَادَةَ هُدَاهُ.

## قائمة المصادر والمراجع

### المخطوطات:

١. الشَّرقاوي، عبد الله بن حجازي: التَّحفة البهية في طبقات الشَّافعية، مخطوط برقم (١١٥)، مكتبة الدولة، برلين.
٢. المَلَوِّي، شهاب الدِّين أحمد بن عبدالفتاح: إجازة المَلَوِّي لعلِّي البيروتي، مخطوط برقم (Vollers 729-06)، مكتبة جامعة لايبزيك، ألمانيا.
٣. المَلَوِّي، شهاب الدِّين أحمد بن عبدالفتاح: شرح نظم التَّلخيص، مخطوط برقم (٤٠٦)، مكتبة مجمع اللغة العربية، دمشق.

### المطبوعات:

٤. البغدادي، إسماعيل: هدية العارفين في أسماء الكتب والمؤلفين، وكالة المعارف، إستانبول، ١٩٥١م.
٥. البحيري، أسامة: المنظومات البلاغية في التراث العربي، جامعة طنطا، ٢٠٠٤م.
٦. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان أبي تمام، تحقيق: شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٩م.
٧. الجبزي، عبدالرحمن بن حسن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
٨. الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م.
٩. ابن الجزي، شمس الدِّين أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النُّشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضُّباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، (د. ط)، (د. ت).
١٠. الجوهرى، إسماعيل بن حماد: الصَّحاح، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

١١. الذّهبيّ، شمس الدّين: معرفة القراء الكبار على الطّبقات والأعصار، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧م.
١٢. الزّبيديّ، مرتضى: المعجم المختصّ، تحقيق: نظام يعقوبي ومحمّد العجمي، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٣. الزّركليّ، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٤. السّكاكيّ، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
١٥. شاكر، محمود محمّد: رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٧م.
١٦. العباسيّ، عبدالرحيم: معاهد التّنصيص على شواهد التّلخيص، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبدالحميد، دار عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
١٧. الفرزدق، همّام بن غالب التّميمي: ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
١٨. القزويني، جلال الدين: التّلخيص في علوم البلاغة، تحقيق، وشرح: عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربيّ، بيروت، ط٢، (د.ت).
١٩. الكتّاني، عبدالحّي: فهرس الفهارس، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
٢٠. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلّفين، مكتبة المثنى، بيروت، ١٩٥٧م.
٢١. المراديّ، محمّد خليل: سلك الدّرر في أعيان القرن الثّاني عشر، دار ابن حزم، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.



### الدَّورِيَّات:

٢٢. العميرات، سليمان: منظومة ابن الشَّحْنَة في علوم البلاغة العربيَّة (عرض، وتحليل، ونقد)، مجلة أنساق، مج ٣، ع ١-٢، دار نشر جامعة قطر، ٢٠١٩م.
٢٣. مجلة مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، المجلد ١٧، ١٩٤٢م.
٢٤. مزعاش، مراد: المنظومات البلاغيَّة وسؤال القراءة، مجلة المدونة، جامعة البليدة، الجزائر، ع ١، ٢٠١٤م.

20. Khahaleh, Omar Rida: **Mu'jam al-Mu'alfeen**, al-Muthana Bookshop, Beirut, 1957 AD.
21. al-Maradi, Mohammad Khalil: **Salak al-Durar fi 'Ayun al-Qarn al-Thani 'Ashar**, Dar ibn Hazm, Lebanon, 3<sup>rd</sup> edition, 1988 AD.

### **Periodicals:**

22. al-'Amirat, Sulaiman: **Manthoumet ibin al-Shihneh fi 'Uloum al-'Arabiyah (Preview, Analysis, and Criticism)**, Ansaq Jopurnal, 3, 1-2, Qatar University Publication House, 2019 AD.
23. **Majalet Majma' al-Lughah al-'Arabiyah**, Damascus, 17, 1942 AD.
24. Mez'aj, Murad: **al-Manthumat al-Balaghiah wa sou'al al-Qira'a**, al-Mudawanah Journal, Blida University, Algeria, 1, 2014 AD.

10. al-Johari, Ismael bin Hammad: **al-Sihah**, inspected by: Ahmad Attar, Dar al-'Elem Lilmalaieen, Beirut, 4<sup>th</sup> edition, 1987 AD.
11. al-Thahabi, Shams al-Dein: **Ma'rifat al-Qurra' al-Kibar 'ala al-Tabaqat wal-'Isar**, Dar al-Kutub al-'Elmiah, Beirut, 1997 AD.
12. Al-Zubeidi, Murtada: **al-Mu'jam al-Mukhtas**, inspected by: Nitham Ya'qoubi and Mohammad al-'Ajami, Dar al-Basha'er al-Islamiah, Beirut, 1<sup>st</sup> edition, 2006 AD.
13. al-Zarkali, Kheir el-Dein: **al-A'lam**, Dar al-'Elem Lilmalaieen, Beirut, 15<sup>th</sup> edition, 2002 AD.
14. al-Sakaki, Abu Ya'coub: **Miftah al-'Uloum**, inspected by: Na'eim Zarzour, Dar al-Kutub al-'Elmiah, Beirut, 2<sup>nd</sup> Edition, 1987 AD.
15. Shaker, Mahmoud Mohammad: **Risalah fi al-Tariq ela Thaqafatina**, the General Egyptian Committee for Books, 1997 AD.
16. 'Abbasi, Abdul Rahim: **Ma'ahid al-Tanseis 'Ala Shawahid al-Talkheis**, inspected by: Mohammad Mehyie al-Dein Abdul Hameed, Dar 'Alam al-Kitab, Beirut, Ltd.
17. al-Firazdaq, Hammam bin Ghaleb al-Tamimi: **Diwan al-Firazdaq**, Dar Sader, Beirut, 1960 AD.
18. al-Qazwini, Jalal al-Dein: **al-Taklees fi 'Elm al-Balagha**, inspected and explained by: Abdul Rahman al-Barqouqi, **Dar al-Fiker al-Arabi**, Beirut, 2<sup>nd</sup> edition, Ltd.
19. al-Kittani, Abdul Hay, **Fehras al-Fahares**, inspected by: Ihsan Abbas, Dar al-Maghreb al-Islami, Beirut, 2<sup>nd</sup> edition, 1982 AD.

## References

### Manuscripts:

1. al-Sharqawi, Abdullah bin Hijazi: **al-Tuhfa al-Bahiah fi Tabaqat al-Shafi'iah**, manuscript number (115), al-Dawlah Bookshop, Berlin.
2. al-Malawi, Shihab al-Dein Ahmad bin Abdul Fattah: **Ijazat al-Malawi li 'Ali al-Beirut**, manuscript number (06-729 Vollers), Leipzig University Bookshop, Germany.
3. al-Malawi, Shihab al-Dein Ahmad bin Abdul Fattah: **Sharh Nuthum al-Talkheis**, manuscript number (406), Arabic Language Forum bookshop, Damascus.

### Publications:

4. al-Baghdadi, Ismael: **Hadiet al-'Arefeen fi Asma' al-Kutub wal Mu'alfeen**, al-Ma'aref Agency, Istanbul, 1951 AD.
5. al-Buhairi, Usama: **al-Manthumat al-Balagheiah fi al-Turath al-'Arabi**, Tanta University, 2004 AD.
6. Abu Tammam, Habib bin Aws al-Ta'i: **Diwan Abi Tammam**, inspected by: Shaheen Atieh, al-Adabiah Publication, Beirut, 1889 AD.
7. al-Jabarti, Abdul Rahman bin Hasan: **'Ajaieb al-Athar fi al-Tarajim wal Akhbar: Dar al-Jeel**, Beirut, 2<sup>nd</sup> edition, 1987 AD.
8. al-Jarjani, Abdul Qaher: **Dala'el el-I'jaz**, inspected by: Mahmoud Mohammad Shakir, Dar al-Madani, Jedda, 3<sup>rd</sup> edition, 1992 AD.
9. Ibn al-Jazari, Shams el-Dein Abu al-Kheir Mohammad bin Mohammad al-Dimashqi: **al-Nasher fi al-Qira'at al-'Ashr**, inspected by: Ali al-Dabba', the Grand Commercial Publication House, Egypt, Ltd.

## مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

### مجلة متخصصة محكمة

#### شروط النشر:

١. تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج قضايا اللغة العربية وآدابها.
٢. يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
٣. يشترط في البحث أن يكون خاصاً بمجلة المجمع، وأن لا يكون قد نشر أو قدم لأي جهة أخرى لغايات النشر، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك، ولا مانع من أن يكون البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة.
٤. أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الموضوعي.
٥. يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقاً لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.
٦. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.
٧. يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS-Word) بحجم خط (١٤) للمتن و (١٢) للهوامش على وجه واحد من الورقة حجم (A 4).
٨. لا تزيد صفحات البحث على خمس وعشرين صفحة، بواقع (٢٥٠) مئتين وخمسين كلمة للصفحة الواحدة، أو من ٦٠٠٠-٨٠٠٠ كلمة للبحث.

٩. يجب أن يشتمل البحث على ملخص باللغة العربية في حدود (١٠٠-١٥٠) كلمة، مترجماً إلى اللغة الإنجليزية بما فيه العنوان، وعلى الكلمات الدالة مترجمة وعددها من ثلاث إلى خمس.
١٠. إذا كان البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة، فيجب أن يوضح الباحث أسماء كل من المشرف وأعضاء لجنة المناقشة، وتاريخها.
١١. يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراء التحكيم في حال سحبه بحثه أو الرغبة في عدم متابعة إجراءات التحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.
١٢. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً، وتحتفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.
١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطاً بذلك.
١٤. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.
١٥. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجمع.
١٦. يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
١٧. يجب أن يشتمل البحث على قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية أو مرومنة إليها حسب النظام العالمي المعتمد للرومنة.
١٨. يكون التوثيق من الكتاب الأصلي، خصوصاً إذا كان مترجماً، على النحو الآتي:

## أ. المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره لأول مرة على النحو الآتي:

- يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان متوفى، واسم المصدر كاملاً بالحرف الغامق، إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الطبعة، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت ٤٠٠هـ، ١٠١٠م)، كتاب الأفعال، ٣ ج، تحقيق: د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٨٥.

## ب- المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي، إن كان متوفى، ثم اسم المرجع كاملاً بالحرف الغامق إن كان عربياً وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الطبعة، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن سعيد الكرمي (ت ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، الهادي إلى لغة العرب، ٤ ج، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٣٩.

## ج- محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي اقتباس، هكذا " " ويذكر عنوان الكتاب كاملاً، واسم المحرر أو المحررين ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين على أن تذكر أسماءهم جميعاً في قائمة المراجع، واسم دار النشر، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

شكران خربوطلي، "أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها في العصر الأموي"، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام، تحرير الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٣-٢٧.

#### د- المجلات:

يذكر اسم صاحب البحث أو المقالة كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا " " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحروف مائلة للمجلات الأجنبية، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن حمزة، "الوضع والاشتقاق والدلالة"، مجلة المعجمية، تونس، ٢٠٠٢م، العدد ١٨، ص ٨١-٩٨.

١٩. يراعى عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي، ما يأتي:

- يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصدر أو المرجع عربياً والحرف (p) للصفحة الواحدة، و(pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.
- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث، وبرسمها القرآني.
- يذكر الحديث النبوي الشريف ومظانه ومصادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقاً كاملاً.
- عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر والبحر ومصادر تخريجه.



- يذكر اسم المؤلف كاملاً عند الاستشهاد بمخطوط، ويذكر عنوان المخطوط كاملاً، ومكان وجوده، وتاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.
- ٢٠. تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) على أن يذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.
- ٢١. تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.
- ٢٢. توضع أرقام التوثيق بين قوسين، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.
- ٢٣. يقدم كل صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وعنوان بريده الإلكتروني.
- ٢٤. يقدم إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) مستلة من بحثه.

ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس) ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٣٨٩٧

البريد الإلكتروني: [almajmajournal@ju.edu.jo](mailto:almajmajournal@ju.edu.jo)